الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 29 OCTOBER 1979.
العدد (٢٩) ذو القعدة ١٣٩٩ هـ/أكتوبر ١٩٧٩ م (السنة الثالثة)



صفحة مفقودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٢٩) ذو القعدة ١٣٩٩ هـ / اكتوبر ١٩٧٩ م

هذا العدد



★ منذ قديم الأزمنة والتساؤل حول وجود حياة عاقلة في الفضاء الخارجي يثير لدى الإنسان شعوراً جذاباً .. ما أشكال تصورات الإنسان لهذه الحياة الجديدة . ص (١٢٣)



★ الحفريات أكدت أن منطقة مدينة « الدوحة » القطرية كانت مأهولة بالسكان منذ حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، أي قبل ما يقارب ستة آلاف سنة .. ص (٣٥)



★ رجال التربية والخبراء يعبرون التليفزيون ، كوسيلة جديدة من وسائل التعليم ، أهمية كبيرة تكسب العملية التعليمية والتربية بعداً معاصراً . ص (٥٩)

من كتاب هذا العدد

من كتاب هذا العدد
من كتاب هذا العدد

د . مصباح أحمد قويدر



● من مواليد دمشق ـ سورية عام ١٩٥١ م .

● دكتوراه في طب الأسنان وجراحتها .

● عمل في أحد مستشفيات دمشق .

● يعمل حالياً طبيب أسنان في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

● له من المؤلفات « التدخين وسرطان الفم » ، و « التدخين وأمراض الفم » .

صلاح محمد جرار



● من مواليد جنين ـ فلسطين عام ١٩٥٢ م .

● ماجستير في اللغة العربية وآدابها .

● يجيد الإنجليزية والإسبانية .

● عمل مدرساً فترة من الزمن .

● يعمل حالياً محاضراً متفرغاً في قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب ـ جامعة الأردن .

● له عدد من المؤلفات المطبوعة .

محمد التهامي



● من مواليد القاهرة عام ١٩٢٩ م .

● بكالوريوس كلية الزراعة ـ جامعة القاهرة ، كلية التربية ـ جامعة عين شمس .

● سنة دراسية بمعهد الإعلام والرأي العام ـ دورات تدريبية بالتليفزيون تخصص وسائل الاتصال التعليمية .

● عمل مدرساً للعلوم ، ثم ناظر مدرسة ، كما عمل خبيراً لليونسكو في وسائل الاتصال الجماهيرية بسرس الليان ، وفي الهند .

● اشترك في عدد من مؤتمرات الوسائل التعليمية .

● له كتب في العلوم العامة والصحة ، وبحوث أساسية للحلقات الدراسية عن وسائل الاتصال التعليمية والجماهيرية .

● يعمل حالياً مشرفاً للتليفزيون التعليمي بمركز وسائل وتكنولوجيا التعليم ـ كلية التربية ـ جامعة الرياض .

د . نهاد الموسى



● من مواليد مدينة يافا ـ فلسطين عام ١٩٤٢ م .

● دكتوراه ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة القاهرة .

● اشترك في عدد من المؤتمرات والحلقات الدراسية اللغوية .

● عمل مدرساً في قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب ـ جامعة الأردن ، ثم أستاذاً مساعداً .

● شارك في وضع مناهج اللغة العربية في الجامعة الأردنية .

● عمل خبيراً مشاركاً في وضع منهاج اللغة العربية بدولة الإمارات العربية المتحدة .

● كما عمل أحد ثلاثة مشرفين على وضع منهاج اللغة العربية وكتبها المقررة في سلطنة عمان .

● له بعض الأعمال المطبوعة إلى جانب مجموعة من البحوث .

خليل إبراهيم الفزيع



● من مواليد الأحساء ـ المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٣ م .

● عمل في الوظائف الحكومية .

● ثم عمل في الصحافة محرراً ، فسكرتيراً للتحرير ، ثم مديراً لتحرير صحيفة « اليوم » اليومية التي تصدر في الدمام .

● يعمل حالياً مديراً لتحرير مجلة « العهد » الأسبوعية القطرية .

● صدرت له ثلاث مجموعات قصصية هي « الساعة والنخلة » ، « النساء والحب » ، « سوق الخميس » ، وله كتاب دراسات بعنوان « أحاديث في الأدب » ، وله كتاب آخر تحت الطبع بعنوان « أفكار صحفية » مجموعة مقالات .

● قدم بعض الأحاديث من خلال الإذاعة ، كما ألقى بعض المحاضرات .

د . عبد الحليم عويس

● من مواليد مصر عام ١٩٤٣ م .

● دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ـ جامعة القاهرة .

● عمل في تحرير وإدارة تحرير بعض المجلات الإسلامية .

● اشترك في عدد من المؤتمرات الإسلامية .

● له مؤلفات مطبوعة وأبحاث في المجلات العلمية .

● يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

- إنشاء متحف للآثار الإسلامية في مكة المكرمة .
- مشروع بناء قرية شمسية قرب مدينة الرياض .
- موسم ثقافي عراقي في المغرب .
- وفاة رائد المسرح العراقي الدكتور الشابندر .
- إقامة أول ندوة لتعريب الكيمياء في تونس .
- معرض الكتاب الإسلامي الخامس في الكويت .

- معرض ثقافي عربي في اليابان .
- انعقاد مؤتمر العلوم والتكنولوجيا في النمسا .
- جائزة كافكا يفوز بها نمساوي .
- إحصاء اللوحات والرسوم في مدينة «بومباي» في إيطاليا .
- موسوعة إسلامية باللغة اليابانية .



★ معالي الشيخ

محمد علي الحركان ★

مؤتمر للثقافة والعلوم والتربية

سيعقد في غرة محرم القادم سنة ١٤٠٠ هـ مؤتمر **المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية** وذلك تحت إشراف **جامعة الرياض**، ويهدف هذا المؤتمر أساساً إلى بحث ايجاد وتوفير مصادر لتمويل مشروعات وبرامج الثقافة الإسلامية في الخارج .

مجلة جامعة الفيصل السنوية

أصدرت وكالة عمادة شؤون الطلاب **بجامعة الملك فيصل في الدمام ، العدد الأول** من مجلتها السنوية (**الجامعة**) وهي مجلة ثقافية احتوت على العديد من الموضوعات والأبحاث الجديدة كما شملت أخبار الجامعة .

المجلد الخامس من مجلة آداب الرياض

صدر عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض **المجلد الخامس** من مجلة كلية الآداب بالجامعة محتوياً على العديد من المواضيع والأبحاث التي أعدها أساتذة الكلية .

مسابقة ثقافية

أعلن نادي الطائف الأدبي عن مسابقته الثقافية الثالثة وتشمل الكتابة في (القصة ، الشعر ، البحث والمقالة ، الرسم) وقد رصدت جوائز تبلغ قيمتها الإجمالية عشرون ألف ريال وزعت بالتساوي على كل نوع من أنواع هذه الأشكال الأدبية .

استغلال الطاقة الشمسية

تنوي كلية العمارة والتخطيط **بجامعة الملك فيصل بالدمام** - وذلك بتعاون مع **المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا بالرياض** - استغلال **الطاقة الشمسية** في تبريد المباني والمنشآت .

معاني القرآن الكريم بلغة (الهوسا)

وزعت **رابطة العالم الإسلامي** الطبعة التي ترجمت فيها معاني **القرآن الكريم** إلى لغة (**الهوسا**) على الجمعيات والمراكز الإسلامية الناطقة بهذه اللغة ، وتعد هذه الترجمة هي الأولى والتي أشرف عليها نخبة من العلماء وأساتذة اللغة الهوساوية .

متحف للآثار الإسلامية بمكة المكرمة

بدأت إدارة الآثار العامة في ترميم **قلعة جياد** بمكة المكرمة وتحويلها إلى متحف للآثار الإسلامية .

دليل مدينة الرياض

أصدرت **مؤسسة تهامة** - للإعلان والعلاقات العامة والدراسات التسويقية - دليلاً باللغة **الإنجليزية** ملوناً ومزوداً بالخرائط ، وذلك للتعريف بمدينة الرياض (جغرافيتها وأبرز ملامحها) ، وهو دليل يهم كل رجل أعمال ، وكل زائر لمدينة الرياض .

معرض للفنانين التشكيليين

تنوي إدارة الشؤون الثقافية (قسم الفنون التشكيلية) بالرئاسة العامة لرعاية الشباب إقامة معرض لكبار الفنانين التشكيليين السعوديين ، وذلك بهدف خروج الفنان السعودي لعرض أعماله الفنية خارج المملكة وذلك بعد إقامة معرض تمهيدي **بالرياض** يتم اثناءه اختيار (٣٠) لوحة فنية ذات مستوى ممتاز لتمثيل المملكة في معرض جماعي بإحدى الدول العربية وعدد (٤) فنانين مرافقين .

نادي جدة ومسابقة ثقافية

ينظم **نادي جدة الأدبي** مسابقة ثقافية لطلبة المدارس والجامعات والشباب ، وذلك في ثلاثة موضوعات :

١ - الشعر .
٢ - القصة .
٣ - بحث علمي أو أدبي أو تاريخي أو ديني .

وسيمنح الفائزون من المتسابقين جوائز قيمة تقدر قيمتها بـ (١٨٠) ألف ريال توزع عليهم بحسب درجاتهم وذلك تحت إشراف لجنة كونها النادي تتميز بالكفاءة في هذه المجالات .

مشروع بناء قرية شمسية

من ضمن اهتمامات الجهات المسؤولة ، **إقامة وبناء قرية شمسية** على مسافة (٥٠) كيلومتراً إلى الشمال الغربي من **الرياض** يجري فيها

توليد (٣٥٠) كيلوواط من أجهزة الطاقة الشمسية ، ولتنفيذ هذا المشروع فقد اجتمع **خبراء سعوديون** في الطاقة مع خبراء من الولايات المتحدة ، وسيكون لهذا المشروع فائدته الكبرى وستكون المملكة العربية السعودية هي الرائدة في هذا المجال .

سيارة تسير بالطاقة الشمسية

يجري حالياً وضع اللمسات الأخيرة على السيارة التي تسير بالطاقة الشمسية ، وسوف توضع هذه السيارة موضع الاستعمال التجريبي ثم تقيم نتائج هذه التجربة وتدرس من قبل باحثين ، ومن المعلوم بأن هذه السيارة صممها فريق من الباحثين **بكلية العلوم التابعة (لجامعة الرياض)** وذلك بالتعاون مع باحثين آخرين .

ناد للطفل بالأحساء

بدأ **مركز التنمية الاجتماعية بالأحساء** بتنفيذ أول مشروع من نوعه وهو مشروع «**نادي الطفل الاجتماعي**» للأطفال من ٤ ـ ٧ سنوات وذلك **بقرية «الرميلة»** وتساهم وزارة العمل فيه ، وسيقدم النادي الذي سيستمر (٣) أشهر مجموعة من الألعاب المسلية والنافعة للأطفال تحت إشراف أخصائيين .

* كتب جديدة *

● «**الأدب العربي في المملكة العربية السعودية ببليوجرافياً**» تأليف **يحيى ساعاتي** إصدار **دار العلوم بالرياض لصاحبها عبد الله العوهلي .**

● «**حين ينزف الأفق**» ، تأليف **إصلاح سهيل** ، صدر عن**نادي الطائف الأدبي .**

● «**في ظلال لواء الإسلام ـ حياة الإنسان ، عقيدة البعث والخلود ويوم البعث**» ، ندوة اشترك فيها لفيف من الأساتذة وضعت في كتاب ، يعد الأول من سلسلة المكتبة الإسلامية ، صدر عن دار الزايدي للطباعة والنشر بالطائف

● «**نحو اقتصاد إسلامي ـ المنهج والمفهوم**» ، للدكتور **محمد شوقي الفنجري** ، الكتاب الثاني من سلسلة **المكتبة الإسلامية** ، صدر عن **دار الزايدي للطباعة والنشر بالطائف**

دعوة للبناء والعمل الحضاري والفكري

الرازي ، وابن الهيثم ، وابن سينا ، وابن رشد ، وعباس بن فرناس ، أسماء نسمعها تتردد في كل مناسبة وفي كل معرض حديث . هذه الأسماء وغيرها من أسماء علمائنا ومشاهيرنا الأوائل ستفصح عن نفسها لو تكلمت بأنها ترفض أن تكون «مادة» نجترها كلما دعتنا إليها الحاجة أو تطلبتها منا المناسبة .

هؤلاء المشاهير الذين أورثوا العالم علماً ومساهمة في بناء حضارته لا يريدون أن يكونوا شعارات نتفاخر بها عند الضرورة لكنهم يريدون منا أعمالا تكون امتداداً لما ساهموا به ، ويريدون منا نضالا يطلب العلم من أجل العلم ويبحث عن الحقيقة من أجل الحقيقة .

وعندما يصبح باعنا طويلاً في مجال العلوم وأقدامنا ثابتة في مصاف الأمم التي كرس أبناؤها جهودهم وسخروا عقولهم وطاقاتهم لبناء عالم أفضل . حينئذٍ يحق لنا أن نتغنى بتلك الأسماء اللامعة ونفخر بتراثنا ، لأننا أضفنا إلى الحضارة الإنسانية جديداً وشحذنا هممنا وطاقاتنا في سبيل بناء هيكلنا المتكامل كأمة لها في أعماق التاريخ جذور وفي ميدان البحث العلمي أصالة وانطلاق .

من هذا المنطلق يجب أن نأخذ مسارنا الطبيعي في أفق المعرفة الذي يتسع يوماً بعد يوم لنستطيع من خلال ذلك إتاحة الفرصة أمام القدرات الفاعلة لبناء عالم تصبح فيه مشاركتنا واضحة وطرق أجيالنا القادمة ـ نحو الأفضل ـ مفتوحة .

كل ما هو مطلوب منا أن تكون آمالنا طموح وعملنا جاد ومخلص . وقبل كل ذلك شعور عظيم بالمسؤولية يتناسب مع الثقل الملقى على عواتقنا . **إن استغلال كل فرد منا لطاقاته الفكرية البناءة واجب تحتمه طبيعة الحياة وهدف تفرض الوصول إليه روح العصر الذي نعيشه .**

ادراك الإنسان غاية وجوده ، وإحساسه بقيمته كإنسان له دوره في مسيرة أمته ، عاملان مهمان في قدرته على التفاعل الإيجابي الذي ينتج عنه إبداع في الفكر وإنجاز في العمل وبالتالي امتداد للمد الحضاري الذي يسود أمم الأرض المتقدمة ويستعيد فيه التاريخ أنفاسه اللاهثة من متاعبه التي ربما عاناها في كثير من الأحيان . إن ما يريده منا مشاهيرنا هو : علوّ في الهمة . يقول الشاعر :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرامها الأجسام

إبراهيم عبد الله مفتاح
الرياض





★ د. صالح
جواد طعمة ★

● ومن اصدارات نادي الرياض الأدبي :

١ - « ابن طباطبا - الناقد » ، بقلم الدكتور **محمد عبد الرحمن الربيع** .

٢ - « **الآلة تسرقني ذهني** » ، قصة لسليمان الحماد .

٣ - « **صلاح الدين في الشعر العربي المعاصر** » ، للدكتور **صالح جواد الطعمة** .

٤ - « **رسالة الألوان** » ، للإمام **ابن حزم الأندلسي** ، تحقيق عدد من الباحثين .

● « **فيصل وأمانة التاريخ** » ، صدر باللغة الإنجليزية تأليف **حامد مطاوع** ، صدر عن نادي مكة الثقافي .

● **ومن اصدارات دار الزايدي للطباعة والنشر :**

١ - « **محمد ﷺ - ومكارم الأخلاق** » ، بقلم **أحمد حامد** ، ويعد الكتاب الثالث من سلسلة المكتبة الإسلامية .

٢ - « **في رحاب رمضان** » ، بقلم **محمد عبد الله السمان** ، وهو الكتاب الرابع من سلسلة المكتبة الإسلامية .

٣ - « **أحكام الصيام و (ليلة القدر . زكاة الفطر . صلاة العيد)** » ، تأليف الشيخ **السيد سابق** ، الكتاب الخامس من سلسلة المكتبة الإسلامية .

● « **الطائر الغريب** » ، ديوان شعري للشاعر **حسين سرحان** ، صدر عن **نادي الطائف الأدبي** .

❋ كتب جديدة ❋

● « **النورس والرحيل بين السيف والقلب** » ، ديوان شعري للشاعر **مظهر الحجي** ، صدر عن **مطبعة الأندلس بحمص** .

● « **صدى روحي** » ، ديوان شعري للشاعرة **مجد حيدر بوظو** ، صدر عن المطبعة العلمية بدمشق .

● « **سنابل** » ، ديوان شعري للشاعر **ناصر الخوري** ، صدر عن **مطبعة الكاتب العربي بدمشق** .

● **كما صدرت الكتب التالية عن دار السؤال للطباعة والنشر :**

١ - « **روح الفدائي** » ، ديوان شعري للدكتور **أسعد أحمد علي** .

٢ - « **الثقة بالتراث والمستقبل** » ، للمؤلف نفسه .

٣ - « **تفسير القرآن المرتب - منهج لليسر التربوي** » ، تأليف الدكتور **أسعد أحمد علي** .

● « **الأمس الجميل** » ، مجموعة قصصية للقاص **عادل أبو شنب** ، صدرت عن **اتحاد الكتاب العرب** .

موسم ثقافي عراقي في المغرب

أقيم في المغرب تحت اشراف **المركز الثقافي العراقي** ، الموسم الثقافي العراقي وذلك بمناسبة شهر **رمضان المبارك** ، وقد تضمن معرضاً للمصحف الشريف ، وما أصدرته وزارة الأوقاف العراقية من الكتب والمطبوعات الدورية لإحياء التراث العربي ، كما تضمن معرضاً للخط العربي .

وفاة رائد المسرح العراقي

توفي رائد المسرح العراقي المعروف الفنان الدكتور **موسى محمود الشابندر** في مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت . . قال عنه أحد كتاب المسرح إنه « رسم صورة المسرحية العراقية الواقعية المؤثرة يوم لم يكن لها وجود » .

ولد الشابندر في **بغداد** عام ١٨٩٩ م ، ودرس في مدارسها ، ثم **درس الاقتصاد في برلين** ، ثم نال **الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لوزان في سويسرا** . وعاد إلى بغداد عام ١٩٢٢ م ، فعين في السلك الخارجي ، فأسس **المكتب العراقي الدائم في جنيف** ، ثم عين سكرتيراً أول في المفوضية العراقية في برلين ، وتدرج في العمل حتى **عين وزيراً للخارجية** عام ١٩٤١ م ، اعتقلته السلطات البريطانية في ايران مع زملائه ، ثم أرسل إلى المعتقل في **سالزبري** (روديسيا الجنوبية) ، فأمضى سنتين تعرض فيها لظروف قاسية ، كما حوكم وسجن خمس سنوات أخرى وصودرت أمواله ، ثم خرج وعمل فترة في الحقل السياسي ، وأخيراً أحيل إلى التقاعد فانكب على كتابة مذكراته . . وهو **يتقن التركية والألمانية والفرنسية والإنجليزية** ،



★ د . موسى الشابندر ★



★ عبد الرحمن الربيعي ★



★ عادل أبو شنب ★

والإيطالية ، وبعض الفارسية والروسية ، له مسرحية بعنوان « **وحيدة** » وكتاب « **شرارات** » مجموعة مقالات ، وله عدد من المؤلفات احترقت مع مكتبته في حصار برلين في الحرب العالمية الثانية .

*** كتب جديدة ***

● « **تراتيل بدائية** » ، مجموعة شعرية للشاعر **خليل الأسدي** .

● « **الحديقة تغادر أسوارها** » ، ديوان شعري **لعادل العامل** ، صدر عن **دار الرواد** .

● « **اللامعقول** » ، تأليف **أرنولد ب . هنجلف** ، ترجمة **الدكتور عبد الواحد لؤلؤة** ، صدر ضمن **موسوعة** « **المصطلح النقدي** » عن **وزارة الثقافة والفنون العراقية و (دار الرشيد للنشر)** .

ندوة لتعريب الكيمياء

تم في مدينة (**نابل**) التونسية عقد **الندوة الأولى لتعريب الكيمياء** وذلك تنفيذاً لاقتراح **المجلس الأعلى لاتحاد الكيميائيين العرب** الذي عقد من قبل في **بغداد** ، وقد نظم هذه الندوة **الجمعية الكيميائية التونسية** وقد حضرها الدول المشاركة ، في الاتحاد .

*** كتب جديدة ***

● « **مستفاد الرحلة والاغتراب** » ، **للقاسم بن يوسف التجيبي** وهو من علماء القرن السابع الهجري ، تحقيق **عبد الحفيظ منصور** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب في تونس وليبيا** .

● « **قبور في الماء** » ، رواية **لمحمد زفزاف** ، صدرت عن **الدار العربية للكتاب** .

معرض الكتاب الإسلامي الخامس

أقامت **جمعية الإصلاح الاجتماعي** معرضاً للكتاب الإسلامي الخامس خلال الفترة من ٢٠/٨/٩٩هـ إلى ٩/٩/١٣٩٩هـ ، وذلك بهدف نشر دين الله على نطاق واسع ، ومن أجل تعريف الجمهور على **الكتاب الإسلامي** والجهات التي توزعه ، ويعلن المعرض نداء الجمعية للناس ودعوتها الدائمة إلى **العودة إلى الإسلام** والتمسك **بالكتاب والسنة** قولا وعملاً .

*** كتب جديدة ***

● « **المخرج ـ في المسرح المعاصر ـ** » ، تأليف **سعد أردش** ، صدر ضمن **سلسلة عالم المعرفة** .

لجنة إسلامية عليا

تم في لبنان تكوين **لجنة إسلامية عليا** وذلك لإقامة الاحتفالات الخاصة بمناسبة **القرن الخامس عشر الهجري** مهمتها التخطيط وإعداد الاقتراحات والمشروعات التي يمكن أن تنفذ في لبنان على مدى خمس سنوات احتفاء بهذه المناسبة ، ومن الجدير ذكره أن هذه اللجنة برئاسة **الدكتور صبحي الصالح** والأستاذ **حسين القوتلي** مدير عام الإفتاء أميناً عاماً ، وقد كون هذه اللجنة **سماحة مفتي لبنان** .

*** كتب جديدة ***

● « **حضارة العرب في حفظ وثائقهم** » ، **للدكتور محمد قبيسي** ، صدر عن **دار الآفاق** .

● « **اختلاط الليل بالنهار** » ، ديوان شعري للشاعر **أحمد دحبور** ، صدر عن **دار العودة ببيروت** .

● ضمن سلسلة (**كواكب الإسلام**) صدر عن دار المسيرة الكتب التالية :

١ ـ « **محمد ﷺ** » ، **للدكتور علي شلق** .

٢ ـ « **الصديق أبو بكر رضي الله عنه** » ، **للدكتور علي شلق** .

٣ ـ « **الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه** » ، **للدكتور علي شلق** .

٤ ـ « **ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه** » ،



★ ليلى عثمان ★

للدكتور علي شلق .

٥ ـ « **الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه** » ، **للدكتور علي شلق .**

والجديد في هذه الكتب أن تأليفها يقوم على صياغة جديدة ، وقراءة جديدة للتاريخ الإسلامي المجيد ، وبأسلوب أقرب ما يكون إلى أسلوب القصة أو الرواية .

● « **أبو القاسم الزهراوي ـ أول طبيب جراح في العالم** » ، صدر ضمن سلسلة « **من تاريخ العلوم عند المسلمين** » تأليف **الدكتور عبد العظيم الديب .**

● « **ثم تعود الموجة** » ، مجموعة قصص قصيرة **لديزي الأمير** ، صدرت عن **دار العودة .**

● « **الرحيل** » ، مجموعة قصص قصيرة للكاتبة ليلى عثمان ،

● **الكتاب : «مدينة ايزيس أو التاريخ الصحيح للعرب»**
● **المؤلف : بيار روسي**
● **الناشر : دار الطبعات اللاتينية الجديدة عام ١٩٧٦م**

القارىء لكتاب « مدينة ايزيس » يعجب بسعة اطلاع المؤلف وكثرة قراءاته . وقد ذكر لنا السيد **بيار روسي** نفسه أنه استغرق في كتابة مؤلفه ثلاث سنوات .

وكثير من الأمور التي يقررها ، والنتائج التي يصل إليها في غاية الأهمية ، ذلك لأن العرب لم يتعودوا أن يقرأوا في المطبوعات الأوروبية دراسات جدية قوية البراهين تمجد حضارتهم هذا التمجيد الرائع ، وتظهر تأثيرها البليغ في نشوء الحضارات الكبرى في الماضي البعيد وفي الحاضر القريب .

يقوم الكتاب على فكرتين رئيسيتين : الأولى أن الحضارات العريقة التي قامت في المنطقة الممتدة بين نهر الأندوس شرقاً وغربي **البحر المتوسط**، وبين نهر **الدانوب** شمالا ومنابع **النيل** في الجنوب كانت تتمازج فيما بينها باستمرار ، تغنى وتنمو بتفاعل الثروات الفكرية والفنية والاقتصادية التي تنبثق عن كل واحدة منها ، ولا سيما المذاهب الروحية والعقائد الدينية التي سطعت في هذه الرقعة من العالم ، وكانت رغم اختلافها وتنوع ألوانها ومشاربها تؤلف كلًا متجانساً ، وتكون حضارة واحدة متماسكة الأطراف ، خصبة الحيوية ، موحدة المبنى والمعنى والاتجاه .

والفكرة الثانية أن **الحضارة الآرامية والعربية** كانتا أقوى العناصر التي تغذت بها هذه الحضارة الجامعة منذ ظهورها ، ولا سيما الحضارة العربية قبل الإسلام وبعده .

لذلك سمى هذه الحضارة العريقة الغنية الجامعة : الحضارة العربية رغم المدنيات الخصبة الأخرى التي ساهمت في تكوينها وفي إغنائها .

أما عنوان الكتاب فهو مستوحى من التماثيل الأربعة التي يراها الزائر **لكنيسة مديسي في فلورنسا** . التمثال الأول (**ايزيس**) يمثل **الفجر** ، والثاني (**أبولون**) يمثل **النهار** ، والثالث **الغروب** والرابع **الليل** . نحت الفنان المشهور **ميكال آنج** هذه التماثيل ليقلب اختلاف الأوقات (الذي يذكر بانقضاء الأعمار ويبعث الهم والقلق) إلى جمال خالد متجمد في الرخام . لا يؤثر فيه مرور الأيام . ولعل المؤلف ابتغى التشبيه . فتراءت له الحضارة العربية شامخة ثابتة خالدة ، تظهر وجوهها المختلفة باختلاف الزمان . ويتمثل فجرها في « ايزيس » ونهارها في « أبولون » وغروبها في « ايزريس » لكنها باقية كما هي بصفاتها الأصيلة الثابتة على وجه الزمان .

هل وجدت هذه الحضارة الكبرى العريقة الجامعة . إن دراسة الحضارات التي ظهرت بين نهر الأندوس وغربي البحر المتوسط ، ترى أن بينها جميعاً صفات رئيسية مشتركة . وما كتاب السيد روسي سوى دعم قوي مفصل للوجود التاريخي لهذه الحضارة الجامعة . وقد أشار إلى هذه الحقيقة التاريخية كتاب كثيرون نذكر منهم **الدكتور محمد حميد الله** في دراسة عنوانها : « **مسلمو البحر المتوسط وأثرهم في علم التأريخ** » (١٩٧٣م) . ثم إن الذين درسوا **الغزل العربي في الجاهلية** وأعجبوا بجمال صوره ، وصفاء معانيه ودقة أوزانه الشعرية كانوا يجدون بعض الصعوبة في قبول الرأي القائل بأنه من صنع عرب الجاهلية في القرن الذي سبق ظهور الإسلام . وذهب بعضهم إلى أنه شعر حضاري مصقول وضع بعد ظهور الإسلام .

صدرت عن **دار الآداب ببيروت .**

● « **الوطن في العينين** » ، رواية **حميدة نعنع** ، صدرت عن **دار الآداب في بيروت .**

● « **الشعر المغربي المعاصر من البدايات إلى الامتداد** » ، بقلم **محمد بنيس** ، اطروحة قدمها لكلية آداب الرباط ، صدرت في كتاب عن **دار العودة ببيروت .**

● « **دراسات في الفلسفة الوجودية** » ، للدكتور **عبد الرحمن بدوي** ، صدرت عن **دار الثقافة .**

● « **ذاكرة المدينة** » ، مجموعة قصص **لعبد الرحمن مجيد الربيعي** ، صدرت عن **دار الطليعة .**

● « **الفن الكلاسيكي** » ، تأليف هيجل ، ترجمة **جورج طرابيش** ، صدر عن **دار الطليعة .**

ومن أشهر أنصار هذا المذهب **المستشرق مارجليوث والدكتور طه حسين .** وذهب آخرون إلى أن **الشعر الجاهلي** جزء من حضارة قديمة شاملة للشرق ساهم العرب في بنائها مساهمة غنية منذ أقدم العصور . وقد تجلى وجهها العربي الغني في غزل الجاهلية . وقد طبعت **جامعة دمشق** ، عام ١٩٥٠ م ، كتاباً بالإنكليزية في هذا المعنى عنوانه : « تطور الغزل في الأدب العربي » .

ينبغي أن تقبل أن الباحث عن الحقائق التأريخية لا يصل فيها إلى يقين العلوم الدقيقة . إذ يبق فيها مجال للشك والتردد واحتمال الغلط في التفسير .

لذا يحسن قبول ما يقرره كتاب « مدينة ايزيس » بشيء من التحفظ والتساؤل وهذا ما يقتضيه البحث الجدي ، ولا ينقص هذا قط من شأن الكتاب . بل إن مؤلف الكتاب يقول في الصفحة (٢٠٧) : « **كل دراسة للتاريخ القديم ، إن لم تحسب حساباً كثيراً للشك ، لا تكون مغلوطة فحسب بل تكون أيضاً خطيرة** » .

لابراز الحقيقة التأريخية التي يوضحها الكتاب حرص المؤلف على إظهار الصفات الرئيسية المشتركة أو المتشابهة في المدنيات التي ظهرت في الشرق وفي حوض البحر المتوسط ليثبت أن من ورائها كلها حضارة جامعة وثقافة واحدة . ولم يعن المؤلف ببيان الفروق بين الحضارات واختلاف ألوانها وتنوع حساسيتها وتباين أبعادها الروحية والإنسانية والفنية والبديعية . ذلك لأنه يبحث في كتابه عن كل ما يجمع ويؤلف ، لا عن كل ما يميز ويفرق . نحن لا نلوم المؤلف على هذا المنحى الذي اختار ، لكننا نعتقد أن كل العناصر المكونة للحضارة هامة في حد ذاتها ، وليست تلك العناصر التي تجمع وتؤلف بأكثر شأناً وأهمية من تلك التي تميز وتفرق . وقد تكون السمات الأصيلة المميزة لحضارة ما أثمن ما فيها وأقدر على كشف أسرارها ومؤشراتها .

ليس في الكتاب نظرات فريدة فقط إلى الدور الرائد الذي قامت به الثقافة العربية ـ بمفهومها المتسع ـ في إخصاب الحضارات القديمة وصهرها وتمثلها ، بل إن الكتاب يطرح أسئلة فذة ويفتح أبواباً جديدة لا بد للمؤرخين العرب من ولوجها لمتابعة البحث الذي براه السيد بيار روسي وتقصي الحقائق التي خفيت مدة طويلة على أكثر الدارسين في الشرق وفي الغرب . ولعل **اتحاد المؤرخين العرب** المعني بإعادة كتابة التاريخ العربي يولي هذا الكتاب المكتظ بالنظرات الجديدة للتأريخ القديم حقه من الدراسة والتمحيص والاكرام .

لا يرتاح القارىء المؤمن بأصالة الحضارة العربية إلى بعض الآراء الواردة في الكتاب التي تجعلها جزءاً من كل ، واستمراراً لماض طويل ، ومظهراً جديداً لرافد غني قديم . ذلك لأنها تجعله وهو يقرأ الكتاب متردداً بين تفضيل « **الشمول** » ، في ثقافته على « **الأصالة** » ، أو « الأصالة » على « الشمول » .

كذلك فإن **القارىء المسلم** المؤمن بالأصل الواحد للديانات السماوية ولا سيما اليهودية والنصرانية والإسلام يرى في الإسلام صفات أخرى هامة لا يبرزها الكتاب كصفة « الاكمال » لأنه آخر الأديان ، وصفة « الشمول » لأنه يتجاوز العروق والقبائل والحدود الجغرافية ليشمل الناس جميعاً في رقعة العالم الفسيحة ، وكالصفة « العلمية » التي تجعله يجمع بين دقة التفكير وطمأنينة القلب ، وبين أحكام المنطق وحرارة الايمان ، وكالصفة « العملية » التي لا تتطلب منه حين تدعوه إلى طلب الكمال والفوز برضى الله أن يكون أكثر من « **إنسان** » .

أمر آخر يتفقده قارىء الكتاب لا سيما إذا كان من المؤمنين بعلم (**الفوتورولوجي**) هو التصور المستقبلي للحضارة العربية بعد أن عرض تاريخها الصحيح في كتابه . ما هي المناحي التي ستجري فيها في القرن المقبل وما هو الدور الذي تدعى للقيام به في « **أوركسترا** » الحضارة العالمية المتسارعة التطور ، المتناحرة التيارات .

هذه ملاحظات لا تقلل من شأن هذا الكتاب القيم ، الغزير المادة ، المغذي للمشاعر ، الموحي بالأفكار الغزيرة ، الجوال في آفاق الماضي . فلمؤلفه الثناء على هذه الدراسة العميقة الطريفة الممتعة . ويسرنا أن نعلم أن كتابه ينقل الآن إلى العربية بعناية **دولة الإمارات العربية المتحدة .**

لا بد في الختام من كلمة عن الدار التي نشرت هذا الكتاب . كانت قد نشرت في الماضي كتباً معادية للإسلام ، وها هي اليوم تنشر كتاباً فيه تمجيد للعرب وثناء على الإسلام . هل نستنتج من هنا أنه تطور نحو قول الحق والرغبة في الانصاف ؟ هذا ما نرجو أن يكون إن شاء الله .

قسم الدراسات في مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس



★ غادة السمان ★

● «الآفاق الجديدة»، رواية لعوض شعبان، صدرت عن دار النهار للنشر.

● «٢٦ قصيدة»، لجاد الحاج، صدرت عن دار النهار للنشر.

● «الحرب والحضارة»، للمقدم بسام العسلي، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «حدث في أفغانستان»، لفهمي هويدي، صدر عن دار الكلمة.

● «الجمالية والواقعية في نقدنا الأدبي الحديث»، لعصام الشنطي، إصدار دار الكلمة.

● «رحلة في السينما العربية»، لإبراهيم العريس، صدر عن دار الفارابي ببيروت.

● «الكتابة في الزمن المتغير»، تأليف إبراهيم العريس، صدر عن دار الطليعة.

● «تحليل نمط التفكير الستراتيجي الأميريكي»، تأليف صلاح المختار، صدر ضمن سلسلة «المفكر العربي» الصادرة عن دار الطليعة ببيروت.

● «ختم الذاكرة بالشمع الأحمر»، المجلد الرابع من الأعمال غير الكاملة لغادة السمان.

● «رسائل إلى دون كيشوت»، ديوان شعري يضم عشر قصائد نثرية للشاعر يوسف الخال، صدر عن دار النهار للنشر.

● «الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومنطيقي»، يمني

★ الطفل في الدول المتقدمة ★



★ الطفل في الدول النامية ★



العيد ،صدر عن دار الفارابي .

● «حروب الاستتباع» ، للدكتور وضاح شرارة ، صدر عن دار الطليعة .

● «الحرب والحضارة» ، لبسام العسلي ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● «في سبيل الوطن» ، رواية زهير صادق رضا ، صدرت عن دار الطليعة .

● «القبائل العربية وسلائلها في بلاد فلسطين» ، تأليف مصطفى مراد الدباغ ، صدر عن دار الطليعة .

أسبوع الفن التشكيلي

أقامت رابطة الفنانين التشكيليين في الأردن أسبوعاً للفن التشكيلي وذلك بعرض لوحات ورسومات وأعمال خزف ونحت شارك فيها الفنانون بالأردن .

فيلم وثائقي عن الآثار الإسلامية في الأردن

تنوي وزارتا السياحة والآثار ،ووزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية بالتعاون مع التليفزيون إخراج فيلم وثائقي يتعرض للآثار الإسلامية في الأردن التي تعد غنية بها .

ندوة استراتيجية محو الأمية

عقدت في الأردن ندوة عن استراتيجية محو الأمية وتعليم الكبار استمرت ستة أيام رعتها وزارة التربية والتعليم ، وقد تضمنت عدة توصيات لعل أهمها إنشاء صندوق عربي لتمويل مشروعات تعليم الكبار .

دعوة لجوائز الدولة التقديرية

دعت وزارة الثقافة الأردنية الكتاب والأدباء الأردنيين إلى تقديم نتاجهم الثقافي المنشور هذا العام وذلك تمهيداً لتقديم جوائز الدولة لعام ١٩٧٩م ، وتشتمل هذه المسابقة على :

١ - الرواية ، أو المسرحية ، أو المجموعة القصصية .

٢ - الشعر .

٣ - الأبحاث والدراسات .

٤ - تاريخ الأردن .

٥ - الفنون التشكيلية .

رابطة الكتاب الأردنيين

● أعيد انتخاب الدكتور عبد الرحمن ياغي رئيساً لرابطة الكتاب الأردنيين .

● وقعت الرابطة عدة اتفاقيات أدبية مع اتحادات الكتاب في سورية ، وتشيكوسلوفاكيا ، وروسيا تضمنت تبادل الدوريات والكتب والوفود الأدبية ، وترجمة الإنتاج الأدبي والتنسيق بين هذه الاتحادات وبين رابطة الكتاب الأردنيين في المؤتمرات الدولية .

* كتب جديدة*

● «ندهة على الحارث الثالث» ، ديوان شعري للشاعر موسى الأزرعي .

● «السلحفاة والأطفال» ، المجموعة القصصية الرابعة للقاص فخري قعوار .

● «التجديدات التربوية» ، من إعداد الدكتور حلمي فودة ومحمد علي الشامي ، صدر عن وزارة التربية والتعليم .

● «تطور نظام التعليم في الأردن» ، تأليف الدكتور أحمد التل ، صدر عن وزارة الثقافة والشباب .

● «تاريخ الأردن المعاصر» ، كتاب أصدرته وزارة الثقافة .

● «الدولة الإسلامية - دولة إنسانية» ، لعبد الله غوشه .

● «الصفعة» ، مجموعة قصصية لالياس فركوح .

● «ثلاثية الخلود» ، مجموعة شعرية للشاعرة خديجة أحمد رشيد .

● «موسوعة الفلكلور الفلسطيني» ، الجزء الرابع ،لنمر سرحان .

● «الخروج عن الصمت» ، مجموعة قصص لغريب العسقلاني .

● « **زمن الهروب الدائري** » ، ديوان شعري **لرجاء أبو غزالة** .

● « **رحلة الصمت** » ، ديوان شعري **لرزق رزق الله** .

● « **زعتر التل** » ، مجموعة قصص **لأحمد عودة** .

● « **أما أنا فلا أخلع الوطن** » ، ديوان شعر **لعبد الله رضوان** .

الجامعات في فلسطين المحتلة

عقد لقاء فكري بين **جامعة القدس والجامعة الإسلامية في غزة** تم فيه بحث **إقامة اتحاد للجامعات الفلسطينية** . وبحث المجتمعون كذلك الوضع التعليمي الجامعي في الأرض المحتلة وخرجوا بتوصيات تتعلق بالوسائل الكفيلة لتوحيد الجهود وتوفير الكفاءات التدريبية والموارد المالية .

جامعة بيرزيت

أعيد فتح **جامعة بيرزيت** الوطنية في الأرض المحتلة بعد أن أغلقتها سلطات الاحتلال مدة شهرين ، وذلك بسبب تعبير الطلبة والأساتذة عن مشاعرهم الوطنية إزاء سياسة الاستيطان الصهيونية في شهري آذار - نيسان (مارس - ابريل) الماضيين .

أسبوع فلسطين في القدس

أقام نادي الموظفين العرب ، ونادي الخريجين ، والنادي العربي في القدس مهرجاناً زاخراً دعي باسم (**أسبوع فلسطين**) . وتخلل المهرجان معارض فنية وفلكلورية وأمسيات وندوات .

المؤتمر الاجتماعي الفلسطيني الأول

في احتفال حاشد ضم عدداً من رؤساء بلديات الضفة الغربية المحتلة ، وكبار الشخصيات الفلسطينية ورجال الدين وقناصل بعض الدول الأجنبية المعتمدين في القدس المحتلة ، والمسؤولين عن الجمعيات الخيرية العربية في القدس والخليل ونابلس وغزة ، وعدد كبير من قرى الضفة الغربية المحتلة ، وبحضور وفد عن اتحاد الجمعيات الخيرية في عمان ، عقد المؤتمر الاجتماعي الفلسطيني الأول في القدس واستمر لمدة ثلاثة أيام . وقد عرضت على المؤتمر عدة أوراق عمل ، ودراسات عن الوضع الاجتماعي في الأراضي المحتلة ، ومحو الأمية ، وفكرة إنشاء اتحاد عام للجمعيات الخيرية في الأرض المحتلة .

وجدير بالذكر أن المؤتمر تحول إلى تظاهرة وطنية مجيدة مما دفع بالسلطات العسكرية المحتلة إلى تعقب أبرز المشتركين في المؤتمر (طالع نافذة ص ١٥) .

* كتب جديدة *

● « **أزمة الشعر المحلي** » ، تأليف **حسين جميل البرغوتي** ، من **منشورات صلاح الدين بالقدس المحتلة** .

● « **الخروج عن الصمت** » ، المجموعة القصصية الأولى للقاص **غريب عسقلاني** ، من **منشورات البيادر بالقدس** .

* كتب جديدة *

● **صدر عن مكتبة الإنجلو المصرية الكتب التالية :**

١ - « **علم البديع - نشأته ، تطوره** » ، **للدكتور عبد الرزاق أبو زيد زايد** .

٢ - « **في علم البيان** » ، تأليف **الدكتور عبد الرزاق زايد** .

٣ - « **سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي - دراسة وتحليل** » ، تأليف **الدكتور عبد الرزاق زايد** .

● « **المنطق الجدلي** » ، تأليف **هنري لوفيفر** ، ترجمة **إبراهيم فتحي** ، صدر عن **دار الفكر المعاصر بالقاهرة** .

● « **علم النفس وقضايا العصر** » ، **للدكتور فرج عبد القادر طه** ، صدر عن **دار المعارف بالقاهرة** .

● « **إفريقيا للإفريقيين** » ، تأليف **كلود فوتييه** ، ترجمة **أحمد يونس** .

● « **هكذا تكلمت الأحجار** » ، الرواية الأولى **لسمير عبد الباقي** .

● « **مع الله في أسمائه الحسنى وصفاته العلا** » ، تأليف



★ الدكتور أحمد زكي ★

عبد الرزاق نوفل ، صدر عن المركز الثقافي العربي بالقاهرة .

● « الملهى الليلي » ، مجموعة قصصية لصبري العسكري ، صدرت عن دار الهلال .

● « مع الله في الأرض » ، للدكتور أحمد زكي ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

✻ كتب جديدة ✻

● « بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد » ، لابن الربيع الزبيدي ، تحقيق عبد الله الحبشي ، صدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني .

معرض للكتاب الإسلامي

أقيم في البحرين المعرض الأول للكتاب الإسلامي ويضم المعرض الذي ينظمه نادي الإصلاح عدداً من الكتب الإسلامية والتراث والجديد في المكتبات الإسلامية في جميع أنحاء العالم .

✻ كتب جديدة ✻

● « الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان » ، لأبي عبد الله محمد بن زريق ، تحقيق عبد المنعم عامر ، صدر عن وزارة التراث العمانية .

✻ كتب جديدة ✻

● « حينما يصبح الحلم سيفاً » ، ديوان شعري للشاعر حسن توفيق يتضمن عشرين قصيدة وهو الديوان الرابع للشاعر ، صدر عن الشركة العامة للنشر والتوزيع بليبيا .

المؤتمر الاجتماعي الفلسطيني الأول

عُقد في القدس العربية بتاريخ ٢٠ ـ ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٧٩ م ، المؤتمر الاجتماعي الفلسطيني الأول . وقد كان المؤتمر عبارة عن تظاهرة وطنية حاشدة ضمت كبار الشخصيات الفلسطينية في الأرض المحتلة . وأبلغ دليل على أهمية هذا المؤتمر أن سلطات الاحتلال الصهيونية بدأت تتعقب أبرز المشاركين في المؤتمر وتلفق ضدهم تهماً تافهة من أجل ايقاع العقاب بهم .

كان برنامج المؤتمر قد رصد بذكاء تام . فبين كل خطاب وآخر في جلسة الافتتاح ، قدمت الفرق الشعبية عروضاً فولكلورية فلسطينية مكونة من رقصات شعبية وأغانٍ وأزياء . وخلال جلسة الافتتاح قدمت الهدايا التقديرية (دروع تقليدية) للمتفوقين في مجالات الخدمة الاجتماعية التطوعية . فقد منحت لجنة المؤتمر السيدة عندليب العمد (نابلس) ، والمحامي عبد الخالق يغمور (الخليل) ، والسيدة زليخة الشهابي (القدس) ، دروعاً تقليدية . وهؤلاء الثلاثة عرف عنهم دورهم الريادي في هذا المجال .

وأكد المؤتمرون وحدة الفلسطينيين بعقد المؤتمر في قاعة جمعية الشابات المسيحية ثم الانتقال من القاعة إلى المسجد الأقصى المبارك لتأدية فريضتي صلاة الظهر وصلاة العصر ، في شبه تظاهرة مثقفة كانت جموع السكان تشارك فيها .

أما أوراق العمل والبحوث فتركزت حول ثلاث قضايا : (١) **محو الأمية وتعليم الكبار** ، (٢) **اتحاد الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية وقطاع غزة** ، (٣) **الجامعات الفلسطينية في الأرض المحتلة** .

وجدير بالذكر أن أحد الحاضرين في جلسة الافتتاح اقترح إقامة معرض فلسطيني تعرض فيه المنتوجات اليدوية . وفور تبني الاقتراح ، باشرت اللجان المختصة بالعمل على ذلك . وتم إقامة معرض رائع حاز على اعجاب الحاضرين ، وذلك في عصر اليوم التالي . والدليل هنا أن الجمعيات الخيرية ناشطة في تشجيع الأعمال اليدوية حفاظاً على التراث القومي العزيز ، كما كان دليلاً على استعداد المشتغلين بالعمل التطوعي للعمل الفوري .

خرج المؤتمرون بجملة توصيات أهمها : (١) إقامة دورات تدريبية للعاملين في الحقل الاجتماعي ، (٢) إقامة الندوات لتوعية الرأي العام في الأرض المحتلة ، (٣) انشاء مشاريع إنتاجية في الجمعيات نفسها ، (٤) أن تحاول كل جمعية التركيز على خدمة اجتماعية معينة ، (٥) افساح المجال لتدريب وظهور صف ثانٍ من القادة في العمل التطوعي الاجتماعي ، (٦) دعم الجامعات الفلسطينية .

لقد كان المؤتمر بحق بادرة أصيلة أكدت أن العدو الصهيوني ، مهما بلغ من عتوه ، قد يسرق الأرض لبعض الوقت ، ولكنه لن يسرق الإنسان على الاطلاق .

د . فواز أحمد طوقان

عمان ـ الأردن



★ خوان ميرو ★

معرض ثقافي عربي في اليابان

افتتح في مدينة (**تاغويا**) التي تبعد (٢٠٠) كم جنوب غربي طوكيو **المعرض الثقافي العربي**، احتوى هذا المعرض الذي شارك فيه عدد من الأقطار العربية على رسومات للأطفال وأعمال يدوية وأزياء عربية وكتابات زخرفية.

مؤتمر العلوم والتكنولوجيا

عقد في فيينا **مؤتمر العلوم والتكنولوجيا** - والذي تشرف عليه **الأمم المتحدة** - استمر أسبوعين وحضره نحو (٤) آلاف مندوب يمثلون (١٥٠) دولة، ومن أهم أعمال هذا المؤتمر: **إنشاء صندوق دولي لتدعيم البحوث العلمية، ووضع نظام جديد لنقل التكنولوجيا من الدول الصناعة إلى الدول النامية**، وكذلك بحث سبل **تعزيز القرارات العلمية في الدول النامية**.

جائزة كافكا الجديدة

فاز الكاتب النمساوي (**بيتر هاندكه**) بجائزة فرانز كافكا على مجمل أعماله الروائية، الجائزة تقدر قيمتها بحوالي (**عشرة آلاف دولار**)، وقد منحته إياها بلدية مدينة «كلوستسرنبورغ» وهي المدينة التي توفي فيها كافكا.

* أحدث الكتب *

● «**كتاب الانفعال**»، **لرضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني**، تحقيق **أحمد خان**، صدر عن مطابع مجمع البحوث بباكستان.

* أحدث الكتب *

● «**المغاربة في النصف الثاني من القرن (١٨) الميلادي**»، تأليف رامون لوريدو، صدر عن **المعهد الثقافي الإسباني - العربي في مدريد**.

ندوة أدبية عن (موبسان)

عقدت في باريس ندوة أدبية تدور حول **الكاتب الفرنسي الشهير (جي دي موبسان)** الذي يعد أبا القصة القصيرة في القرن التاسع عشر، وكان من بين حضور هذه الندوة الرئيس الفرنسي الذي دافع عن (موبسان) في هذه الندوة خاصة عن غرامياته وقال بأنه لم يحب سوى (أمه)، ومن المعروف أن موبسان عاش خلال الفترة من (١٨٥٠م) إلى (١٨٩٣م) وتخصص في كتابة حياة الفلاحين والطبقة الوسطى.

معرض للرسام الإسباني ميرو

افتتح في **باريس** معرض **للرسام الإسباني (ميرو)** ضم أكثر من (٣٥٠) عملاً من أهم أعماله الفنية والتي تتضمن لوحات زيتية وتماثيل وزخرفات السجاجيد التي أنتجها الفنان خلال العشرين سنة الماضية.

مذكرات (جي دي موبسان)

جمع الناشر (**أوليفيه**) مذكرات الروائي الفرنسي الشهير (**جي دي موبسان**) في كتاب أصدره في **باريس** تحت عنوان (**على الماء**).

* أحدث الكتب *

● «**رسائل الشاعر هوجو**»، الجزء الأول ويشمل تلك الرسائل التي وجهها إلى ناشر أعماله (هتر ل)، أشرفت عليها **شيلا جودون**.

موسوعة إسلامية

ستصدر في اليابان ومع مطلع القرن الخامس عشر الهجري **موسوعة إسلامية باللغة اليابانية** وستقدم لمسلمي اليابان كهدية، صرح بذلك **الحاج محمد مصطفى كومورا مدير جمعية الصداقة الإسلامية اليابانية ومدير جمعية مسجد أوساكا**، وسيطلق على هذه الموسوعة اسم «**مختصر تاريخ الإسلام في اليابان**»، وهي تضم أربعة أجزاء تتحدث عن فجر الإسلام ومستقبله باليابان.

احصاء اللوحات والرسومات في بومباي

أعلن **البروفسور (أورست فيراي)** أستاذ التاريخ القديم في جامعة روما، أن عدد الصور التي أخذت للوحات والرسوم الجدرانية في مدينة **(بومباي)** الإيطالية بلغ (١٥) ألف صورة، وقال إن (٩٥٪) من اللوحات والرسوم صورت لأول مرة في التاريخ، ومن الجدير ذكره بأنه هو الذي أشرف على عملية الإحصاء الدقيق لعدد اللوحات والرسوم الجدرانية المختلفة التي عثر عليها في مدينة (بومباي) التي طمرها **بركان (فيزوف)** عام ٧٩ م.

* أحدث الكتب *

● «**الثنائية اللندنية**»، رواية صدرت في لندن **لسميرة المانع.**

* أحدث الكتب *

● مجموعة قصص قصيرة مختارة من أعمال اثنين وعشرين كاتب قصة من سورية، أصدرتها دار نشر (**فرلك ان فيلت**) وتهتم هذه الدار **بترجمة الأدب العربي المعاصر.**

رسالة من القرن الماضي

أعلنت وكالة (**تاس**) بأنه قد تم العثور على **رسالة عمرها (١٠٤)** سنوات وكاتبها هو العالم (**شارل فبريشت**) **رئيس بعثة الإستكشاف النمسوية المجرية** التي اضطرت عام ١٨٧٥ م إلى مغادرة السفينة بعد أن استحال عليهم الافلات من الجبال الجليدية التي تحيط بها والتي منعتها من الحركة، وقد عثر على هذه الرسالة أحد العمال الميكانيكيين خلال رحلة له في (**غرينلند**) في صندوق خشبي.

جهاز لقياس نسبة الذكاء

● ابتكر أحد أطباء الأعصاب في **العاصمة البريطانية** جهازاً حديثاً يعمل بالعقل الإلكتروني لقياس نسبة الذكاء لدى الأطفال حديثي الولادة، وذلك عن طريق رسم بياني معين.

بحث عن الجراك

● قدم أحد طلبة **جامعة الملك عبد العزيز بجدة** بحثاً عن **(الجراك)** بيَّن فيه أخطاره وآثاره، وأن النشوة التي تتركها «التعميرة» يعقبها **اكتئاب شديد**، وربما يسهل الإصابة بمرض **سرطان الرئة**، وقد أشرف عليه ثلاثة من أساتذة الكلية التي يدرس بها الطالب، وأشار أحد الأساتذة بأن هذه طريق بداية وستعقبها طرق أخرى في البحث.

التخلص من ضوضاء السيارات

● ابتكر مهندسو **السويد** طريقة جديدة لمنع ضوضاء السيارات تعتمد على تمرير غاز العادم بحركة لولبية متعرجة داخل علبة كاتمة للصوت، وتتم تجزئة تيار غاز العادم بواسطة جهاز عاكس يفصل جزئياته وبهذا يتم القضاء على الضوضاء نتيجة لتعدد ترددات ذبذبات الصوت، ويتم أيضاً التخلص من العادم.

أغرب إشارة في العالم

● ابتدعت الفنانة الأميركية (**اليزابيث كنج**) شكلاً غريباً مكوناً من هيكل معدني يحمل رأساً من الشمع يمثل السمات والملامح الحقيقية للفنانة، ليكون إشارة حركة لوقوف السيارات في أحد الشوارع المزدحمة.

زجاج نوافذ لتبريد المباني

● ظهر في **أميريكا** نوع جديد من **زجاج النوافذ**، خاصيته **تبريد العمارات والمباني وتوفير الطاقة المستهلكة في أجهزة التبريد.** والزجاج الجديد مغطى بأغشية شفافة من مواد خاصة تقوم باختزال **الأشعة تحت الحمراء** التي تحمل الحرارة من الشمس حتى يبرد المبنى.

آلة متعددة الأغراض

● أنتجت **الولايات المتحدة الأميريكية** آلة جديدة مركبة على هيكل من قطعة واحدة مما يعطيها صلابة أكبر، وباستطاعة العامل أن يستخدمها في الحفر، وأن تعمل عمل الفأس، أو المحراث، أو آلة التنقيب، وذلك بأن يغير بعض القطع فيها ليستخدمها حسب الوجه الذي يريده.



★ سعود بن فيصل ★

● إن التحدي الذي يواجه مواطن المملكة العربية السعودية يتمثل في الاستغلال الأفضل للدخل الناتج عن مصدر طبيعي متناقص بهدف بناء مجتمع مزدهر متطور، واقتصاد يستطيع التكفل بنفسه عندما ينضب البترول. كل ذلك بدون ضياع القيم الروحية والخلقية التي منحت في الماضي هذا المجتمع إرادة البقاء تحت أقسى الظروف.

سعود بن فيصل بن عبد العزيز - وزير الخارجية - جريدة «الجزيرة» السعودية

● أدباء اليوم يفتقدون الخلفية الثقافية العربية، أما جيلنا فقد كان يهتم أساساً بهذه الخلفية، فتزود بالشعر القديم والأدب القديم في مكانه وعند رجاله، وربما كان السبب هو أن المدرس نفسه غير متمكن من مصادر الأدب العربي فخرج أدباؤنا الجدد دون تعرف حقيقي بالموروث العربي القديم، وفي كل أدب لا بد أن يقرأ كل أديب أعلام الأدب في تاريخه كله قبل أن يتعرض لعملية التعبير بالكتابة.

علي أدهم - صحيفة «الشرق الأوسط»



★ د. معروف الدواليبي ★

● منذ بضع سنوات استمعت إلى إحدى الإذاعات الأجنبية تردد خبراً بظهور فئة من رجال الدين في اليونان ترفض القول بألوهية المسيح، وسبق أن قرأت كتاباً مطولا في ثلاثة مجلدات عن تاريخ المسيح والمسيحية لأستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس «السوربون» وهو الأستاذ «شارل كينيبير»، وإذ به يقرر، في الجزء الأول من كتابه، أن القول بألوهية المسيح وبالتثليث، وبأنه ابن الله، لم يعرف شيء من ذلك في حياة المسيح نفسه، بل يجزم في كتابه هذا: إن القول بأن المسيح ابن الله وأنه إله وأنه واحد من ثلاثة، إنما هو صورة للعقائد الوثنية في الهند والشرق الأقصى، نقلت إلى اوروبا وخاصة إلى روما في هجرات الشعوب «الهندواوروبية»، ثم ادخلت في عهد الإمبراطورية الرومية على الديانة المسيحية لتحل في شكلها الجديد محل عقيدة التثليث في عقائد روما الوثنية من غير تبديل إلا في الأسماء، وهذا ما سهّل على الروم بعد ذلك قبول المسيحية في نفس روما الوثنية من غير تبديل إلا في الأسماء.

د. معروف الدواليبي - «مجلة رسالة المسجد» السعودية



★ د. مصطفى محمود ★

● الموت هو أكبر حقيقة توصل الإنسان إلى الله.. أمام الموت يضيق الإنسان ويبدأ في التساؤل عن هذا العالم المنضبط تماماً من الذرة إلى المجرة. هذا الإعجاز الذي يحيط بنا لا بد وراءه فصل آخر، هذا العالم الذي نحياه ليس هو كل شيء. الذين يؤمنون بأن عالمنا الحالي هو كل شيء هم الوجوديون والعبثيون، والحياة لا تحتمل العبث، العبث يأتي من عقولنا نحن أما الحياة بألغازها وإعجازها فهي شيء لا بد من وجود شيء آخر وراءه.

الموت يجب أن يسلمنا لوقفة العدل النهائية.. العدل الكامل، الكون ينفي الفوضى، فلو تأملنا كل جزئية في الكون لكشفت لنا نظام محكم وقانون لا يفوته واحد من ألف من المليجرام.

د. مصطفى محمود - مجلة «الشرق» السعودية

● إن فهم رسوم الأطفال وتقديرها كفن أصيل معناه البدء بتحسس الطفولة وتحس الفن بحد ذاته، وقد قيل سابقاً إن الطفل هوالفنان الأكبر في الإبداع، وعليه فنحن الكبار ليست لدينا أشياء كثيرة نعلمه إياها.

مها نعمة مجلة «اقرأ» السعودية

القضاء في الإسلام

بقلم : د. محمد فاروق النبهان

القضاء في اللغة الحكم ، يقال قضى عليه أي حكم عليه ، وتأتي « قضى » بمعنى « مات » والقاضية هي الموت ، والقضاء في العرف الشرعي هو الفصل في الخصومات والمنازعات حسماً للتداعي ، وقطعاً للنزاع ، وفقاً للأحكام الشرعية ، وقال ابن خلدون عن القضاء بأنه : منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع ، إلا أنه بالأحكام الشرعية [1] المتلقاة من الكتاب والسنة .

تاريخ القضاء

كان العرب في **الجاهلية** يفتقدون النظام القضائي المنظم ، ويحتكمون إلى **شيخ القبيلة** الذي يحكم بينهم بحسب **الأعراف والتقاليد** الشائعة بينهم ، وقد اشتهرت « **قريش** » بين القبائل العربية بتوزيع المسؤوليات بين الأسر القرشية الكبيرة ، فكان القضاء في قريش من اختصاص « **بني سهم** » فضلاً عن اشتهار عدد من العرب بالرأي ، فكان الناس يحتكمون إليهم ، من أمثال : **حاجب بن زرارة ، والأقرع بن حابس ، وقس بن ساعدة ، وأكثم بن صيفي وعبد المطلب بن هاشم .**

وأحياناً كانوا يحتكمون إلى « **الكهان والعرافين** » ممن يعتقد الناس بفراستهم وقوة ملاحظتهم أو ممن يعتقد الناس بهم أن لهم صلة بالجن تطلعهم على الغيب .

القضاء في العصر الإسلامي

ابتدأ القضاء في **العصر النبوي** ينتقل من مجرد الاعتماد على الأعراف القبلية إلى **قضاء منظم يخضع القاضي** فيه لقواعد مدوّنة وثابتة ومبينة ، بحيث يلتزم القاضي بتلك القواعد ، **وكان الرسول الكريم ﷺ أول من تصدى للقضاء في المجتمع الإسلامي الوليد** ، فكان المسلمون يحتكمون إليه فيما يختلفون فيه ، فيحكم بينهم بما يريه الله من الحق والصواب ، ملتزماً بما ينزل عليه من وحي ، فإذا لم ينزل عليه وحي في المسألة المعروضة اجتهد بحسب رأيه ، معتمداً على ما يسمعه من الخصوم من أدلة وبينات .

فلما توفي الرسول ﷺ واتسعت رقعة الدولة الإسلامية وتعددت أسباب المنازعات وتكاثرت الخصومات اضطر **الخلفاء الراشدون** للتخلي عن القضاء في الأمصار البعيدة لمن يجدون فيه القدرة على

القضاء ، منشئين بذلك « **منصب القاضي** » ، ففي عصر **الخليفة عمر ابن الخطاب** عين قضاة على الأمصار منهم : **أبو موسى الأشعري** ، في البصرة ، **وشريح بن الحارث الكندي** في الكوفة ، **وعثمان بن قيس** في مصر ، ووضع هؤلاء قانوناً يلتزمون به ويهتدون بهديه ، ففي الكتاب الذي أرسله إلى أبي موسى الأشعري قال له فيه :

« ـ القضاء فريضة محكمة وسنَّة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

ـ آس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .

ـ البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر .

ـ الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنَّة ، ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور بنظائرها .

ـ المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرياً في شهادة زور ، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة » .

وكان القاضي يلتزم بحكم الله الوارد في **القرآن الكريم** فإن لم يجد التزم بما ورد في **السنة** ، فإن لم يجد **اجتهد** في ذلك إذا تبين له الحق ، فإن أعياه ذلك **استشار** الخليفة في الحكم مستلهمين جميعاً الحق والصواب ، ولهذا فقد اختلف الصحابة في كثير من الأقضية ، فكان كل فرد يلتزم بما يقتنع بأنه الصواب دون مجاملة لرأي القاضي أو الخليفة ، فإذا تبين لهم الصواب التزموا به جميعاً .

وكان « **المسجد** » هو المكان الذي تفصل فيه المنازعات ، فكان الخليفة يجلس فيه ، ويستمع إلى شكاوى الناس ، ويدرس مع أعوانه المشاكل العامة ، فيفصل في المنازعات بعد سماعه لأقوال الخصوم ، دون أن تسجل تلك الوقائع في سجلات منظمة .

تطور نظام القضاء في العصر العباسي

لم يعد النظام القضائي في **العصر العباسي** خاضعاً لنفس الأسس التي كانت متبعة في القرن الأول من حيث حرية القاضي في الاجتهاد في المسألة المعروضة ، وعدم التزامه بتقليد غيره ما لم يكن مقتنعاً بذلك ، وأصبح القاضي في هذا العصر **ملتزماً بتقليد آراء الأئمة** ، من الفقهاء الذين اعتمدت الدولة آراءهم دون أن يكون له الحق في الاجتهاد .

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ظاهرة التزام برأي الإمام المعتمد ازدهار الحركة الفقهية وظهور أئمة كانت لهم مناهج اجتهادية متكاملة في أصولها وفروعها ، وقد أدى هذا إلى انتشار الروح المذهبية في الأمصار الإسلامية ، وأصبح كل قطر يتعصب لمذهب من المذاهب الفقهية .

وفي هذا العصر ظهر منصب « **قاضي القضاة** » وهو الرئيس الأعلى للقضاة ، وكان يمارس دور التعيين والإشراف والتنظيم لكل ما يتعلق بشؤون القضاء لكي يمارس القاضي دوره في الدفاع عن الحقوق ، غير أن اتساع سلطة القضاء واخضاع منصب قاضي القضاة إلى الرئيس الأعلى للدولة قد أدى بطريقة غير مباشرة إلى تدخل الحكام في القضاء وممارستهم الضغوط على القضاء لكي يخضع لإرادة وسياسة الدولة .

ومن أوائل من تولى منصب قاضي القضاة : **أبو يوسف يعقوب ابن إبراهيم** المتوفي سنة ١٨٢ هـ ، وكان أبو يوسف تلميذاً للإمام **أبي حنيفة** ، ومن كبار فقهاء المذهب الحنفي ، وممن اشتهر بالتدوين الفقهي ، وترك « أبو يوسف » كتباً هامة لم يصل منها إلينا إلا القليل ، ومن أشهر تلك الكتب « **الخراج** » الذي كتبه بناء على طلب **الخليفة هارون الرشيد** عندما أراد تنظيم **بيت المال** ، وقد استهدف من كتابه أن يوجه الخليفة نحو حماية أموال الناس عن طريق تولية الأمناء الصادقين على جباية أموال الصدقات والخراج[٢] .

شروط القاضي

ذكر العلماء **الشروط العامة** التي يجب توافرها في القاضي ، ولا يجوز لمن لا تتوفر فيه تلك الشروط تولي القضاء ، لأن القضاء نوع من الولاية ، ويحتاج لشروط معينة .

وهذه الشروط هي :

●● أولا : **الإسلام :** ويعتبر الإسلام شرطاً في ولاية القضاء انطلاقاً من القول بأن الإسلام شرط في قبول الشهادة ، ولأن القضاء ولاية ، ولا ولاية لغير المسلم على المسلم ، وأجاز « أبو حنيفة » تقليد القضاء لغير مسلم ليقضي بين أهل دينه .

●● ثانياً : **البلوغ والعقل :** وهذان الشرطان بديهيان ، لأن كلاً منهما لا يولى على نفسه فأولى به ألا يولى على غيره ، ولأن طريق الاجتهاد في الحوادث معدومة فيهما[٣] . ويضيف **الإمام الماوردي** معللاً اشتراط العقل « حتى يكون صحيح التميز ، جيد الفطنة ، بعيداً عن السهو والغفلة ، يتوصل بذكائه إلى ايضاح ما أشكل وفصل ما أعضل »[٤] .

●● ثالثاً : **الذكورة :** ذهب معظم العلماء إلى **عدم جواز تقليد المرأة القضاء** ، وأجاز « أبو حنيفة » تولي المرأة القضاء في كل ما تقبل فيه شهادتها ، وشرح **الكاساني** هذا الرأي بقوله : وأما الذكورة فليست من جواز التقليد في الجملة ، لأن المرأة من أهل الشهادات في الجملة ، إلا أنها لا تقضي بالحدود والقصاص ، لأنه لا شهادة لها في ذلك ، وأهلية القضاء تدور مع أهلية الشهادة[٥] . ولم يكتف « **ابن جرير الطبري** » بما ذهب إليه أبو حنيفة ، وإنما أجاز للمرأة أن تتولى القضاء في جميع الأحكام ، إلا أن الإمام الماوردي في كتابه « **الأحكام السلطانية** » انتقد رأي ابن جرير وأنكره وقال : لا عبرة بقول يرده الإجماع .

●● رابعاً : **سلامة الحواس :** ويراد بهذا أن يكون سميعاً بصيراً لكي يتمكن من إثبات الحق عن طريق تمييزه بين المقر والمنكر والطالب والمطلوب ، وأجاز الإمام « **مالك** » قضاء الضرير لأن شهادته مقبولة ، ولم يشترط الفقهاء سلامة الأعضاء ، لأنها لا تؤثر في القضاء بخلاف الولاية .

●● خامساً : **العلم :** ويراد بالعلم ، العلم بالأحكام الشرعية الشاملة لكل ما يتعلق بالعلم بكتاب الله وسنّة رسوله وآراء السلف والعلم بالقياس الذي يوجب عليه رد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها .

فإذا استطاع القاضي أن يعرف تلك الأصول فهو من أهل الاجتهاد ، ويجوز توليته القضاء ، وإلا فلا يجوز له توليته القضاء ، لأن حكمه مردود وقضاءه باطل لأنه ليس من أهل العلم[٦] .

وأجاز « أبو حنيفة » تولية القضاء للمقلد إذا استوعب آراء العلماء ، واعتبر « الكاساني » : « أن العلم بالحلال والحرام وسائر الأحكام ليس بشرط الجواز بل شرط الندب والاستحباب » ، ووضح هذا بقوله : إلا أنه لو قلد جاز عندنا لأنه يقدر على القضاء بالحق بعلم غيره بالاستفتاء من الفقهاء ، فكان تقليده جائزاً في نفسه ، فاسداً لمعنى في غيره ، والفاسد لمعنى في غيره يصلح للحكم عندنا مثل الجائز حتى تنفذ قضاياه التي لم يجاوز فيها حد الشرع[٧] .

●● سادساً : **العدالة :** وتعتبر العدالة شرطاً في كل ولاية ، ويراد بالعدالة عند الماوردي : « أن يكون صادق اللهجة ، ظاهر الأمانة ، عفيفاً عن المحارم ، متوقياً المآثم ، بعيداً عن الريب ، مأموناً في الرضا والغضب مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودنياه »[٨] .

ولم يشترط **أبو حنيفة** العدالة في القاضي واعتبرها « **شرط كمال** » ، **وأجاز تولية القضاء للفاسق** ، وتنفذ قضاياه إذا لم يجاوز فيها حد الشرع ، ولم يجز **الشافعي** تولية القضاء للفاسق لأن الفاسق ليس من أهل الشهادة[٩] .

وهناك اتفاق بين العلماء على وجوب تولية القضاء لمن تتوفر فيه صفات العدالة ، إلا أن الخلاف ينحصر فيما إذا ولي الفاسق القضاء ، فالشافعي يعتبر التولية باطلة ، بينما يعتبرها أبو حنيفة جائزة .

حكم طلب ولاية القضاء

يعتبر تعيين القضاة أمراً واجباً ، لأن الحق لا يتأكد إلا بدعم القضاء له ، فإذا خلا المجتمع من القضاء ، سادت شريعة الغاب ، وانتصر مبدأ القوة ، لأن القضاء مكلف بأن ينتصر الحق عندما يضعف أصحاب الحقوق عن الدفاع عن حقوقهم .

ولا ينبغي للحاكم أن يولي القضاء إلا لمن يتوسم فيه تحقيق العدل ، ولهذا فلا ينبغي أن يقلد الحاكم القضاء لمن يطلبه ، لأن طالب القضاء متهم ، ويؤثر طلبه في عدالته ، ويفصل الإمام الماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » في حكم طلب القضاء ، ويرى أن طالب القضاء إذا لم يكن من أهل الكفاءة والاجتهاد فلا يجوز له طلب القضاء ، لأن ذلك يجرح في كفاءته ، أما إذا كان من أهل الكفاءة والاجتهاد فعندئذ ينظر في سبب رغبته في طلب القضاء ، فإن كان يريد من ذلك الحاق الضرر بالقاضي الأول وعزله لعداوة أو حسد أو حقد ، فإن ذلك مخل بعدالته ولا يصلح للقضاء .

أما إذا كانت رغبته في طلب القضاء لانقاذه من قاض جاهل أو جائر ، بقصد دفع المنكر والانتصار للحق والعدل فيعتبر مثاباً ومأجوراً .

ونلاحظ أن الباعث هو الذي يحدد الحكم على من يطلب الولاية ، فهو مثاب إن قصد الانتصار للحق ، وهو آثم إن قصد مصلحته الأنانية على حساب مصلحة الجماعة ، وإن قصد مجرد المنزلة الاجتماعية فهذا مكروه ، لأن القاضي يجب أن يسمو في تطلعاته عن عواطفه الشخصية ، وأن يرتقي إلى الدرجة التي يستشعر فيها كامل المسؤولية بعيداً عن الرغبة في التفاخر والمباهاة .

حكم رفض منصب القضاء

يختلف حكم رفض منصب القضاء بحسب الحاجة إلى أهل الكفاءة ومدى توافرهم ، فإن تعين منصب القضاء في شخص واحد ، لعدم وجود من يقدر على القيام بهذا الواجب أصبح قبوله بالقضاء مفروضاً عليه ، لحاجة الأمة إليه[١٠] .

وإن تعددت الكفاءات فلا يجبر أحدهم على قبول القضاء ، لوجود من يصلح للمنصب غيره ، **وقد رفض عدد من العلماء في العصور الإسلامية منصب القضاء ، وبعضهم ضرب بسبب ذلك الرفض ، ولعل السبب في رفض العلماء المتأخرين للقضاء هو شعورهم بعدم استقلال القضاء ، وخشيتهم من تدخل السلطة في قضائهم ، فيحكمون بغير ما يرضي ضمائرهم ، وربما كان رفض البعض للقضاء هو التعبير الضمني عن عدم ولائهم للسلطة القائمة وعدم اعترافهم**

بشرعيتها(١١) .

ولا شك أن مثل تلك المواقف الرافضة من رجال العلم والفكر خلال تاريخنا الإسلامي هي التي مكنت لهم مكانتهم في نفوس الجماهير ، وجعلتهم موطن الثقة والاعتزاز ، لأن القضاة هم رعاة الحق والعدل ، ولا يجوز لهم أبداً أن يخونوا ضمائرهم إذا وجدوا أي انحراف عن المنهج الصحيح ، ومهما كان ثمن الدفاع عن الحق والعدل غالياً فإن ثمن السكوت عن الظلم والانحراف أكبر ، لأنه يهدم فيهم ضمائرهم التي لن يحيوا بدونها أبداً .

انعقاد ولاية القضاء

تعتبر ولاية القضاء عقداً من العقود ، ولا بد فيها من ايجاب وقبول يقترنان بصيغة تعبِّر عن معنى القضاء ، وهذه الصيغة قد تكون صريحة تدل على رغبة المولِّي (بكسر اللام) بتولية المولَّى - بفتح اللام - القضاء وتشمل الألفاظ التي تدل على التقليد والانابة والتولية والاستخلاف .

وقد تكون الألفاظ ليست صريحة ، وإنما تدل على التولية من خلال اقترانها ببعض القرائن الأخرى مثل قول المولي : اعتمدت عليك ، وعولت عليك ، وجعلت إليك ، وفوضت إليك ، وهذه التعبيرات عامة تفيد القضاء وغيره ، ولهذا فتحتاج إلى قرينة تفيد الرغبة في تقليد المخاطب ولاية القضاء ، فإذا تم الايجاب صحيحاً مستوفياً لأركانه توقف الأمر على قبول المخاطب بالولاية بلفظ يعبر عن ذلك(١٢) .

ولا يجوز للحاكم أن يولي منصب القضاء إلا لمن يجد فيه القدرة على القيام بهذه المسؤولية سواء من حيث الجانب الشخصي أو الجانب العلمي ، ويتحمل المولِّي - بكسر اللام - مسؤولية من يوليه من القضاة ، فإذا اختار شخصاً وهو يعتقد بعدم جدارته وكفاءته اعتبر آثماً لأنه سلم المسؤولية لغير أهلها ، وإن اختاره معتقداً فيه الكفاءة ثم ثبت لديه أنه غير أهل لذلك وجب عليه عزله ، ويعتبر حكمه قبل العزل نافذاً .

صلاحيات القاضي

تختلف صلاحيات القاضي بحسب الولاية المعقودة له ، فقد تتسع وقد تضيق ، ويقسم العلماء المسلمون أنواع القضاة بحسب اختصاصاتهم إلى ثلاثة :

١ - القاضي ذو **الولاية العامة** ، ويعتبر **اختصاصه شاملاً** لكل ما يتعلق بشؤون ولايته من الفصل في المنازعات وقطع التشاجر والخصومات ، واستيفاء الحقوق عن طريق البينة والإقرار ، وإثبات الولاية على فاقديها من الصغار والمجانين ، والنظر في الأوقاف عن طريق حفظها وتنميتها وصرفها في الأماكن المخصصة لها ، وتنفيذ الوصايا وفق رغبة الموصي وشروطه ، وتزويج الأيامى بالاكفاء عند عدم وجود أولياء لهن ، وإقامة الحدود على مستحقيها بعد ثبوتها لديه ، والنظر في المصالح العامة ، والإشراف الأمين على موظفيه ومساعديه .

٢ - القاضي ذو الولاية العامة في مكان خاص : ويسمى « **عام النظر خاص العمل** » ، ويراد به القاضي الذي تحدد سلطات عمله في منطقة معينة كجزء من البلد ، أو في قضايا معينة ، قال **أبو عبد الله الزبيدي** : « لم تزل الأمراء عندنا **بالبصرة** برهة من الزمن يستقضون قاضياً على المسجد الجامع ، يسمونه **قاضي المسجد** ، يحكم في مائتي درهم وعشرين ديناراً فما دونها ، ويفرض النفقات ولا يتعدى موضعه ولا ما قدر له »(١٣) .

٣ - القاضي في **مسألة معينة** : ولا يجوز له أن ينظر في غير المسألة الخاصة المكلف بها ، فإذا أنهى مسألته وحكم بها انتهت مهمته .

تعدد القضاة

ذكر الفقهاء المسلمون **حكم تعدد القضاة في بلد واحد** ، وأجازوا ذلك بدون خلاف في حالتي **التخصص المكاني أو الموضوعي** ، بحيث يتخصص كل قاض بمنطقة معينة من البلد ، أو يتخصص كل واحد منهم بموضوع معين ، دون أن يحق لغيره النظر فيه ، ويبدو أن مثل هذه الظاهرة كانت قائمة خلال التاريخ الإسلامي في المدن الكبيرة ، حيث يحتاج الناس إلى أكثر من قاض وعندئذ يتخصص كل واحد منهم تخصصاً مكانياً أو موضوعياً .

ثم اختلفوا بعد ذلك في حكم تعدد القضاء دون وجود ما يشير إلى تخصص كل منهم باختصاص معين ، كأن يتم تعيين قاضيين في بلد واحد ويكون كل منهما عام النظر مكاناً وموضوعاً ، فمن أجاز ذلك اشترط أن يتفقا على الحكم لأنهما في ذلك كالوكيلين ، ومن منع ذلك خشي من اختلافهما في الرأي مما يؤدي إلى عجزهما عن الحكم ، ومن ذلك ما رواه بعض المؤرخين من أن **الخليفة المهدي العباسي** فوض القضاء في **البصرة** لاثنين من القضاة فكانا يجتمعان وينظران في كل مسألة تعرض عليهما ، فتقدم إليهما قوم في جارية لا تنبت ، فقال فيها الأول : هذه فضيلة في الجسم ، وقال فيها الآخر : كل ما خالف ما عليه الخلقة فهو عيب(١٤) .

ويبدو أن الاختلاف ناتج عن الخشية من تباين الآراء مما يعرقل الوصول إلى الحكم ، فإذا انبثق التعدد من الرغبة في التخصص المكاني أو الموضوعي أو للتأكد من صدق الأدلة فهذا أمر مطلوب ، لأن ذلك يحقق دقة أكثر في النظر والحكم .

جواز تعدد القضاء في المسألة الواحدة

أجاز الفقهاء للقاضي المجتهد إذا قضى في مسألة اجتهادية بحكم ، ثم تغير رأيه فيها ، أن يقضي في المسألة الجديدة بحسب رأيه الجديد المناقض لحكمه الأول ، ولا يعتبر الحكم الثاني ناقضاً للحكم الأول ، لأن الحكم الأول متفق على صحته ، واجتهاده الثاني لا ينقض حكمه الأول لأن احتمال الخطأ وارد فيه .

وكذلك لا يجوز لأي قاض أن ينقض حكم قاض سابق له في القضايا الاجتهادية ، لإجماع العلماء على صحة الحكم الأول ، ولا ينقض برأي اجتهادي قابل للخطأ ، لأنه لو جاز النقض للثاني لجاز للقاضي الثالث أن ينقض القضاء الثاني ، وهكذا تعلق الأحكام ، ويستثنى من ذلك صدور الحكم الأول مخالفاً لحكم منصوص عليه ، وفي هذه الحالة يجب نقض الحكم الأول لصدوره باطلاً من الأساس ، ويختلف أمر النقض بنص صريح عن النقض برأي اجتهادي لا يمكن الجزم بصوابه .

وقد أجمع العلماء على وجوب نقض الحكم المخالف لنص واضح الدلالة ، وأكد ابن قدامة إجماع العلماء على نقض الحكم المخالف للكتاب والسنّة والإجماع لأنه حكم خاطىء ، ويجب الرجوع عن الخطأ إلى الصواب .

حكم خطأ القاضي في القضاء

إذا أخطأ القاضي في القضاء دون تقصير منه ثم اكتشف الحقيقة بعد ذلك فلا يعتبر مسؤولا عن الضمان ، لأنه لم يقصر في البحث عن الحقيقة ، ولأنه كان يلتمس المصلحة بحسب ما توفر لديه من القناعة ، فإن كان القضاء في مال ما زال قائماً أعاده لصاحبه ، وإن استهلكه المقضى له ألزمه الضمان ، وإن كان القضاء في قضية ليست مالية كالحكم بالطلاق ألغى الحكم وأبطله ، وإن كان القضاء في حق من حقوق الله فيعتبر بيت المال مسؤولا عن التعويض ، لأنه حكم لمصلحة المسلمين فالتعويض يقع عليهم من بيت مال المسلمين [15] .

مدى نفاذ قضاء القاضي الفاسق

أجمع العلماء على وجوب عزل القاضي إذا ثبت فسقه ، لأن الفاسق لا يؤتمن على حقوق الناس ولا يصلح للقضاء بينهم ، لأنه مطعون في سلوكه مما يفقد المتخاصمين الثقة به .

ويبدو أن وجوب العزل أمر متفق عليه ، وقد أكد **ابن عابدين** أن القاضي إذا فسق استحق العزل ، وقال : إن هذا هو ظاهر المذهب « الحنفي » وعليه مشايخنا **البخاريون والسمرقنديون** ، إلا أن هناك من العلماء من يذهب إلى اعتبار الفسق سبباً للعزل دون حاجة إلى عزل الحاكم له ، لأن من شروط أهلية القضاء العدالة ، فإذا اختل هذا الشرط فعندئذ ينعزل القاضي بسبب فقدانه لشرط من شروط أهلية القضاء ، وهذا هو مذهب الإمام الشافعي ، والفرق بين الرأي الأول والثاني أن الأول يوجب على الحاكم عزله وتعتبر أحكامه نافذة حتى يعزل ، بينما يذهب الشافعي إلى اعتبار أحكامه باطلة منذ طروء صفة الفسق عليه .

وأخيراً

فإن القضاء في الإسلام يمثل السلطة التي تسهر على حماية الحقوق ، ولقد ظلت هذه السلطة تمارس دورها العظيم دون تدخل من السلطات الأخرى خلال الفترة الأولى من التاريخ الإسلامي ، فأعطت العطاء العظيم ، وأسهمت في إقامة مجتمع فاضل يمارس فيه دوره التوازني دون انحراف ، فلما أخضع القضاء لمصالح الحكام والمتنفذين ابتدأت مكانته تهتز ، والثقة به تضعف ، ولا بد لنا من أن نعيد للقضاء مكانته في النفوس عن طريق تدعيمه بالعناصر القادرة على إعطاء المثل الأعلى في تحمل مسؤولية الدفاع عن الحق والعدل ، لكي نستطيع أن نبتدىء من جديد رحلة العودة إلى تلمس معالم شخصيتنا الإسلامية التي قدمت لنا « منهجية فكرية وسلوكية وتنظيمية » متكاملة المعالم ، متوازنة الأسس ، تغذي فينا النزوع الارتقائي عن مقتضى ما تدعو إليه النفوس من أنانية وحقد ، ولا شك أن التربية الوجدانية تخفف الأعباء عن كاهل القضاء عن طريق مراقبة الفرد لذاته ، ومجتمعنا اليوم يتطلع إلى أن يقيم نهضته المعاصرة من خلال تدعيمه لإنسانية المواطن لكي يكون ثروة متجددة العطاء دائمة الإشراق .

الهوامش

(١) انظر « نظام الحكم في الإسلام » للدكتور محمد فاروق النبهان ، ص ٦١٤ .
(٢) انظر ضحى الإسلام لأحمد أمين ، جـ٢ ص ٢٠١ .
(٣) انظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي ، ص ٤٤ .
(٤) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٦٥ .
(٥) انظر بدائع الصنائع ، جـ٧ ص ٣ .
(٦) انظر الأحكام السلطانية ، ص ٦٦ .
(٧) انظر الأحكام السلطانية ، ص ٦٦ .
(٨) انظر بدائع الصنائع ، جـ٧ ص ٣ .
(٩) انظر بدائع الصنائع ، جـ٧ ص ٣ .
(١٠) انظر بدائع الصنائع للكاساني ، جـ٧ ص ٤ .
(١١) انظر تاريخ التشريع الإسلامي للخضري ، ص ٢٣٠ .
(١٢) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٦٩ .
(١٣) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٧٢ - ٧٣ .
(١٤) انظر تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ٩١ - ٩٣ .
(١٥) انظر بدائع الصنائع للكاساني ، جـ٧ ص ١٦ .

ابن خلدون

في الفكر المعاصر

بقلم : د حسين فوزي النجار

ما من مفكر عربي نال من تقييم المستشرقين وتقدير مفكري الغرب ما ناله **ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون** ، العربي المحتد ، حيث ينتهي نسبه إلى **معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر** ، والتونسي المولد حيث ولد بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ (٢٧ مايو/أيار ١٣٣٢ م) ، والعالم العربي قد تقسمته الأرزاء وحطت به الفرقة ، وأعلام الإسلام تتهاوى عن بلاد الأندلس والشمال الإفريقي ، أو ما عرف بالمغرب الإسلامي قد ناشته الثورات والفتن وحطمته الصراعات السياسية . وبقيت تونس في هذا العالم المضطرب منارة الفكر في بلاد المغرب الإسلامي ، وملاذ علماء الأندلس ومنزلهم بعد أن قذفت بهم الأحداث إلى الجانب الآخر من العدوة .

وكانت تونس هي الأخرى ، رغم ازدهار مدارسها العلمية والفكرية ، مسرحاً للعنف تموج بالصراع السياسي الحاد بعد انهيار دولة الموحدين في المغرب والأندلس ، وكانت تعرف بإفريقية ، فإذا قيل إفريقية فإنما تعني مملكة تونس بين **خليج قابس** شرقاً **والجزائر وتاهرت** غرباً ، تمييزاً لها عن المغرب الأوسط والمغرب الأقصى في تلك الساحة من الشمال الإفريقي .

وشهد ابن خلدون من أحداث عصره ومحافل تجواله ما ترك أثره على حياته وكان من المشاركين فيها ، بل كان في الكثير منها من اللاعبين الأول على مسرحها ، فعانى منها ، حتى قذف به بعضها إلى السجن حيث قضى عامين ، حيث تآمر مع أمير بجاية المخلوع على وليه وأميره السلطان **أبي عنان** أعظم سلاطين المغرب حينذاك . وكان ابن خلدون يعمل لفرار أمير بجاية من سجنه في فاس ، ويسعى له في استرجاع ملكه ، ولم يطلق سراحه إلا بعد موت أبي عنان .

وكان ابن خلدون نمطاً لرجال عصره ، يتقلب من بلاط إلى بلاط ، يقف إلى جانب الظافر أو من يلوح الظفر بركابه ، لكنه لم ينل غير النصب والعناء ، فلم يحقق من طموحه ما كان يصبو إليه من مناصب الحجابة أو الوزارة شيئاً ، فقد كان كما يقول : « **يسمو بطغيان الشباب إلى أرفع مما كان فيه** »[1] ، حتى ألجمه الخوف على حياته واليأس مما يصبو إليه إلى النزوح إلى **الأندلس** علّه يجد فيها أملاً جديداً .

وبالرغم مما لقيه ابن خلدون في **غرناطة** من أميرها ومن وزيره **لسان الدين بن الخطيب** في مقامه الجديد بالأندلس من رعاية واكرام ، فإن ابن الخطيب أخذ يخشاه ويخشى أن تكون له الحظوة لدى الأمير ، وأحس ابن خلدون أنه يوقع بينه وبين أمير غرناطة ، فخاف المغبة ، وكان صاحبه وصفيه القديم **أبو عبد الله محمد** أمير بجاية قد استرد ملكه وإمارته ، فآثر العودة إليه ، وغدا الحاجب في بلاطه . وكانت الحجابة كما يصفها هي : « **الاستقلال بالدولة** والوساطة بين **السلطان وأهل مملكته لا**



يشاركه في ذلك أحد»(٢) .

ولكن المحن لا تهادنه ، فما لبث أمير بجاية أن قتل ، وما كان يقعد بـه الوفاء عن الولاء للأمير الجديد والعمل معه ، لولا أن الأمير الجديد أنكره ورغب عن خدمته . .

«وكانت نفسه ـ كما يقول ـ قد سئمت يومئذ مخاطر المغامرة ، وأهوال الوظيفة ، وزهدت في غواية الرتب ، واشتاقت إلى الدرس بعد أن هجرته طويلاً . . فلم يلب طلب أمير تلمسان لخدمته . وبعث بأخيه يحيى بديلاً عنه .

لكنه ما لبث طويلاً حتى رجع إلى معمعة السيادة يخوض غمراتها ويصطلي بنارها ، فقد أخذ يدعو القبائل لنصرة أمير تلمسان ، ثم انقلب عليه ، وظلت الأحداث تتقاذفه ، ولم تكن لتلين لجانب من المتنافسين حتى تتقلب عليه ، وقد أودت هذه الأحداث بقرنه وصديقه ومنافسه **لسان الدين بن الخطيب** ، ولم يفلح ابن خلدون في انقاذه ، وقتل خنقاً في سجنه وأحرقت جثته تجاه باب المحروق أحد أبواب **فاس** التاريخية»(٣) .

وكان ابن خلدون أحسن حظاً من صاحبه حين نجا من بطش سلطان فاس ، وكان الحنين إلى البحث والدراسة قد عاوده ، فقصد بني عريف ولاذ بهم فأنزلوه وأسرته قصراً من قصورهم في **قلعة ابن سلامة** من أعمال توجين إلى الجنوب من إقليم **قسنطينة** . ونأى بنفسه عن السياسة ودسائسها وصراعاتها ، وبدأ كتابة موسوعته التاريخية «**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**» ، وكان قد بلغ الخامسة والأربعين ، فاستقامت بصيرته واكتمل فكره ، ونضجت مواهبه ، وله من خبرته في دروب السياسة ودهاليزها ومن تجواله في صحراء المغرب وهضابها ووديانها داعياً لهذا أو ذاك من السلاطين والأمراء بين قبائلها ، ومن إدراكه العميق لطبائع الحياة وعلاقات البشر خير معوان له على الفكر والتدوين ، وبدأ سفره الجليل بكتابة «**المقدمة**» وفرغ منها في خمسة أشهر ، ويقول : «**وأكملت المقدمة على هذا النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة ، فسالت فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها ، وتألفت نتائجها**»(٤) .

ومضى في كتابة تاريخه ، فكتب **تاريخ العرب والبربر وزناته** ، ثم رأى أن يكتب تاريخاً عاماً للخليقة ، على غير ما كان يريد في قصده «**التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه ، وذكر ممالكه دون ما سواه من الأقطار ، لعدم اطلاعي على أحوال المشرق وأممه ، وإن الأخبار المتناقلة لا توفي كنه ما أريده منه**»(٥) .

ورأى أن يعود إلى تونس حتى يستوفي مراجعه من مكتباتها الغنية الزاخرة بالأسانيد ، والمصادر ، وكان على تونس **السلطان أبو العباس** المؤسس الثاني **للدولة الحفصية** ، وقد عمل ابن خلدون من قبل حاجباً له في بجاية ثم سخط عليه ، فلما أزمع العودة كتب إليه يستأذنه ويرجو عفوه ، فصفح عنه السلطان وأذن له وأكرم لقياه وقربه وشاوره في أموره(٦) ، وأعد له ما يلزم لراحته ومعيشته .

وعكف ابن خلدون على الدراسة والبحث ، ووجد من السلطان كل رعاية وتشجيع ، فلما فرغ من نسخته الأولى رفعها إلى مولاه «**السلطان أبي العباس**» وأنشده قصيدة يمدحه وينوه بفضله . ويذكر له كتابه ويقدمه إليه ، يستهلها بقوله :

هل غير بابك للغريب مؤمل
أو عن جنابك للأماني معدل
هي همة بعثت إليك على النوى
عزماً كما شحذ الحسام الصيقل

ومنها :

أرح الركاب فقد ظفرت بواهب
يعطي عطاء المنعمين فيجزل
لله من خلق كريم في الندى
كالروض حياه ندى مخضوضل

ثم ينوه بكتابه يذكره للسلطان ، فيقول :

وإليك من سير الزمان وأهله
عبراً يدين بفضلها من يعدل
صحفاً تترجم عن أحاديث الألى
غبروا فتجمل منهم وتفصل
تبدي التبابع والعمالق سرها
وثمود قبلهم وعاد الأول

والقــــائمون بملـــة الإســـــلام مــــن
مصر ويـــربرهم إذا مـــا حصـــلوا
وجعلتـــه لســـوار ملـــكك مفخـــراً
يبهى النـــدى بـــه ويـــزهو المحفـــل

وكان ابن خلدون قد انتهى في نسخته هذه ، بعد المقدمة ، إلى أخبار البربر وزناته وتاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ الدول الإسلامية ، ووصل بأخبار المغرب إلى استرجاع السلطان أبي العباس « توزر » عام ٧٨٣ هـ ، ثم استكملها من بعد بإضافات في تاريخ الدول الإسلامية في المشرق وتاريخ الدول القديمة والدول النصرانية .

وبالرغم من أنه عاف السياسة ومآسيها وابتعد عنها ، إلا أن الدسائس لم تبعد عنه وظلت تحيط به ذلك أن في مثل هذه المجتمعات القلقة حيث تكون الإرادة كلها للسلطان ، تكون القربى من السلطان أكثر إثارة للحفيظة والتنافس من العمل السياسي ، بل إن العمل السياسي نفسه يغدو نفاقاً لصاحب السلطان وقربى منه لا ينطق فيه المرء عن رأي قدر ما يكون رأيه تشيعاً لرأي السلطان . **وحيث تكون السلطة يكون الرأي** ، ولعل في هذا ما يفسر تقلب ابن خلدون بين سلطان وسلطان ، فلما عاف السياسة ، لم يعفه هذا من الحظوة لدى السلطان ، فبقيت الدسائس تحيط به ، لكنها لم تغير قلب السلطان عليه وبقي يؤثره ويقربه ويبطن له الود ، فيصحبه في حله وترحاله كما يصحبه في غزوه ، وكان البحث والدرس قد أخذه أخذاً شديداً ووجد فيه راحة نفسه وعقله ، ولم يكن في ذاته يأمن غدر السلطان وسعاية الساعين إلى السلطة والمتزاحمين عليها ، فسعى إلى الهجرة ، واتخذ من رغبته في الحج عذراً للرحيل ، ولعله رأى في مصر منتجعه ومثواه الأخير ، فرحل عن المغرب إلى غير عودة في منتصف شعبان ٧٨٤ هـ (أكتوبر/تشرين الأول ١٣٨٢ م) ، ونزل مصر حيث قضى بقية حياته ، ولم يكمل رحلة الحج ، وإن حج واعتمر بعد ذلك بسنوات .

وكانت شهرته قد سبقته إلى مصر وعليها **السلطان الظاهر برقوق** ، فأكرم وفادته وحفه بالرعاية ، ويقول في ذلك : « فأبر مقامي ، وآنس الغربة ، ووفر الجراية من صدقاته ، شأنه مع أهل العلم » .

وبهرته القاهرة ، كما بهر هو الأخر القاهريين ، فيقول عن القاهرة إثر نزوله بها :

« فرأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وايوان الإسلام ، وكرسي الملك ، تلوح القصور والأواوين في جوه ، وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه ، وتضيء البدور والكواكب من علمائه ، قد مثل بشاطىء النيل نهر ، ومدفع مياه السماء ، يسقيه العلل والنهل سيحه ، ويجبي إليهم الثمرات والخيرات ثجه ، ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة ، وأسواقها تزخر بالنعم . . »[٧] .

وفي مصر عمل ابن خلدون بالتدريس كما ولي قضاء المالكية « فباشره بحرمة وافرة ، وعظمه زايدة ، وحمدت سيرته ، ودفع رسائل أكابر الدولة ، وشفاعات الأعيان »[٨] ، فلما اعتزل قضاء المالكية بعد عام من توليه ، انقطع للدرس والتأليف ، كما قام بتدريس الفقه المالكي **بالمدرسة الظاهرية** التي أنشأها السلطان برقوق في حي بين القصرين ، كما درس **الموطأ للإمام مالك** في مدرسة « صرغتمس » وكانت تقع قريباً من القلعة شمال جامع ابن طولون ، وولي القضاء مرة ثانية ، ثم عزل عنه ، ولعل شدة أحكامه وجفوته للوساطة كانت سبب عزله في المرتين ، ثم وليه بعد ذلك مرات عديدة ، يولى فيعزل ، حتى وليه للمرة السادسة قبيل وفاته بأسابيع قليلة ، ففي السادس والعشرين من رمضان سنة ثمان وثمانمائة للهجرة (١٦ مارس/آذار ١٤٠٦ م) ، توفي المؤرخ والمفكر الذي شغل الفكر من بعد بأكثر مما شغله أي مفكر عربي آخر ، وذلك عن ثمان وسبعين سنة من حياة حافلة بالأحداث بدأت في تونس وانتهت في القاهرة ، وكان مولده في غرة رمضان وكانت وفاته في ليلة القدر من ختامه ، وخرج من نصب الحياة ولغوبها بالمقدمة التي كرست سيرته وأبعثت ذكره في العالمين .

ابن خلدون والفكر الغربي

عرف الفكر الغربي ابن خلدون في وقت متأخر ، ولم يحفل به الفكر العربي إلا أخيراً . وقد عرف الفكر الأوروبي من قبله كثيراً من المؤرخين والفلاسفة العرب **كالمسعودي وأبي الفدا وابن خلكان وابن عربشاه وابن رشد والفارابي وابن سينا** وترجمت بعض آثارهم إلى اللاتينية قبل أن تعرف أوروبا ابن خلدون بآماد طويلة[٩] .

وحين تناولت موسوعة « **دربلو** »[١٠] الشرقية ، في أواخر القرن السابع عشر ترجمة ابن خلدون أوجزتها فلا تكاد تعطي صورة لفكره أو تشير إلى إبداعه فضلاً عن الأخطاء العديدة التي وقعت فيها . ومضى قرن بأكمله قبل أن يترجم له المستشرق الفرنسي « **سلفستر دي ساسي** » وينقل إلى الفرنسية بعض فقرات من المقدمة ، وكان ذلك عام ١٨٠٦ م ، ثم عاد ونشر أجزاء أخرى من المقدمة ، حتى قدم له ترجمة أوفى ضمنها تراجمه العامة « Biographie Universelle » مع عرض واف للمقدمة ، ثم جاء « **فون هامار** » المستشرق النمساوي ، فكان أول من تناول نظريته في أفول الدولة وانحلالها ودعاه « **مونتسكيو** » العرب ، وكان ذلك في الوقت الذي عرض « **دي ساسي** » لمقدمة ابن خلدون وحياته .

وفي عام ١٨٥٨ م ، نشر « **كاترمير** » مقدمة ابن خلدون بنصها العربي ، ولم تمض بضعة أعوام أخر حتى نشر « **دي سلان** » ترجمة كاملة للمقدمة بالفرنسية . **وبدأ الفكر الأوروبي يكشف عن تلك العبقرية العربية الفذة التي سبقت جيلها بقرون ، ولم يكن العرب قد عرفوا عن ابن خلدون إلا أنه مؤرخ كغيره من المؤرخين وقد يبدو دونهم .**

ولم يكن الفكر الأوروبي بقادر على معرفة ابن خلدون وإبداعه الفكري قبل أن يبدع نظرياته الحديثة في علوم الإنسان والعلوم الاجتماعية في القرن التاسع عشر . ففي هذا القرن أخذت العلوم الاجتماعية والإنسانية مكانتها العلمية وحل التحليل النقدي محل الجزم والتوكيد ، **وهي الطريقة التي احتذاها ابن خلدون في منهجه التاريخي والاجتماعي قبل ذلك بخمسة قرون أو تزيد .**

وحين برزت إلى الميدان **دراسات علم النفس والاقتصاد وعلوم السياسة وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع الحديث** ، وأدى تطور **علم الانثروبولوجيا** إلى انهيار « **نظرية المقارنة** » وثبت أن التغير الاجتماعي وليد التغيير البيئي ، والاتصال الثقافي ، وأن هذا التغيير يكون عنيفاً مفاجئاً ، يرتد إلى الخلف أو يمضي قدماً إلى الأمام . وما من سبيل لدراسة التطور الاجتماعي إلا بدراسة الثقافات المحلية المحدودة في إطارها التاريخي والجغرافي ، وأن القوى الفعالة في المجتمع هي قوى اجتماعية ولا يمكن أن تكون

غيرها(١١) ، **لم يكن كل هذا جديداً على ابن خلدون فقد تناوله وأفاض فيه وإن تناوله بصفة عامة بعيدة عن التقسيم الحديث للعلوم الاجتماعية والإنسانية .**

فإذا كانت الانثروبولوجيا قد اتخذت من المنهج النقدي للدراسات التاريخية أساساً لها ، فإن نظريات علم الاقتصاد الجديدة ، أياً كانت البراهين والنتائج التي تقدمها ، وأياً كان شكلها وتركيبها في حقبة من الحقب ، فإنها هي الأخرى وليدة التطور التاريخي ، كما رأى ابن خلدون من قبل ، فما قوانين الاقتصاد الكلية إلا تفسير تاريخي ينبثق من الحقيقة ، فهي ليست نهائية لا في مجموعها ولا في فحواها كما يرى «**كارل كنيس**» في كتابه عن الاقتصاد السياسي . متفقاً في هذا مع ابن خلدون .

وإذا كان ابن خلدون قد أقام قضاياه على نهج جديد من الفكر سبق فيه غيره من المؤرخين المسلمين ، حين تحدث عن «النظم السياسية ، وأنواع الحكم ، والخطط العامة كالقضاء والشرطة والإدارة وتطورها في الدول الإسلامية ، وعن النظم الاقتصادية والتجارة والمكوس والضرائب ، وعن المهن والحرف والصنائع ، ووجوه الكسب والمعاش ، ثم عن العلوم والفنون والآداب وأصنافها وأحوالها وتطورها في العالم الإسلامي» وهو ما عده «**فون كريمر**» تاريخاً للحضارة ، فإن ما ذهب إليه فون كريمر بهذا الوصف لا نراه نحن إلا إطاراً عاماً للنظريات العلمية الحديثة التي تقوم عليها العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تفرعت وتشعبت إلى أنواع شتى من الفروع تعد في مجموعها صورة الحضارة الإنسانية في تطورها التاريخي ، ولعل **الأستاذ محمد عبد الله عنان** يقترب من هذا المنحى حين يقرر أن ابن خلدون لم يؤرخ للحضارة بصورة مباشرة إذ تناول «**هذه المسائل مستقلة أو لذاتها**» وإنما تناولها كصور من هذا العمران «**الذي هو موضوع بحثه ودرسه ، ومقياس الحضارة مقياس لمراحل العمران**»(١٢) .

وسواء اختلف الرأي حول ابن خلدون كمؤرخ للحضارة ، أو فيلسوف ، كما يراه «**دي بوير**» المستشرق الهولندي ، حين يضعه بين فلاسفة المسلمين **كابن رشد وابن الطفيل والغزالي وابن سينا** ، أو يراه آخرون ناقداً للتاريخ وضع القواعد الأساسية التي يقوم عليها منهج البحث التاريخي ، أو رائداً لعلم الاجتماع ، فإن هذا الخلاف لا يعدو أن ابن خلدون قد خاض في هذه المسائل جميعاً وإن القواعد التي وضعها لكل منها هي التي غدت من بعد أساساً لفروع جديدة في العلوم الإنسانية والاجتماعية .

وإذا كانت معرفة أوروبا به قد جاءت متأخرة - كما أشرنا من قبل - فلأنها لم يكن قد استقام لها منهج علمي لعلوم الإنسان والعلوم الاجتماعية ، فلما استقام لها النظر والقاعدة ، أدركت أن مفكراً عربياً قد سبق مفكريها في هذا الميدان ، فنوهوا به واعترفوا له بفضل السبق . **ولا نغالي إذا قلنا إن العرب لم يعرفوا ابن خلدون إلا عن مفكري الغرب** . وكان كتابه خليقاً بأن يفتتح عهداً جديداً في الفكر الإسلامي ، لولا أن الحضارة التي وصفها - كما يقول الأستاذ **ناتانيل شميث** الأمريكي مؤلف كتاب «**ابن خلدون مؤرخاً وفيلسوفاً وعالم اجتماع**» - كانت في دور الانحلال ، كما أن اللغة التي كتب بها ، غدت مجهولة لدى الأمم الناهضة التي قدر لها أن تبدأ مما عجز عنه أصحابه ، أما بناة الحضارة الجديدة من المفكرين الذين تسنموا الذروة التي تسنمها ابن خلدون قبلهم فلم يجدوا منه هذا العون الذي كان بوسعه أن يقدمه لهم»(١٣) ، فلقد «**جاء ابن خلدون دون سلف - كما يقول دي بوير - وبقي بغير خلف**» فلم يعرفه أحد حتى اكتشفه الغرب من جديد بعد خمسة قرون طوال .

رائد علم الاجتماع

لعل علم الاجتماع هو أحدث فروع المعرفة الإنسانية ، وحين أقام الغرب قواعد «**علم الاجتماع الجديد**» كانوا قد عرفوا ابن خلدون وعرفوا أنه قد سبقهم في هذا الميدان ، فقد اهتدى مثلاً إلى **نظرية** «**الأجيال الثلاثة**» لقيام الأسر وانحلالها - كما يقول عالم الاجتماع الكبير **لودفيج جمبلوفتش** قبل أن يعرضها «**أوتو كار لورنتس**» في أواخر القرن التاسع عشر(١٤) .

ويخرج «**جمبلوفتش**» من دراسته لابن خلدون بأنه سبق «**أوجست كونت**» . بل سبق **فيكو** الذي وضعه الإيطاليون على رأس علماء الاجتماع بقوله : «**جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وخرج من دراساته بآراء عميقة ، وكان ما كتبه هو ما نسميه اليوم** «**علم الاجتماع**»(١٥) . ويتفق معه في هذا الرأي «**فريرو**» الإيطالي و«**ليفين**» الروسي . وفي البحث الذي نشره «**رينيه مونييه**» في مجلة «**التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**» عام ١٩١٢م ، يقدم ابن خلدون بوصفه فيلسوفاً واجتماعياً واقتصادياً في آن واحد(١٦) .

ويضن به المستشرق الإسباني «**بونس بويجس**» على الفكر العربي فينسبه إلى إسبانيا ، ويقول : «**إن ابن خلدون وإن كان قد ولد بتونس ، إلا أنه يدين بثقافته لإسبانيا فقد درس على ابن الخطيب وغيره من علماء غرناطة ، ونستطيع أن نقول إن إسبانيا قد قدمت إلى العالم أعظم عمل تاريخي في العلوم الإسلامية**» .

ويبدي المستشرق الألماني «**فون فيسنديك**» في مقاله المنشور بمجلة «**دويتش رونتشاو**» في عددها الصادر في يناير (كانون الثاني) **١٩٢٣م**(١٧) ، اعجابه الفائق بملاحظات ابن خلدون عن تأثير المناخ وطبيعة الحياة في تكوين أخلاق البشر وأبدانهم ، إذ ذكر أن البربر الذين يعيشون في الصحراء يعيشون حياة العرب البادية ، بينما الذين يقيمون في جبال الأطلس يعيشون حياة تختلف تماماً عن حياة البادية ، كما أبرز أيضاً أثر المال في دعم قوة الدولة في داخلها وبين كيف يؤدي سوء الإدارة المالية والاسراف إلى انحلال الدولة وانهيارها ، حين تنضب مواردها وتضعف قوتها العسكرية ، وتعجز الموارد عن الوفاء بحاجة السكان ومطالبهم في الوقت الذي تتزايد فيه أعداد السكان وتتزايد مطالبهم . ولعله في هذا قد سبق **مالتوس** - كما أرى - أيضاً .



وحين ذهب مؤرخو الحضارة المحدثين إلى تحليل دورة التاريخ فقد سبقهم ابن خلدون إليها حين قرر أن المجتمع يبدأ من البداوة ثم التحضر ثم الانحلال وإن ذلك عملية أبدية دائمة مستمرة وهو ما ذهب إليه **شبنجلر** الألماني وتوينبي الانجليزي في نشأة الحضارة وانحلالها .

ويمضي المستشرق الألماني **فيختم** مقاله عن ابن خلدون بقوله :

« **إن مؤرخ الحضارة المسلم العظيم ، يقف فريداً في المشرق ، لم يعقبه خلف ولم ينسج على منواله ناسج ، وإنا لنرى أن ما فكر فيه أو دعا إليه هو ما يدور في أوروبا القرن التاسع عشر تماماً ، وقد بقيت اتجاهات هذا المفكر والسياسي الإفريقي تدوي في معترك الأحداث مهما كان مرماها دوياً يتردد صداه في عالم الفكر المعاصر ....** وإن كنا لا نود أن نستسلم لنظرته المتشائمة ، فإننا نرى من روائع فكره ما يوحي إلينا بهذا الهتاف من أن الشعور القومي والعاطفة الوطنية والاصرار الراسخ ، قادر على أن يأخذ بيد شعب هوى إلى ظلمات القدر الجائر » .

ابن خلدون وفلسفة التاريخ

ولئن امتدت آثار ابن خلدون الفكرية إلى آفاق عديدة من الفكر المعاصر ، فستبق نظرته إلى التاريخ بداية ما يمكن أن نسميه في الوقت الحاضر « **فلسفة التاريخ** » وهي حقيقة يقررها شيخ مؤرخي العصر المؤرخ الانجليزي « **أرنولد توينبي** » في الفصل الممتع الذي كتبه في المجلد الثالث من موسوعته « **دراسة التاريخ** » عن نمو الحضارات ، ولعل هذا المقال هو آخر ما كتب عن ابن خلدون إذ ظهر عام ١٩٥٦ م ، ويقول فيه :

« إن ابن خلدون عبقرية عربية ، أتيح لها في فترة هدوء لا تجاوز أربعة أعوام أن تبدع « مأثرة الحياة » على قدر من البيان الرائع لا يقل إبداعاً عما قام به « ثيوديد » و« مكيافيللي » و« كلارندن » عمقاً وسعة أفق ، فضلاً عن القدرة العقلية الخالصة ، بل إن ابن خلدون ليبدو أكثر تألقاً ولمعاناً ، إذا ما قيس بكثافة الظلام الذي خيم في عصره ، فبينما كان ثيوديد ومكيافيللي وكلارندن قمماً شامخة في عصور سامقة ، نجد ابن خلدون كان وحده الضوء اللامع في عالم يطبق عليه الاظلام ، وغدا العلم البارز في حضارة بدت « منعزلة ، متهاوية ، قذرة وحشية ، قصيرة الأمد » لم يستوح أحداً من قبل ولم يكن له قرن بين معاصريه ، ومضى دون أن يوري شرارة الإلهام فيمن جاءوا بعده ، مع أنه في مقدمة تاريخه العام قد استوحى وصاغ فلسفة للتاريخ هي دون ريب أعظم عمل استوحاه وأبدعه عقل من العقول في أي عصر وفي أي مكان . وكانت تلك الفترة الهادئة القصيرة[١٨] من حياة حافلة بالنشاط هي التي أمدته بالفرصة التي صاغ فيها فكره المبدع في صورة أدبية رائعة ، هي ذلك العمل العبقري الذي يعرف « **بالمقدمة** » فهي مأثرة حياته »[١٩] .

ويرى **توينبي** أن تاريخه العام الذي وسع ستة مجلدات ، ما كان ليرى النور لولا هذه المقدمة العظيمة ، وإذا قدر لمن جاءوا بعده أن يقعوا في الاختيار القاسي بين فقد المقدمة أو فقد المجلدات الأخرى التي تكوّن تاريخه العام لآثروا أن تبقى المقدمة وتضيع تلك المجلدات الستة ، ولا يسعنا بدورنا إلا أن نضحي بتلك المجلدات الستة وتبقى المقدمة ، ففيها نرى هذا الفيلسوف العظيم حاضراً في عقل كل من طاف بها .

ولا يقف هذا التقدير لابن خلدون كفيلسوف للتأريخ على توينبي ومن ذكرنا وحدهم بل إن مؤرخاً يبرز بمؤلفه عن « **تاريخ فلسفة التاريخ** » إذ يقول :

« إن الفكر العربي قد ازدان باسم لامع لا يدانى في لمعانه ، وليس له ضريب فيما يزدهي به أو ينفرد فيه لا في **العصر المدرسي ولا في العصر الوسيط المسيحي** ، فما كان ابن خلدون مؤرخاً عربياً فحسب ، ففي المؤرخين العرب من يفوقه ، ولكنه مبدع نظرية في التاريخ لم يفقه فيها ولم يتقدم عليه أحد في إبداعها حتى ظهور **فيكو** بعده بأكثر من ثلثمئة عام ، وحتى **أفلاطون وأرسطو وسان أوجستين** لا يقفون معه على قدم المساواة ، ولا يمكن أن يكونوا أنداداً له ، وما من أحد غيرهم يتسنى له أن يوضع اسمه مع اسم ابن خلدون ، فإنه أوفى على القمة من الشموخ والتقدير والاعجاب لأصالته وفطنته وسعة إدراكه لفلسفة التاريخ كما كان **دانتي** في الشعر **وروجر بيكون** بين العلماء ، فإذا كان مؤرخو العرب قد جمعوا المادة التي أفاد منها ، فإنه وحده هو الذي عرف كيف ينتفع بها »[٢٠] .

وحين يقرر ابن خلدون أن التاريخ علم فلسفي ، فإنه يبدي رأيه فيما تعنيه العلوم الفلسفية ، فيقول : إنها « **هي كل ما ليست له صفة دينية ، وهي غير العلوم النقلية التي تقوم على دراسة القرآن والسنة وما إليها ، فالأولى تستند إلى الفكر وهي طبيعية للإنسان ، والثانية هي العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي** »[٢١] .

إلا إن ابن خلدون وإن عرض لتعريف التاريخ في بداية المقدمة فإنه لا يذكر في تعريفه للعلوم الفلسفية هذا العلم الجديد وهو أول من وضع قواعده والذي أطلق عليه علماء الغرب من بعد اسم « **فلسفة التاريخ** » وقد لا نرى في تعريفه للتاريخ هذه الدلالة ، وإن عرف أغراضه بقوله : إن له ظاهراً وباطناً « ففي ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأول ، ولكنه في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق » ، ثم يقول : « **إن حقيقة التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني وما يعرض لطبيعة ذلك العمران** » ولعله في تعريفه هذا قد وضع تعريفاً لتاريخ الحضارة .

كما يقرر أن التاريخ « محتاج إلى معارف متنوعة ومآخذ متعددة ، والمعارف هي التي تعين على تصديق الأخبار أو تكذيبها ، كدراسة الرواة ، تعديلهم وتجريحهم . . . ودراسة ما يرون ، أيصح ذلك في طبيعة العمران أم لا ؟ » . كما يصف نفر المؤرخين الذين لا يحسنون النظر ولا التثبت ببلادة الطبع والعقل ، كما يحكم بأن انتحال التاريخ بدون ذلك مجهلة . ثم إن الأخبار « إذا اعتمد فيها على النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها العثور ومزلة القدم والحيدة عن جادة الصواب »[٢٢] وهذا هو سبب وقوع المؤرخين والمفسرين في الأوهام التاريخية لأنهم اعتمدوا على مجرد النقل ، ولم يعرضوا ما نقلوا على أصوله ولم يقيسوه بأشباهه ولم يزنوه بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، ولم يحكموا النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا في بيداء الوهم والغلط . ويرى أن الغلط يقع بكثرة في إحصاء الأموال والعساكر ، ويضرب لذلك أمثلة كثيرة تشمل هذا وغيره ، يحتكم فيها إلى القواعد التي ساقها والأصول التي وضعها مما جرى على لسان المؤرخين في **نكبة البرامكة** مثلاً ، وما رواه **ابن عبد ربه** صاحب (**العقد الفريد**) عن زواج المأمون من بوران ابنة الحسن بن سهل ، وما ذكره **المسعودي**

وغيره عن عدد جيش إسرائيل عند خروجهم من مصر ، وغير ذلك من أمثلة يجفوها المنطق وطبيعة الأشياء ، زلت إليها « **أقدام كثير من الاثبات والمؤرخين والحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء ونقلوها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس ، ونقلوها هم أيضاً من غير بحث ولا روية حتى صار فن التاريخ واهياً مختلطاً** » .

ويرى « **رافائيل التاميرا** »[٢٣] أن قواعد النقد التاريخي عند ابن خلدون اثنتان : **الأولى** مأخوذة عن وحدة النفسية الاجتماعية ، التي تحدث جوهراً دائماً في كل الأمم وكل العصور ، وتسمح بتكوين بعض مبادىء منطقية بالنسبة للأعمال البشرية يمكن وفقاً لها أن نحكم باحتمال أو إمكان حادث منسوب إلى شخص ما ، أو إلى أمة ما . **والثانية** تعترف في ظل هذه الوحدة ، بإمكان الاختلاف الضروري أو المحتوم . ثم يقول « ومع ذلك فإن ابن خلدون يعترف بمبدأ **ثالث** أو قاعدة للنقد ، هي ظروف الإقليم الجغرافية ، التي تجري في ظلها الحوادث ، وهي ظروف تفرض كذلك منطقها في الإمكان ، بأشد من منطق الحوادث البشرية »[٢٣] .

وقد يبدو لنا أن ابن خلدون لم يعن بإقامة علم جديد ، ولعله لم يفكر في أن ما أبدعه سيغدو من بعد ، وبعد زمنه بأربعة أو خمسة قرون ، أساساً لفروع جديدة هي علم الاجتماع والسياسة وفلسفة التاريخ وتاريخ الحضارة ، فكل منها قد أصبح علماً قائماً بذاته وإن كان فروعاً من فروع الدراسات الإنسانية والاجتماعية . وإنها جميعاً لتتخذ من التاريخ الإنساني ميداناً تطفر منه بمبادئها وأسانيدها .

وإذا كانت « **فلسفة التاريخ** » كما جرت على لسان ابن خلدون لم تعن إقامة علم جديد بقدر ما كانت تعني اتجاهاً في دراسة التاريخ ، فإن هذا الاتجاه لم يكتسب معناه ومسماه الأخير إلا على يد المحدثين من علماء الغرب ، ولعل **ڤولتير** كان أول من جاء على لسانه هذا المسمى دون أن يفسره ، وحين سبقه **ڤيكو** إلى وضع المنهاج الذي تقوم عليه دراسة التاريخ في كتابه « **العلم الجديد** » ١٧٢٥ م ، فإنه لا يذكر أنه وضع قاعدة لما دعاه **ڤولتير** فلسفة التاريخ ، وڤيكو هذا هو الذي أطلق عليه « **جون ميشيليه** » لقب « **أبي التاريخ** » .

وقبل ڤيكو بقرنين من الزمان كان **مكياڤيللي** قد حرر التاريخ من النظرة اللاهوتية التي سادت لدى مؤرخي العصر الوسيط المسيحي حين عد التاريخ ظاهرة طبيعية ، ثم جاء **فرانسيس بيكون** بعد مكياڤيللي بقرن فكتب تاريخ هنري السابع (١٦٠٢ م) ، كما كتب « **تقدم العلوم** » (١٦٠٥ م) ، وكتاب « **البناء الجديد** » « Novum Organum » (١٦٢٢ م) ، ودعا فيها إلى المنهج العلمي في دراسة التاريخ وتمحيص الوقائع والبحث في العلل والأسباب ، كل هؤلاء وغيرهم قد سبقوا ڤيكو ، إلا أن عبارة « فلسفة التاريخ » لم تجر على قلم أي واحد منهم ، وهو ما يؤكده المؤرخ الانجليزي « **ج . ب بيوري** » حين ينسب هذا المصطلح إلى ڤولتير[٢٤] ، وحتى ڤولتير ـ كما قلنا ـ لم يعن بتفسير هذا المصطلح .

وما زال مصطلح « **فلسفة التاريخ** » غامضاً حتى يومنا هذا ـ وقد تعرض له في مقال آخر ـ وما زال الحوار قائماً حول قواعده واتجاهاته ، فهل يعني النظرة التأملية للتاريخ وهو ما ينكره أصحاب الفلسفة الوضعية حين عدوه علماً تجريبياً فجردوه من الفلسفة ، وهل كانت البداية على يد ڤيكو كما يتحمس لذلك الإيطاليون ، أو أن **سان أوجستين ومكياڤيللي** قد سبقاه إليه ، أو كما يرى البعض « **كودلش** »[٢٥] أن **هردر** هو أول من عرض لفلسفة التاريخ كموضوع مستقل في كتابه « **أفكار للتاريخ الفلسفي للإنسانية** » ، ومن بعده **هيجل** بكتابه « **محاضرات في فلسفة التاريخ** » وقد نشر بعد وفاته (١٨٣٧ م) ، وما زال الخلاف قائماً والآراء عديدة .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف الذي لم يحسم ، فليس هناك من يماري بعد أن اكتشف ابن خلدون أخيراً في أنه هو الرائد في هذا الميدان دون منازع .

ولا نملك إلا أن نقول مع الكاتب والفيلسوف الإسباني « **خوسيه أورتيجا** »[٢٦] : أن مقدمة ابن خلدون هي ، من حيث الزمن ، أول كتاب يؤلف في فلسفة التاريخ ، وما كان لغيره أن يحتل مكانته ، ثم يصف ابن خلدون بقوله : « **كان عقلية باهرة تشع بالنور ، وإن نور عقله ليهتك الستر عن كل غموض ، وإنه ليغوص إلى الأعماق . . . وكأن ما كتبه قد خطته يد مهندس صناع ، ثم إن كتابه في فلسفة التاريخ هو البداية لعلم الاجتماع في نفس الوقت** » .

المصادر

١ و٢ ـ كتاب العبر : ج٧ ص ٣١٢ ـ ٣١٤ .
٣ ـ نفس المصدر ج٦ ص ٣٩٦ .
٤ ـ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .
٥ ـ كانت الدسائس سمة هذا العصر في المغرب والأندلس ، كما كان الصراع الغادر طابعه المميز ، وقد نفس ابن الخطيب على ابن خلدون مكانه الجديد في بلاط غرناطة مما حمله على العودة إلى المغرب ، إلا أن كلاً منهما بقي على اكباره وتقديره للآخر . فقد كانا قمة عصرهما في الأدب والفكر والبلاغة ، وكان لكل منهما دوره في صراع العصر ، ولكن ابن خلدون كان أحسن حظاً من صاحبه حين نجا بحياته ونزح إلى مصر ، أما ابن الخطيب فكانت نهايته كما عرفنا بعد فراره من غرناطة ، وقد كتب ابن الخطيب في ترجمته لابن خلدون يقول : « جم الفضائل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، عالي الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، خاطب للحظ ، متقدم في عدة فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور » .
ويقول ابن خلدون في حديثه عن ابن الخطيب إنه : « بلغ من الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما ، وملأ الدولة بمدائحه ، وانتشرت في الآفاق قدماه » كما ينوه بهمته في الإدارة ويثني على روعة رسائله السلطانية .
(راجع كتاب « الاحاطة في أخبار غرناطة » لابن الخطيب نقله المقري في نفح الطيب ج ٤ ص ٤١٤ وما بعدها . وراجع رواية ابن خلدون عن مصرع ابن الخطيب . العبر ج٧ ص ٣٤١ ، وابن خلدون لعنان ، ص ٤٦ ـ ٦٠ ط ٣ .
٦ ـ المقدمة ص ٥٣٤ .
٧ ـ المقدمة ص ٢٧ .
٨ ـ محمد عبد الله عنان ـ ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، ص ٦٦ .
٩ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
١٠ ـ D'llerbelot, Bibliotheque Orientale
١١ ـ John Herman Randall. JR : The Making of Modern Mind ch. 19
١٢ ـ عنان ص ١٧٦ .
١٣ ـ N. Schmidt, Historian, Sociologist and Philosopher, P 15-16.
١٤ ـ عنان ص ١٧٨ .
١٥ ـ L. Gumplouict : Un Sociologiste Arabe au XIV siècle P. 201-226. انظر أيضاً عنان ص ١٨٠ .
١٦ ـ Revue d'histoire economique et Sociale, 1912
١٧ ـ قام بترجمة المقال عن الألمانية الأستاذ عنان وذيل به كتابه عن ابن خلدون .
١٨ ـ يشير توينبي إلى الفترة التي قضاها ابن خلدون في قلعة أولاد سلامة لدى بني عريف وعكف فيها على كتابة تاريخه .
١٩ ـ Arnold Toynbu : Study of History, V111, The Growth of Civilizations P. 321-328
٢٠ ـ Robert Flint : History of the Philosophy of History : P. 86
٢١ ـ المقدمة ص ٣ .
٢٢ ـ المقدمة ص ٧ .
٢٣ ـ رافائيل التاميرا وترجمة عنان ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .
٢٤ ـ Essai sur les moeurs et l'espirit de Nations
٢٥ ـ W. H. Walsh : an Introduction to Phlosophy ch 1
٢٦ ـ من مقال خوسيه اورتيجا نشره ١٩٣٤م وترجمه الأستاذ عنان .

بمناسبة

عام الطفل

مقدمة

إن العقل الإنساني ـ كما أكدت ذلك البحوث العلمية ـ أقدم من علم النفس بفروعه المختلفة ، فقد درسته العلوم البيولوجية والفسيولوجية والعصبية ، وناقشته العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية . وظل العقل الإنساني يتنقل بين مجموعة العلوم الفلسفية والنظرية تارة ، وبين مجموعة العلوم التطبيقية والعملية تارة أخرى ، حتى استقر أخيراً ضمن موضوعات علم النفس التعليمي ، بحيث أصبح علماء النفس التعليمي الآن يندهشون عندما يسمعون أن غيرهم من الباحثين في علوم أخرى ، يقحمون أنفسهم في موضوع العقل الإنساني ، أو عندما يرونهم يتعرضون لبعض مفاهيمه العلمية الحديثة .

وآثار العقل الإنساني تظهر في صورة طاقة تسيطر وتتحكم في سلوك الأفراد فتشكله وفق طبيعتها وإمكاناتها ، وهذه الطاقة العقلية العملاقة هي ما يطلق عليها في علم النفس « الذكاء » .

فالذكاء هو الطاقة العقلية أو العائد العقلي أو هو الصفة المرافقة للعقل الذي يعمل بنشاط وفهم وعمق وسرعة وجودة ، أي إن الذكاء هو اسم وصفة في الوقت ذاته .

وكما يقال « لقد حاول المدرس أن ينمي الذكاء ، وحاول عالم النفس أن يقيسه ، ولكن واحداً منهما لم يعرف ماهيته » .

والذكاء في **اللغة** هو الفطنة والتوقد ، من « ذكت النار » : أي زاد اشتعالها ، فهو يدل بهذا المعنى على زيادة القوى العقلية للإدراك .

الذكاء والابتكار

إعداد : د . محمد مصطفى زيدان

معنى وتعريف الذكاء

لكي نستطيع أن نكوّن معنى دقيقاً للذكاء سنعالجه من ثلاثة نواح : الناحية العضوية ـ الناحية الاجتماعية ـ الناحية السلوكية أو النفسية .

فالمقصود بالذكاء من **الناحية العضوية** : « إمكانية نمط معين من السلوك الكامن في التكوين الجسمي للكائن الحي » .

بمعنى أن كل كائن حي معد لأداء أنماط معينة من السلوك حسب تكوينه الجسمي . ويعد الكائن الحي ذكياً إذا كان يستعمل هذه الإمكانات في المواقف التي تدعوه لاستعمالها . وهذه القدرة بهذا المعنى موروثة ، أي إنها تتضمن كذلك وجود فروق في درجات استعمال هذه الإمكانات بين الكائنات الحية في الجنس الواحد .

وكلما زاد تعقيد الكائن الحي زادت قدرته على تعلم الأعمال الجديدة والتصرف في المواقف الجديدة . والإنسان أكثر الكائنات الحية تعقيداً من الناحية العضوية يمتاز بجهازه العصبي الكامل التعقيد . وبالتالي كلما اقترب الحيوان في سلم تعقيده العضوي من الإنسان توقعنا أن تزيد إمكاناته على أكبر عدد ممكن من قوالب السلوك .

أما من **الناحية الاجتماعية** فإن الذكاء يرتبط ببعض العوامل نتيجة للتفاعل الاجتماعي أو التنظيم الاجتماعي في البيئات المختلفة ، وقد تسمى هذه العوامل أحياناً **بالنظم الاجتماعية** ، بينما تتكامل جميعاً فيما يسمى **بالثقافة العامة** .

وهذه النظرة تعتبر أن هناك عوامل اجتماعية تدخل فيما نطلق عليه السلوك الذكي أو التصرف الحسن ، كالقدرة على استعمال الرموز كاللغة والأعداد واستعمال المعاني الكلية كالحق والواجب مثلاً .

مثل هذه العوامل الاجتماعية تؤثر في سلوك الفرد الذكي ، أعني أنها تؤثر في قدرته على معالجة المشاكل التي تواجهه .



أما الناحية **السلوكية** أو النفسية ، فقد سلم علماء النفس بأن المقصود من الذكاء نمط السلوك الذي يحدده نوع معين من الاختبارات والاتجاه **الوظيفي** في معالجة الذكاء فيبحث علاقة السلوك بتحصيل غرض أو اتباع حاجة ، والميزان الوحيد الذي يقاس به السلوك على أنه معبر عن الذكاء أم لا هو **ميزان المنفعة** ، أي إن السلوك الذي يحقق غرضاً أو منفعة سلوك ذكي .

ومن التعريفات الرئيسية الهامة للذكاء :

● **أولا :** تعريف **بينيه :** بأنه هو (القدرة على الحكم السليم) وهو يشمل أربعة عناصر رئيسية :

(أ) توجيه الفكر في اتجاه معين والاستمرار في هذا الاتجاه .

(ب) الفهم .

(جـ) الابتكار .

(د) نقد الأفكار ووزن قيمتها .

● **ثانياً : تعريف شترن** للذكاء الاجتماعي :

« قدرة عامة في الإنسان تمكنه من أن يجعل عن قصد وشعور منه تفكيره ملائماً كل الملاءمة لمقتضيات الأحوال المستجدة . **أو** هو القدرة العامة على التكيف عقلياً طبقاً لمشاكل الحياة » .

● **ثالثاً :** تعريف **فؤاد البهي السيد :**

يرى أن الذكاء هو « قدرة القدرات ، وموهبة المواهب ، والمحصلة العامة لجميع القدرات العقلية المعرفية » .

نظريات الذكاء

نظرية العاملين **لسبيرمان** ، ويرى أن أي نشاط عقلي يعتمد أولا وأخيراً على عامل عام يدخل في كل العمليات العقلية ، وهو يوجد لدى كل فرد ولكن بدرجات مختلفة لأن الناس يختلفون في قدراتهم العقلية ، وأنه يدخل كذلك في العمليات العقلية المختلفة بدرجات مختلفة وذلك لأن العمليات العقلية من : (إدراك حسي ـ تصور ـ تذكر ـ تخيل ـ تفكير) تتفاوت فيما تحتاج إليه من الذكاء العام .

اعتبر **سبيرمان** هذا **العامل العام** نشاطا عقلياً ، لأن دور هذا العامل في عالم الذكاء يشبه دور القوة الطبيعية في عالم الطبيعة ، كما لا يمكننا التعرف عليه إلا عن طريق مظاهره ، وفي الذكاء بالذات عن طريق اختبارات الذكاء .

وأضاف سبيرمان إلى هذا العامل العام عاملاً آخر هو **العامل الخاص** ، وهو عامل خاص بكل عملية ويعزى إليه نسبياً عدم وجود الارتباط التام بين أي عمليتين لوجود عامل خاص بكل عملية . وأخيراً أضاف **سبيرمان** إليها عاملاً ثالثاً هو **العامل الجمعي** أو **العامل الطائفي** ، ويعزى إلى هذا العامل الارتباط الموجود بين مجموعة من العمليات العقلية المتشابهة .

وتبعاً لهذه النظرية تكون كل العمليات العقلية مشتركة فيما بينها في **العامل العام** الذي يدخل فيها بدرجات مختلفة ، وأن كل عملية قد تكون متصلة بمجموعة مشابهة لها ومشتركة معها في عامل ثان يسمى بالعامل الطائفي ، كما أن لكل عملية عاملاً خاصاً بها .

ويرى **ثرستون** في **نظرية العوامل الأولية** : بأنه يمكن تفسير معاملات الارتباط التي توجد بين العمليات المختلفة على أساس **عامل أولي** يدخل في هذه العمليات ولا يدخل في غيرها ، ويربط هذا العامل بينها ويعطيها وحدة نفسية ووحدة وظيفية تميزها عن غيرها من العمليات العقلية ، وتكوّن هذه العمليات فيما بينها مجموعة لها عاملها الخاص .

وهي في نظره كما يلي :

●● **العامل العددي** ؛ وهو القدرة على أداء العمليات الحسابية بسرعة ودقة .

●● **العامل اللغوي** ؛ ويوجد في الاختبارات التي تتضمن فهماً

للغة .

●● **العامل المساحي** ؛ ويدخل في العمليات التي تتطلب تصور الأشياء ، وهي تشغل حيزاً أو فراغاً .

●● **الطلاقة في استعمال الكلمات** ؛ وتوجد في العمليات التي تتطلب من الفرد التفكير في كلمات منفصلة وبسرعة .

●● **عامل التعقل** ؛ ويوجد في العمليات التي تتطلب من الفرد اكتشاف قاعدة أو مبدأ يجمع بين سلسلة أو مجموعة من الحروف .

●● **الذاكرة الصماء** ؛ وتظهر في القدرة على الحفظ بسرعة .

وأخيراً يؤكد ثرستون استقلال هذه العوامل أو القدرات بعضها عن بعض .

أما نظرية **العوامل المتعددة لثورنديك** ، تعتبر هذه النظرية أن الذكاء يتكون من عدد كبير من العناصر أو العوامل المنفصلة ، وكل عامل منها عبارة عن عنصر دقيق يدل على قدرة من القدرات ، وتبعاً لهذه النظرية فإن أي عملية تتضمن عادة عدداً من هذه العناصر الدقيقة ـ التي تعمل سوياً ـ كما أن أي عملية عقلية أخرى قد تتضمن مجموعة من هذه العناصر . فإذا ما كان هناك معامل إرتباط إيجابي بين هاتين العمليتين فيعزى هذا إلى وجود عناصر مشتركة بين العمليتين . وتبعاً لهذه النظرية **لا يوجد ما يسمى بالذكاء العام ، ولكن توجد عمليات نوعية منفصلة بعضها عن بعض .**

ونظرية العوامل المتعددة لثورنديك نظرية ذرية أي إنها تقسم القدرات العقلية إلى ذرات أو جزئيات ، غير أنها تؤكد وجود أنواع من النشاط العقلي بينها عناصر مشتركة ، لذا يستحسن ضمها إلى بعضها في مجموعات مثل القدرة اللغوية التي تتطلب عدة عمليات تدخل فيها اللغة ، وكذلك القدرة الحسابية تتطلب عمليات يدخل فيها استعمال الأرقام وهكذا .

وأعلن ثورنديك أن هناك ثلاثة أنواع من الذكاء :

١ ــ **الذكاء المجرد أو المعنوي** ؛ ويبدو في القدرة على فهم واستخدام الرموز والمعاني المجردة .

٢ ــ **الذكاء الاجتماعي** ؛ ويبدو في القدرة على فهم الناس والتفاعل معهم .

٣ ــ **الذكاء الميكانيكي** ؛ ويبدو في المهارات العملية اليدوية الميكانيكية .

ومما هو جدير بالذكر أن ثورنديك قد وضع اختباراً للذكاء يتكون من أربعة أجزاء هي :

اكمال الجمل ــ العمليات الحسابية

اختبار الكلمات ــ اختبار اتباع التعليمات

وبتحليل **ثورنديك** للعمليات التي تقيسها هذه الاختبارات انتهى إلى وصف الذكاء عن طريق أبعاد ثلاثة ، ألا وهي :

● **الارتفاع** ؛ يبين مدى صعوبة العمليات التي يتمكن الفرد من أدائها .

● **المساحة** ؛ تبين مجموع العمليات التي يتمكن الفرد من أدائها في درجة صعوبة معينة .

● **المدى** ؛ فهو متوسط ما يتمكن الفرد من أدائه في عمر عقلي وعمر زمني معين .

اختبارات الذكاء

من المبادئ الرئيسية في القياس العقلي أن الذكاء لا يقاس قياساً (مباشراً) ، نعطي الفرد ـ في الاختبار العقلي ـ عملاً معيناً لاجرائه على شرط أن يتطلب هذا العمل ممارسة بعض الوظائف العقلية العليا ، ثم نسجل نتائج هذا العمل بطريقة دقيقة موضوعية ، ونقارن عمل هذا الفرد بعمل غيره من الأفراد المتحدين معه في العمر الزمني الموجودين تحت نفس الشروط . ومن أهم البديهيات التي يبنى عليها القياس النفسي عامة والعقلي خاصة ، أن عينة سلوك الفرد في الموقف الاختباري تدل على حقيقة سلوك هذا الفرد فيما يقيسه الاختبار . وعينة الشيء هي جزء يمثله خير تمثيل .

وعلى هذا يمكننا أن نقول : « **إن الاختبار العقلي مجموعة من المشكلات التي تقيس آراء الفرد في مظهر معين من مظاهر السلوك المعرفي أو الادراكي** » .

والاختبار العقلي يمكن أن يكون في أي مستوى من مستويات التنظيم المعرفي ، وذلك يتوقف على مستوى نضج الأفراد الذين يوضع لهم الاختبار ، فلا شك أن مقياساً لذكاء أطفال ما قبل المدرسة الإبتدائية يختلف في عناصره ومكوناته عن اختبار الأطفال في نهاية هذه المرحلة . وهذا الاختلاف إنما يخضع لمستوى النمو العقلي الذي يناسب مرحلة النمو التي يوضع الاختبار لأفرادها .

نحن نهدف من اختبارات الذكاء إلى مقارنة الأفراد ببعضهم حتى نستطيع إصدار حكم موضوعي عليهم فيما يقيسه الاختبار الذي طبق عليهم .



ويجدر بي - في هذا الصدد - أن أشير إلى اختبارات **الفريد بينيه** Alfred Binet إذ إنها أولى الاختبارات التي نجحت إلى حد كبير في قياس الذكاء وذلك لأسباب عدة سأوجزها فيما يلي :

★ استخدم عدداً متنوعاً من الاختبارات ، لأن العمليات العقلية كثيرة ومنوعة ، فيجب أن يشتمل المقياس بقدر الإمكان على أسئلة متعددة تقيس أكبر عدد ممكن من (عينات) العمليات العقلية .

★ حاول أن يستبعد أثر البيئة من اختباراته ، لأن الأسئلة التي تبنى على البيئة المحلية قد يحسن الإجابة عليها ممن يقيمون في تلك البيئة ، وقد تصعب الإجابة عليها ممن يعيشون في بيئة مغايرة .

★ قنن اختباراته (أي من ناحية الصدق والثبات) فسهل بذلك على غيره مهمة إجرائها بحيث تعطي نتائج يمكن مقارنتها ببعضها .

★ استخدم بينيه تعبير **العمر العقلي** لأول مرة ، فالطفل الذي يكون عمره الزمني ٥ سنوات ويكون في الوقت نفسه عمره العقلي ٥ سنوات يكون طفلاً عادياً (متوسط الذكاء) ، ويستطيع أن يقوم عادة بالأعمال التي يقوم بها الأطفال في سن الخامسة .

★ يحتوي اختبار بينيه الأصلي على ٩٥ سؤالا ، قسمت الاختبارات فيه إلى مجموعات يختص كل عمر بمجموعة منها .

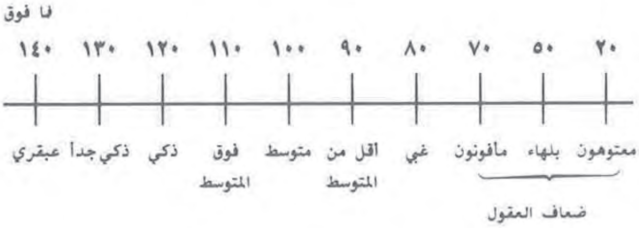
وخلاصة القول إن الذكاء ينمو مع تقدم العمر من سنة إلى أخرى ، وبما أن الذكاء هو الطاقة العقلية أو العائد العقلي ، فلكل سنة من عمر الطفل طاقة أو قدرة عقلية خاصة به تسمى بعمره العقلي ، وأطلق علماء النفس هذه القدرة أو الطاقة لكل سنة من عمر الطفل عبارة السن أو **العمر العقلي** ، كما أطلقوا على كل سنة أثناء نموه الطبيعي **عبارة العمر الزمني** .

فإذا أردنا قياس ذكاء طفل ما نعطيه اختبارات كل عمر حتى يصل إلى عمر ينجح في جميع اختباراته فيؤخذ هذا العمر على أنه العمر العقلي لهذا الطفل ، فإذا نجح في جميع الاختبارات إلى عمر ٨ سنوات مثلاً مهما كان عمره الزمني يعتبر في مستوى عقل الطفل المتوسط الذي يبلغ من العمر ٨ سنوات .

ونسبة الذكاء كالآتي : $\frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$

واعتقد جماعة من العلماء - قديماً - أن الذكاء يورث ولا يكتسب ، وبالتالي فهو ثابت ولا يمكن نموه ، كما قال بعضهم إنه طاقة فطرية تولد مع الطفل ساعة يولد ، ولكن المحدثون من علماء النفس لم يقبلوا ثبات نسبة الذكاء ، بل أكدوا أن الذكاء يتطور وينمو وفقاً لظروف البيئة ، وأساليب التربية التي تعمل على رفع نسبة الذكاء ، إذ إنه قدرة عقلية **فطرية معرفية** عامة . ونسب الذكاء الآتية تثبت بأن الذكاء قدرة عامة .

توزيع نسب الذكاء



● **العبقري** أو الموهوب لديه قدرة عقلية فطرية معرفية خاصة ، وهو ما كانت نسبة الذكاء لديه ١٤٠ فما فوق (كما هو موضح عاليه) .

● **أما ضعاف العقول** فهم المأفونون والبلهاء والمعتوهون فيكتفى بتعليمهم حرفة أو مهنة بسيطة لكسب قوتهم .





القدرة الابتكارية ، والتفكير الابتكاري

يعرف التفكير بوجه عام على أنه : **النشاط العقلي الذي يرمي إلى حل مشكلة ما أو أنه الحالة العقلية التي تنشأ إذا ما واجهت الإنسان مشكلة ، أو اعترض طريقه عائق .**

يختلف الأفراد في طريقة التفكير ، ويرجع هذا الاختلاف إلى أن الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث القدرة على التفكير الابتكاري .

فبعض الأفراد لديهم قدرة بسيطة على أن يفكروا أو يبتكروا ، والبعض الآخر لديهم قدرة كبيرة على الابتكار والتجديد . وهذه الظاهرة تفسر لنا لماذا يتمكن عالم دون الآخر في التوصل إلى اختراع معين .

لم تنل دراسة القدرة على التفكير الابتكاري العناية الكافية من كثير من العلماء ورجال البحث والتربية ، ففي عام ١٩٥٥م قام العالم النفسي الأميركي جيلفورد Guilford بمراجعة علمية دقيقة لجميع الموضوعات التي كتبت في مجلات علمية تصدر بالولايات المتحدة الأميركية تحت عنوان **« مقتطفات نفسية وتربوية »** لمدة ٢٥ عاماً ، يصرح جيلفورد بأن **١٨٦** مقالة من **١٢١,٠٠٠** مقالة كانت لها علاقة مباشرة **بالقدرة الابتكارية .**

وهذا يعني أن نسبة ما كتب في هذا الموضوع سواء في صورة بحوث أو مقالات لمدة ربع قرن من الزمن لا تتعدى ٠,٢٪ من مجموع المقالات أو البحوث في هذه المدة .

ورأى أنه لا يكفي أن نوجه اهتمامنا إلى دراسة الأفراد الذين أظهروا فعلاً مقدرتهم على التفكير الابتكاري ، بل لا بد أن يكون لدينا بعض المؤشرات التي تساعدنا على انتقاء الأفراد الذين قد يكون لديهم استعداداً للتفكير الابتكاري حتى نوفر لهم الجو الثقافي والاجتماعي المناسبين مما يساعدهم على نمو هذا الاستعداد عندهم .

ازدادت الحاجة في الوقت الحاضر إلى معرفة الكثير عن القدرة الابتكارية فلقد انتقل مركز الاهتمام من مجرد توجيه العناية من **الشخص الذكي** الذي لديه القدرة على النقد والتحليل إلى **الشخص الابتكاري** الذي يستطيع أن يعطي أفكاراً جديدة لما يعترضه أو يعترضنا من مشاكل سواء ما يتعلق بالحياة اليومية أو الدراسات العلمية .

يحلل علماء النفس المحدثون التفكير الابتكاري من حيث أنه عملية عقلية إلى أربع مراحل هي :

● **الاستعداد** ؛ ويتبين من دراسة حياة العلماء الذين توصلوا إلى اختراعات أو نظريات علمية لكبار العلماء والفنانين ممن تميز إنتاجهم بالابتكارية والتجديد ، إذ نجد أنهم مروا بمرحلة استعداد هيأتهم للتوصل إلى ما توصلوا إليه ، ففي هذه المرحلة يحصل العالم أو المخترع على معلومات أو مهارات في ميدان تخصصه . إذ يطلع على كل الدراسات التي تمت بصلة إلى خبراته ، ويكون حساساً لمظاهر الاتفاق والاختلاف بين الآراء المختلفة .

● **الحضانة** ؛ في هذه المرحلة لا يفكر الفرد في المشكلة وإنما يدعها جانباً ، لكنه يبدو أن العقل الباطن يستمر في التفكير في المشكلة على الرغم من انصراف الفرد عنها .

ونقول إن الراحة من التفكير في المشكلة يؤدي إلى تجديد نشاط التفكير ، وتوجيهه في نواح جديدة تؤدي إلى الاهتداء إلى الحل الابتكاري .

● **الالهام** ؛ تتميز مرحلة الالهام بظهور الحل الابتكاري بطريق فجائي .

● **التحقيق** ؛ بعد وصول الفرد إلى الحل يحاول بيان صحته بوضعه موضع الاختبار لبيان مدى ثباته وصحته .

أما القدرة الابتكارية من حيث **إنها إنتاج عقلي** ، فيُعرف أصحاب هذا الاتجاه الإنتاج الابتكاري بأنه القدرة على إنتاج شيء جديد أو إيجاد علاقات جديدة لأشياء معروفة من قبل ، على أن يكون هذا الشيء أو تلك العلاقات لها غرض معين ومفيد ويسد حاجة لدى الفرد أو لدى مجموعة من الناس . **والجدة** هنا أمر نسبي ، فقد يكون الإنتاج جديداً بالنسبة إلى الفرد ، وقد يكون جديداً بالنسبة إلى الفرد وإلى الجماعة التي ينتمي إليها في وقت معين . وبالإضافة إلى جدة الإنتاج يجب أن يكون الإنتاج وظيفياً ونافعاً بمعنى أنه يسد فراغاً معيناً ، وهذا الفراغ إما أن يشعر به الفرد أو تشعر به الجماعة .

مكونات القدرة الابتكارية

والقدرة الابتكارية قدرة مركبة وليست بسيطة ، وتتكون من العوامل الآتية :

★★ القدرة على التجديد لما هو معروف ومتفق عليه .

★★ القدرة على إعادة التجديد ، وإيجاد علاقات جديدة لأشياء معروفة .

★★ القدرة على سرعة التكيف بالنسبة للمواقف الجديدة .

★★ القدرة على المرونة التلقائية والتعبير الحر .

★★ القدرة على الحساسية للمشكلات المحيطة بالشخص .

توصل علماء النفس إلى أن **القدرة على التفكير الابتكاري** تعتمد أساساً على القدرة على **التفكير غير العادي** ، وهذا النوع ينقسم إلى : **التفكير الكمي** والذي يعتمد أساساً على الطلاقة في عملية التفكير ذاتها ، بمعنى أن الشخص الذي له القدرة على أن يعطي أكبر عدد من الأفكار السليمة في وحدة زمنية معينة لمشكلة ما تواجهه ، لديه فرصة كبيرة لوجود أفكار ذات قيمة ومفيدة وابتكارية .

أما **التفكير الكيفي أو النوعي** ، فإنه يعتمد أساساً على المرونة في عملية التفكير ، أي التحرر من الجمود في التفكير والبعد عن النمطية . فالفرد يحاول أن يعطي أفكاراً أو آراء مفيدة ، لكنها غير متشابهة وغير نمطية ولا تخضع لتقسيم أو لمعيار واحد .

مدينة وتاريخ



الدوحة لوحة ... من الخليج

بقلم : خليل ابراهيم الفزيع

★ أحد الميادين الفسيحة ★



الدوحة
لوحة من الخليج

إذا كانت بعض المدن المطلة على الساحل الغربي للخليج العربي قد انفردت ببعض الأسماء التي أطلقت عليها انسجاماً مع مظاهر النهضة فيها ، **فقيل عن الخبر (عروس الخليج)** ، وعن **المنامة (لؤلؤة الخليج)** ، وعن **دبي (جوهرة الخليج)** ، فإن الدوحة جديرة بأن تحمل اسم **(درة الخليج)** لما تتمتع به من مظاهر النهضة والتطور وما تزخر به من معالم العمران وما يتصف به أهلها من أصالة عربية عريقة .



★ الشواطىء الجميلة ★

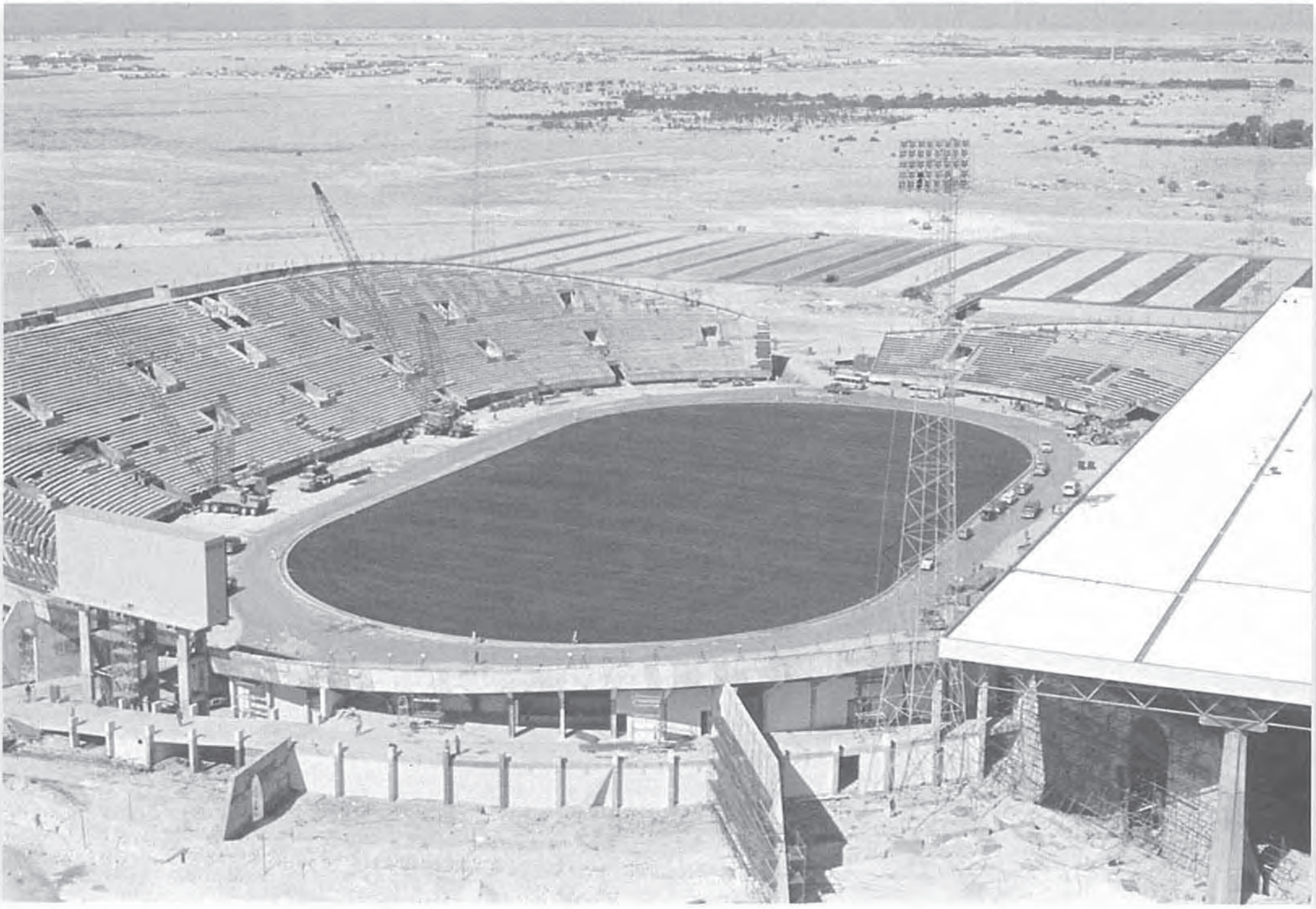
اسم الدوحة

وأصل كلمة (الدوحة) في اللغة هي الشجرة العظيمة المتسعة من أي نوع من أنواع الشجر ، وجمعها **دوح** وجمع الجمع **أدواح ، فكل شجرة عظيمة دوحة** ، وفي حديث الرؤيا **(فأتينا دوحة عظيمة)** أي شجرة ، وفي **حديث ابن عمر «أن رجلاً قطع دوحة من الحرم فأمره أن يعتق رقبة»** ، وقال **أبو حنيفة** : الدوائح : العظام ، والواحدة دوحة ، كما تطلق على ما انداح من الماء أي استدار من أكثر جهاته وهو ما يسمى جغرافياً بالخليج ، **ولعل موقع الدوحة على دوحة من الماء هو الذي أكسبها هذا الاسم** ، وربما كان في موقع ما من الدوحة القديمة شجرة كبيرة أخذت هذه المدينة اسمها منها منذ القدم .

والدوحة هي **عاصمة دولة قطر** الواقعة في منتصف الساحل الغربي للخليج العربي ، ويشكل تكوينها **شبه جزيرة** يمتد كلسان بري في البحر الذي يحيط بها من الشرق والغرب والشمال ، بينما **تتصل جنوباً بالمملكة العربية السعودية عن طريق البر .**

وموقع قطر بين خطي طول ٤٥ ـ ٥٠ و ٤٠ ـ ٥١ شرقاً ، وهي تمتد على مساحة ١١٣٠٠ كيلومتر مربع ، يضاف إليها ١٠٠ كيلومتر مربع ، تشكل مساحة الجزر التابعة لها ، وينحدر سطحها الكلسي تدريجياً من الغرب نحو الشرق تميزه تضاريس منها **(الدحلان)** المتكونة من تسرب مياه الأمطار ، وكذلك **(الأحواض)** وهي مجمعات لمياه الأمطار ثم **(الأودية الجافة)** .. وتنعدم المرتفعات ولا يميز سطحها إلا بعض التلال الرملية والكلسية المتناثرة ، أما المناخ ، فهو صحراوي ذو صيف طويل حار وشتاء معتدل دافئ قليل المطر ، وفي الصيف تزيد نسبة الرطوبة في بعض الأحيان على ٩٠ في المئة مقرونة بارتفاع في الحرارة يصل إلى ٤٥ درجة م ، أما في بعض الأحيان في الشتاء فتنخفض درجة الحرارة إلى ٥ درجات م .

وقد كشفت حفريات أجرتها بعثات آثار دانماركية مؤخراً ، عن مخلفات تثبت أن هذه البلاد كانت مأهولة بالسكان منذ حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وجمعت تلك البعثات زهاء ١٠,٠٠٠



★ المدينة الرياضية ★

قطة أثرية صنعها إنسان تلك الحقبة التي **تعود إلى العصرين الحجري والحديدي** .

وقد بقيت هذه القطع في **متحف (آرهوس) الدانماركي** منذ نقلها إليه إثر الحفريات إلى أن تم استردادها تمهيداً لوضعها في **المتحف الوطني بالدوحة** ، وربما كان تفسخ التربة المكونة في معظمها من الحجر الجيري والجص والرمل وندرة المياه ، سبباً رئيسياً في تقطع تواجد سكانها الذين كانت تجتذب أمواج هجرتهم المتلاحقة عوامل مختلفة .

الكنعانيون .. أول من سكنوها

وتذكر المصادر التاريخية أن العديد من الأقوام التي وفدت من الشرق والغرب والشمال قد استوطنت هذه البلاد ، ويقول المؤرخ **هيرودوتس** ، الذي عاش بين سنتي ٤٨٤ و ٤٢٥ قبل الميلاد ، إن أول من استوطن هذه البلاد هي **(القبائل الكنعانية)** التي ذكرها مؤرخو العرب بين الأمم البائدة .

وقد دلت **النقوش الآشورية والسومرية** على أن الشعوب القديمة اتخذت من الخليج مسرحاً لرحلاتها وحملاتها العسكرية ومغامرات الفتوحات التي قامت في تلك العصور ، لا سيما أن **هذه المنطقة قد اشتهرت بالهيمنة على التجارة البحرية منذ قديم الزمان ، وقد وقعت تحت حكم سرجون الأكادي نحو سنة ٢٢٥٠ قبل الميلاد** .

السكــــان

ومع أن سكان قطر بكاملها حوالي مئتي ألف نسمة ، فإن ٨٠ بالمئة منهم يقطنون الدوحة ، بينما يتوزع الباقون على مختلف المدن والقرى . وتتبع الدوحة بعض الضواحي مثل **الريان** القديم والريان الجديد **ومدينة خليفة ، والزبارة** وهي موقع أثري به حصن شهير .

وكما هو الحال في بقية المدن العربية المطلة على الخليج ، فقد كانت المهنة الرئيسية للسكان هي **صيد اللؤلؤ والأسماك** ، وقد بلغ **مجموع مراكب صيد اللؤلؤ لأهالي الدوحة (٨١٧) مركباً** ، بينما بلغ **مجموع مراكب**



★ صيد اللؤلؤ ★

صيد الأسماك (٢٥٠) مركباً ، كما ذكر لوريمر في كتابه « **دليل الخليج** » ، (القسم الجغرافي ، ص ١٩٩٠ م) .

وإلى جانب صيد اللؤلؤ والأسماك ، ازدهرت بعض المهن ذات الارتباط الوثيق بصيد اللؤلؤ مثل **تجارة اللؤلؤ** ، وتسمى (**الطواشة**) ، **وصناعة اللؤلؤ** وتسمى (**الصاغة**) ، واشتهر من أهل الدوحة عدد كبير من الطواشين والصاغة ، لكن ازدهار تجارة اللؤلؤ وصناعته ما لبثت أن انحسرت أمام المد البترولي من ناحية ، **وظهور اللؤلؤ الصناعي** من ناحية أخرى ، فهجر صيادو اللؤلؤ البحر ومشاقه ومتاعبه ، وانصرفوا **للعمل في حقول البترول** ، لما يحققه لهم من دخل أفضل وبجهد أقل .

بعد ذلك استقطبت الدوحة العديد من الجنسيات للعمل فيها ، ويشكل الإيرانيون والهنود والباكستانيون النسبة الأكبر بين الوافدين للدوحة ، حيث اقتضت كثرة الأعمال في البلاد وقلة السكان هذا الاستقطاب .

وتتمركز في الدوحة الوزارات والسفارات ، والبنوك والمراكز التجارية المختلفة ، والجامعة ومحطة الأقمار الصناعية ، وأجهزة الإعلام الرسمية والأهلية ، ولعل من أهم معالم الدوحة السياحية إلى جانب شواطئها الجميلة وحدائقها العامة ، الأمور التالية :

المتحف

وهو مؤسسة قومية تضم تراث البحر والصحراء ، ويتألف من أربعة أقسام :

- **القصر القديم** ، وملحقاته من المباني العربية والأثرية .
- **المبنى الحديث** ، حيث يوجد قسم التاريخ الطبيعي وتراث البادية .
- **البحيرة** ، وتضم نماذج من السفن الخليجية المستعملة في صيد اللؤلؤ والأسماك .
- **الأحياء المائية** ، حيث توجد أنواع مختلفة من أحياء الخليج المائية كالأسماك وغيرها .

ميناء الدوحة

ونظراً لأن قطر تتمتع بمركز بحري ممتاز بين دول الخليج العربي ، فقد **أعد ميناء الدوحة لاستقبال البواخر الكبيرة التي يبلغ غاطسها ثلاثين قدماً ، ويتصل ميناء الدوحة بخطوط بحرية منتظمة مع معظم موانئ العالم** ، وقد تحققت بعض الإنجازات في مجال تطويره وتحديثه ، وأعد برنامج يشمل إقامة منطقة حرة لبضائع الترانزيت .

دار الكتب

تأسست دار الكتب عام ١٣٨٢ هـ ، بادماج مكتبتين كبيرتين ، هما المكتبة العامة ومكتبة المعارف ، وهي موجودة في منطقة تتيح وصول القراء إليها بسهولة من جميع أنحاء الدوحة ، وهي **تؤدي الخدمات التالية :**

١ ــ اعارة الكتب .

٢ ــ توزيع بعض المطبوعات بأعداد كبيرة على الأفراد الذين يرغبون في اقتناء نسخ منها .

٣ ــ مبادلة تلك المطبوعات مع الهيئات والمؤسسات المعنية في الداخل والخارج .

وتضم دار الكتب بين رفوفها أكثر من أربعين ألف مجلد ، بالإضافة إلى آلاف المخطوطات العربية القديمة ، والمجلدات باللغات الأجنبية ، والصحف والمجلات والدوريات المختلفة .



★ تربية الصقور .. هواية منتشرة في الدوحة ★

★ صناعة اللؤلؤ (الصياغة) ★





★ دار الكتب ★

وتشتمل على عدة أقسام منها (**قسم التزويد**) لاختيار الكتب عن طريق الشراء أو التبادل والإهداء ، و (**قسم الفهارس**) لإعادة فهرسة وتصنيف مجموعات الدار ، و (**قسم الإعارة**) للمطالعة الداخلية والإعارة الخارجية ، و (**قسم المراجع والبيلوغرافيا**) .

المدينة الرياضية

وتسمى **(مدينة خليفة الرياضية)** .. وتضم **ستاداً رئيسياً لكرة القدم يتسع لأربعين ألف متفرج** ، وقد **أقيمت عليه مباريات الدورة الرابعة لكأس الخليج العربي** ، كما تضم المدينة مجموعة ضخمة من المنشآت الرياضية المصممة بشكل عصري متقدم ، بالإضافة إلى جناح إداري من أربعة أدوار مخصص لمجلس رعاية الشباب ، **وقد انتهى الملعب الرئيسي في المدينة في أوائل عام ١٣٩٦ هـ ، أما المدينة بكاملها فمن المقرر أن تكون جاهزة عام ١٤٠٠ هـ .**

هذه لمحة سريعة عن مدينة « الدوحة » هذه المدينة التي ينتظرها مستقبل مشرق تضاهي به كبرى مدن العالم العربي ، والعالم الإسلامي ، فكل وسائل التنمية تحت الخطى لتجعل من الدوحة دوحة للتقدم والاضطراد .. وهي تستطيع أن تصنع أشياء كثيرة إذا توفر الاخلاص بين المواطنين .. وهو ما أكده أبناء قطر الذين وجدوا في العلم خير وسيلة لاكتساب الخبرات ، وتطوير كفاءتهم الإنتاجية .

ومدينة الدوحة لها بلا شك إلى جانب أعيادها الرسمية ، أفراحها الخاصة التي تمثلها حفلات الزواج ، وما يتخلل هذه الحفلات من البروتوكولات والتقاليد المتوارثة التي حافظوا عليها ، وظلت تتخلل أفراحهم .

وتكاد تكون « **العرضة** » القاسم المشترك بين دول الخليج .. هذا إلى جانب **أغاني الصيد واللؤلؤ** ، والبحر التي عرف بها البحارة ، وكلها تصور الصبر ، والحب ، والعشق ، والأمل .

فرحلات صيد اللؤلؤ تأخذ أشهراً طويلة ، هذه الأشهر تبعث في النفس الأشجان ، وتجعل البحارة يشعرون بالغربة ، ومن خلال الشعر والغناء يروحون



★ بعض مخطوطات دار الكتب ★

عن نفسهم عناء الغربة ، وبعد الأحبة والأهل .

والناس يحفظون كثيراً من هذه الأشعار ، وغيرها من العبارات التي تتطلبها بعض الأعمال في البحر ، فترتفع أصوات البحارة لتشد أزرهم ، ويتسلون بها لاتمام عملهم .

أما في المساء ، فإنهم يجتمعون لرواية الحكايات التي سمعوها مثل حكايات « أبي زيد الهلالي » ، و« عنترة بن شداد » ، وغيرها من القصص التي ترددها كتب الأدب العربي ، فيقرأها أحدهم ليسمعها الآخرون ، هذا إلى جانب ما يرويه بعضهم من أحداث شخصية مرت بهم ، يتوفر فيها العنصر الدرامي .

والحقيقة أن رحلات صيد السمك ، وصيد اللؤلؤ وصناعته في حاجة إلى اهتمام الأقلام الكاتبة بالبحث والدراسة ، فهي مصدر غنى للشاعر ، والقاص ، والروائي ، والمسرحي ، والمؤرخ أيضاً .

إنها دعوة مخلصة لكل حامل قلم بأن يعير هذا الجانب في أي مكان في الوطن العربي الاهتمام المطلوب ، فهو إلى جانب أنه كان جزء من ثروتنا الاقتصادية ، إلا أنه أصبح يشكل مع الأيام تاريخاً ، وفكراً ، وتجربة حياة .

الغـــوص

تشكل مهنة **صيد اللؤلؤ** ظاهرة فريدة في التاريخ الاقتصادي لمنطقة الخليج ، فقبل ظهور **النفط** لعب صيد اللؤلؤ دوراً كبيراً في حياة سكان المنطقة ، وهو يسمى (**الغوص**) وله تقاليده الخاصة المعروفة بين أبناء المنطقة ، وهذه التقاليد تشكل كلاً لا يتجزأ من حياة سكان المنطقة ، ابتداء من طرق الاستعداد له وأساليب ممارسته حتى الانتهاء من رحلة (الغوص) وهو ما يسمى بـ (**القفال**) ، وتستعمل في رحلة (الغوص) أنواع معينة من السفن مثل (**الجالبوت**) و(**البوم**) و(**البتيل**) و (**البقارة**) و(**السمبوك**) وغيرها .. ويقود رحلة (الغوص) رجل واحد هو (**النوخذة**) وأصل الكلمة فارسية وتعني قائد السفينة ، ويساعده مجموعة من الرجال هم :

- **المجدمي** : وهو المسؤول بعد (النوخذة) عن توجيه السفينة وتفقد أحوالها .
- **الغيص** : وهو الغواص الباحث عن اللؤلؤ في أعماق البحر ،



★ المسجد الكبير ★

يبحث عن المحار ويجمعه فيما يشبه الكيس الذي يكون مربوطاً بحبل يمسك به رجل على ظهر السفينة اسمه (**السيب**) ، وفي العادة يكون لكل (غيص) مساعده وهو (السيب) .

● **السيب** : الشخص الذي يعتمد عليه (الغيص) اعتماداً كلياً ، وأي اهمال منه قد يُودي بحياة (الغيص) . . وهناك إشارات متفق عليها ، تتم بواسطة الحبل الذي يمسك به ويكون طرفه الثاني عند (الغيص) .

● **التباب** : وهو صبي الرحلة الذي يلبي طلبات بقية الرجال ويتولى خدمتهم .

● **النهام** : وهو **مطرب الرحلة** الذي يؤنسهم وينسيهم وحشة البحر وفراق الأحباب ، ويحثهم على مواصلة العمل للعودة بالوافر من الصيد . ومع أن أغاني (الغوص) هي أغان جماعية ، لكن النهام له دوره الفعَّال في قيادة هذا الغناء الجماعي . ومن أشهر ألوان الغناء الخليجي المرتبط بالبحر (**السامري**) و (**الفجري**) و (**الخماري**) و (**الليوة**) و (**الطمنبورة**) ، وتشكل أغاني البحر تراثاً خصباً ، ولا يزال صدى (**الهولو واليامال**) يتردد في كل أرجاء الخليج .

أثناء رحلة (الغوص) يتجول تاجر اللؤلؤ ويسمى (**الطواش**) بمركب صغير بين سفن (الغوص) لشراء اللؤلؤ . وتتم عملية الشراء بين (**الطواشين**) و (النواخذة) دون أن يكون لبقية أفراد الرحلة دخل في ذلك ، وتتحدد قيمة اللؤلؤ عادة حسب نوعه . **فاللؤلؤ أنواع وأحجام** ، من أنواعه (**الجيون**) و (**الدانة**) و (**القولوة**) وغيرها ، لكنه **من حيث الحجم ينقسم إلى أربعة أنواع** ، هي (**الرأس**) و (**البطن**) و (**الذيل**) و (**السحتيت**) ، فأكبر أحجام اللؤلؤ هو (الرأس) ، وأصغرها (السحتيت) وأهم أدوات الغوص هي :

★ **البدلة** : وهي قماش يلبسه (الغيص) للوقاية من هلاميات البحر وأسماكه المفترسة .

★ **الخطام** : ويسمى الفطام أيضاً ، يضعه (الغيص) على أنفه ليمنع تسرب المياه .



★ **الخبط :** وهي تشبه القفازات لحماية أيدي البحارة أثناء العمل .

★ **اليدا :** حبل يمتد بين (الغيص) و(السيب) وهو وسيلة النجاة الوحيدة (للغيص) ، حيث يقوم (السيب) بسحبه عند أول إشارة .

★ **الديين :** وعاء جمع المحار .

★ **الزيبل :** ثقل من الرصاص أو الحجارة يساعد (الغيص) على سرعة الهبوط .

وتسمى أماكن اللؤلؤ **بالهيرات** ، حيث تتجمع السفن في مواسم الصيد ، والمعروف أن لكل جماعة **(هير)** يقصدونه .

وكما تبدأ رحلتهم بأناشيد الابتهال :

(شلنا اتكلنا على الله   ربي عليك اتكالي)

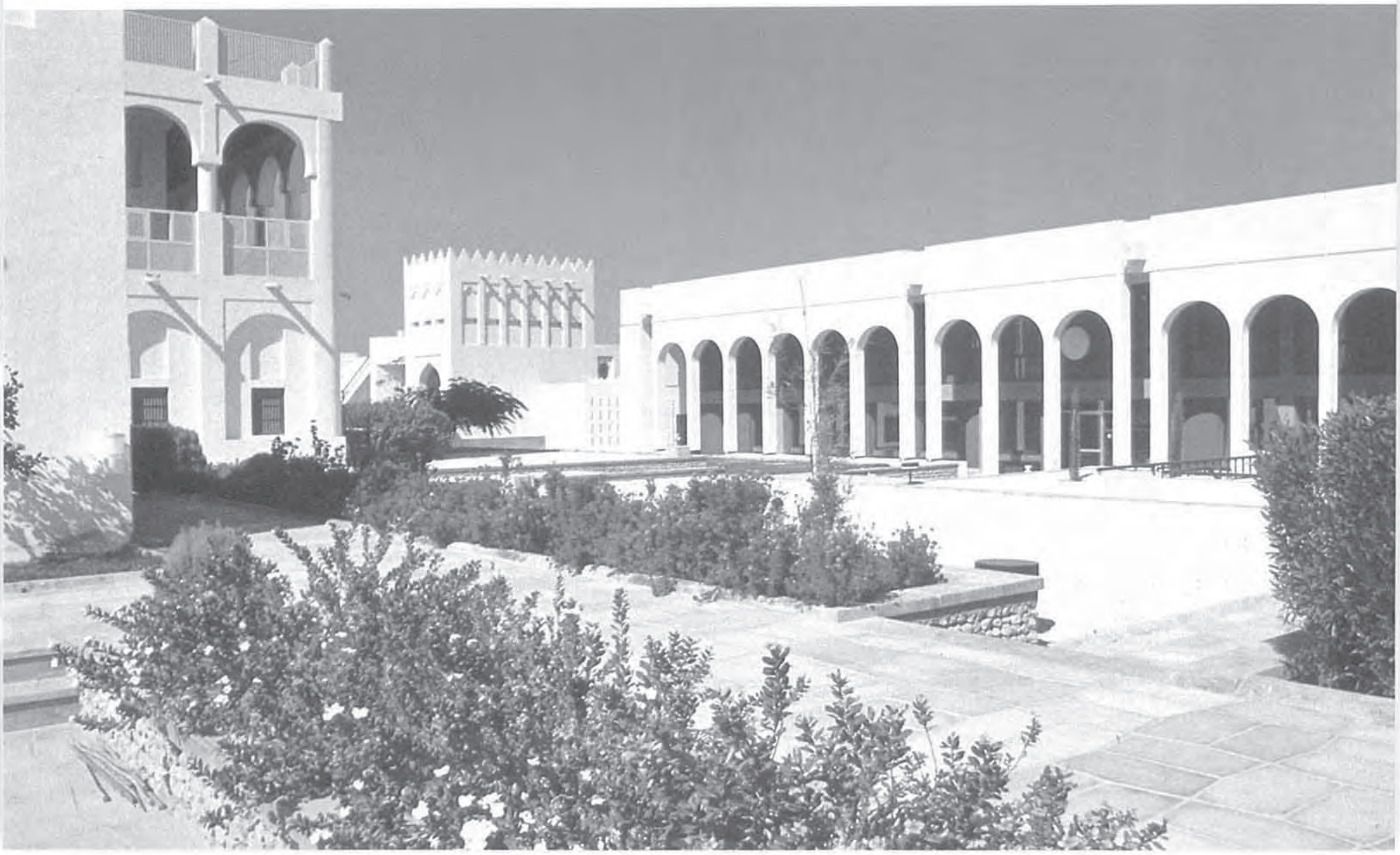
كذلك تستمر بالدعاء :

(هو يا الله هو يا الله
يا الله يا خير والي
يا بو العطايا الجزيلة
أرزاق ما توخذ بزور)



★ أدوات استخدمها القطري الأول في العصر الحجري ★

★ متحف قطر الوطني ★





★ العرضة ★

كما يتسلون بأغاني السمر في الليالي الموحشة :

(حسبي على أهل الهوى　　　هم في الهوى ولعوني
من يوم ثوبي ذراع
وإن مت يا أهل الهوى　　　من بعدكم فادركوني
شربة هنيه بساع)

فإنهم في جميع مراحل الرحلة لن ينسوا الأهل والأحباب الذين ينتظرونهم على السيف وهم ينشدون :

(توب توب يا بحر
يبيهم يبيهم يا بحر
يا نوخذاهم لا تكلف عليهم
ترى البحر بارد غصب عليهم
توب توب يا بحر
ما تخاف الله يا بحر
شهرين والثالث دخل
توب توب يا بحر)

وغيرها من الأهازيج الرائعة الشجية التي تجسد آلام الفراق والحنين للعودة .

الصحافة

ترجع بداية **الصحافة القطرية** إلى عام ١٩٧٠م ، عندما صدر أول عدد من مجلة « **العروبة** » في ٥/٢/١٩٧٠م ، وفي أواخر نفس العام صدرت مجلة « **الدوحة** » ، وفي ٥/٣/١٩٧٢م ، صدر أول عدد من أول جريدة يومية هي جريدة « **العرب** » عن دار العروبة . وفي ٩/٧/١٩٧٤م ،

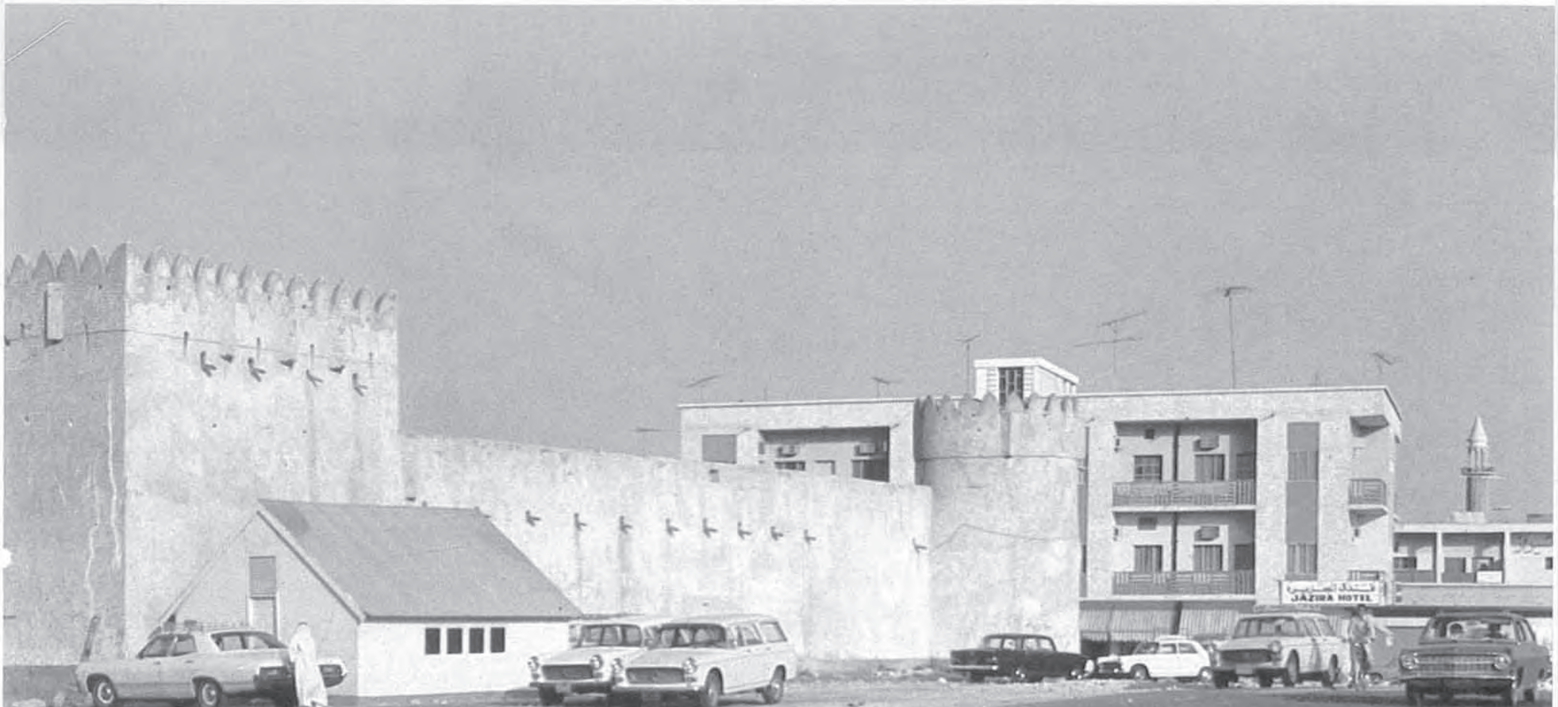
صدرت مجلة « **العهد** » ، وهي أسبوعية سياسية جامعة تصدر عن **مؤسسة العهد للصحافة والطباعة والنشر** ، وضرب عام ١٩٧٦ م ، رقماً قياسياً بالنسبة لاصدارات الصحف ، ففي هذا العام صدرت مجلة « **الخليج الجديد** » ، ومجلة « **ديارنا والعالم** » المتخصصة في الشؤون المالية والبترولية ، ومجلة « **الصقر** » المتخصصة في الشؤون الرياضية والعسكرية ، كما أنه تم أيضاً في نفس العام تحويل مجلة « **الدوحة** » إلى مجلة تهتم بالثقافة والفكر ، وفي عام ١٩٧٧ م ، صدرت مجلة « **الجوهرة** » النسائية عن مؤسسة العهد ، ثم صدرت جريدة « **الدوري** » الرياضية ، وتعتبر جريدة « **الراية** » ــ اليومية تصدر أسبوعية مؤقتاً ــ أحدث المطبوعات الصحفية في قطر ، وهناك إلى جانب ما ذكر بعض المجلات الفصلية والنشرات المتخصصة مثل « **التربية** » و « **المشعل** » .

ولعل من المناسب عند الحديث عن الصحافة القطرية ، أن نشير إلى مشروع أدبي هام تبنته مجلة العهد ، وهو « **كتاب العهد** » الدوري الذي يعنى بشؤون العلوم والآداب والفنون ، ويساهم في انعاش الحركة الفكرية في البلاد .



★ قلعة أم صلال وبقايا برجها ★

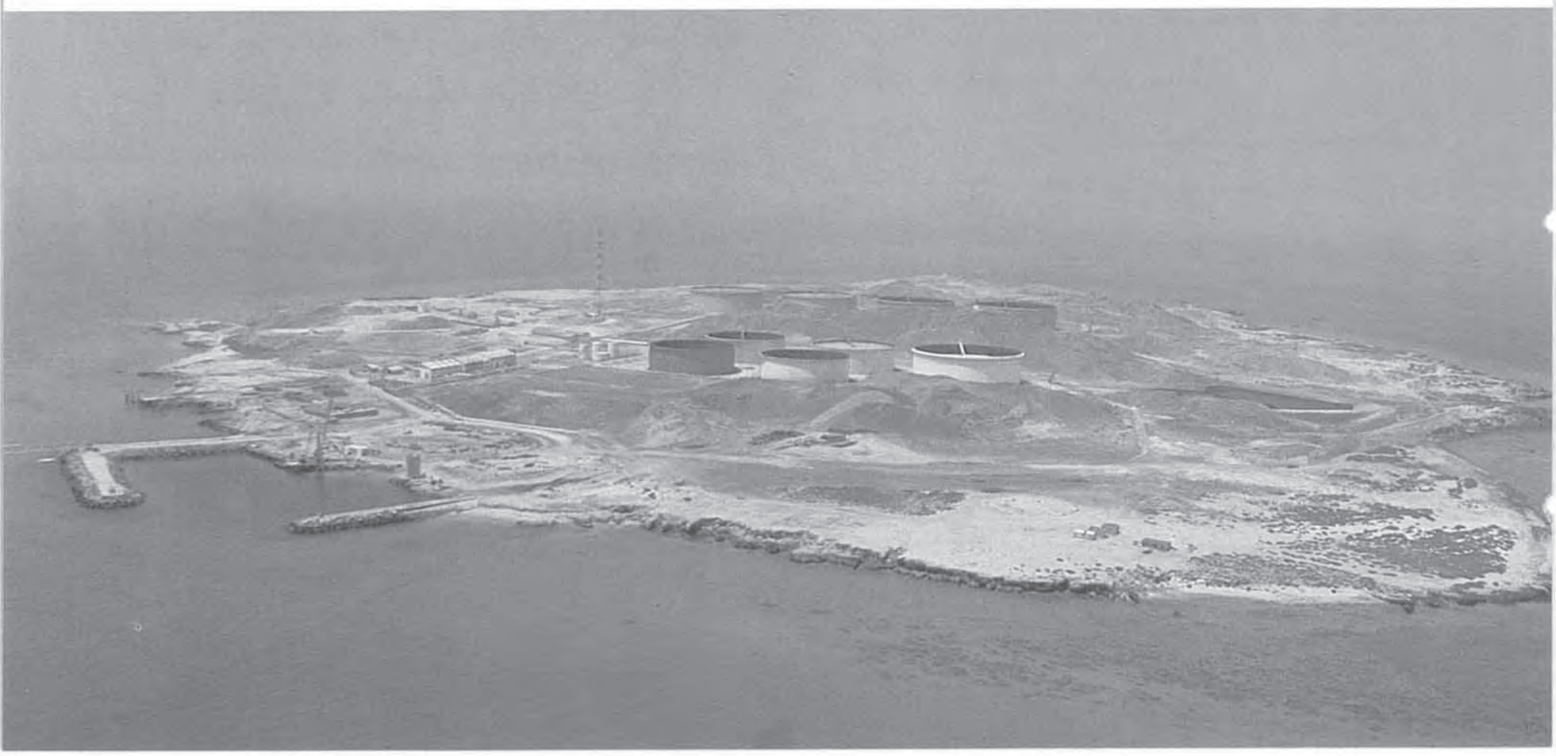
★ إحدى القلاع ★





★ أحد المنتزهات ★

★ إحدى الجزر القريبة ★



لؤلؤة القلق

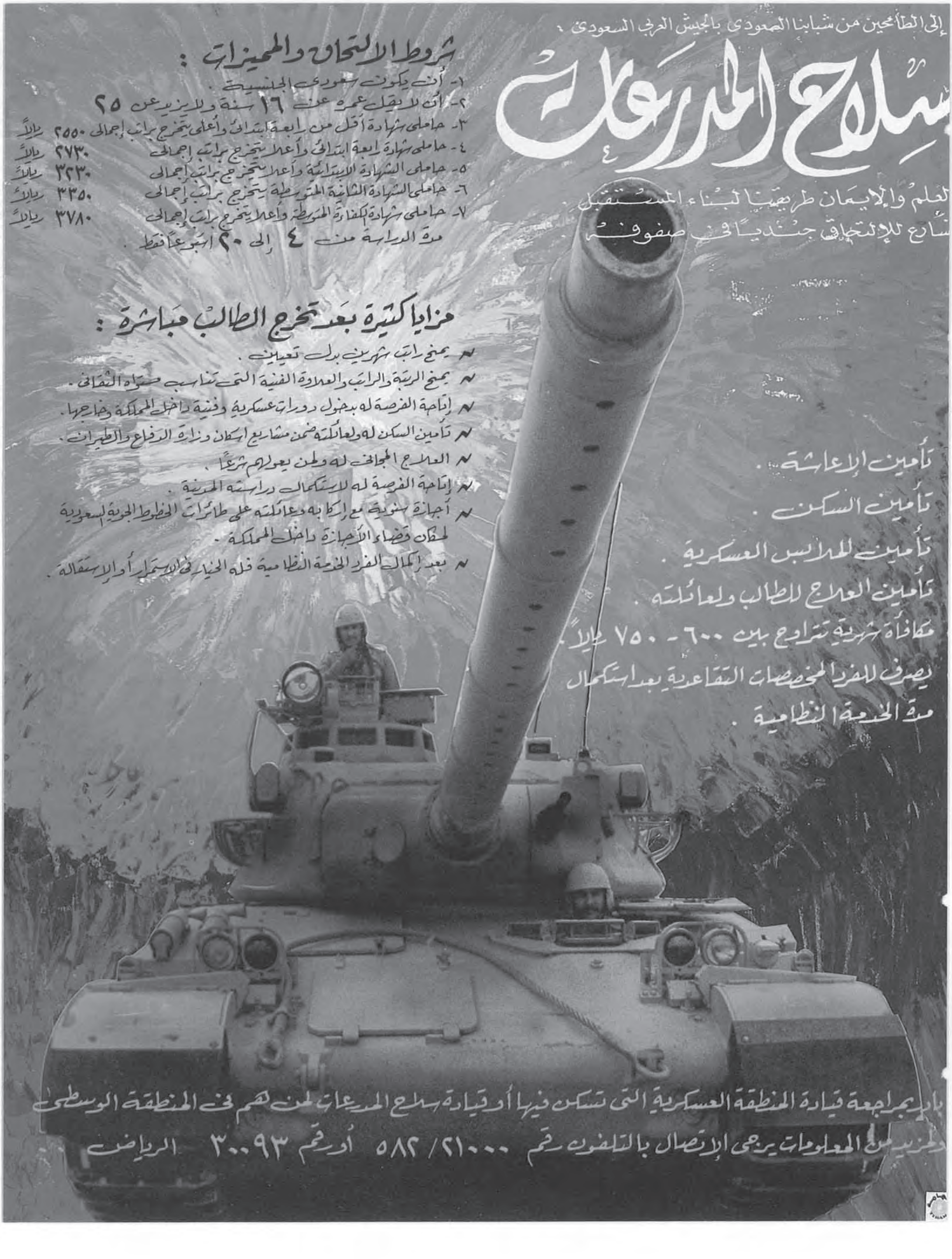
شعر: عصام الغزالي

كَسِّر أطواق الفخَّار
واسبح في عرض التيَّار
لا تمنح آذانَ الدنيا
صرخات .. (تن)[1] في الآبار
هاتوا قلمي .. مَن ضيَّعه ؟
من أخفى عني الأشعَار ؟
مَن كممني ؟ مَن سممني ؟
قولوا لي : أين القيثار ؟

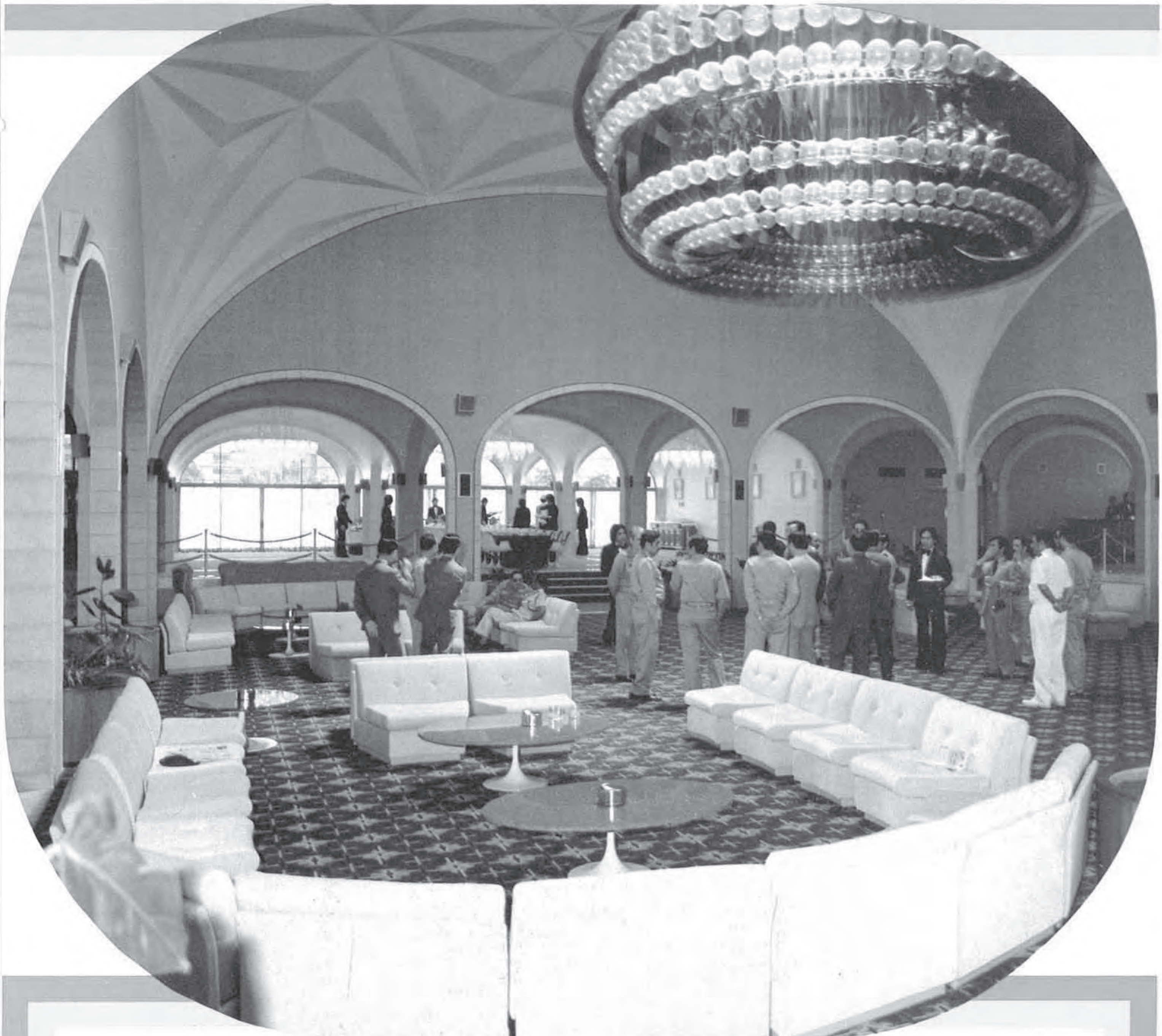
يا أمواجَ البحر اهتزي
فأنا آتٍ للابحَار ..
مجدافي قافية غرق
ضاقت .. تاقت للاعصار
خرجت من أعماق الماضي
لحناً يهذي بالأسرار
لحناً عذباً لا يخطئه
سمعي .. يتخطى الأسوار
لا يرضى أن ينهي زحف ال
عطر الساعي للزوار
خَلَقَ الله الفن الراقي
ضوءاً يسري في الأغوار
مَن منا يقدر .. أو يرضى -
أن يطفِئ أحلى الأنوار ؟
يا نفسي هبي وانتفضي
وضعي حداً للادبار
قولي للسيف المحتجب ال
صدىء الغافي في الأوتار :
احفر في هذا الدفتر مجـ
ـرى تهطل فيه الأمطار
أنا فارس ميدان الشعر ال
آتي بالوردة والنار !
فرسي إني آت آت
لصهيلك فالصمت انهار
دقي بحوافرك الأرض ال
حبلى بأعز الأزهار
ما يمنعها أن يأتيها
بمخاض عصف الأفكار
وأراها تخرج لؤلؤها
لي من قلق واستقرار !

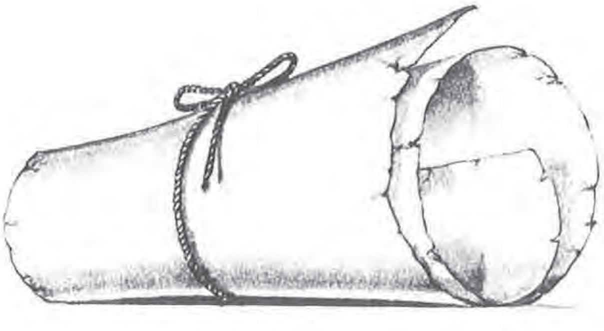
فرسي سَبَحَت في إيقاعي
بذكاء الفطرة إن ثار
والحلقة قد سَحَرَت والليـ
ـل بدا ألقاً بالأقمار
والفارس والفرس انطلقا
في الرقصة تحت الأنظار
قالت : نقل .. ثقل ساقي
همست لي بين السمار :
ما أعظم ألا تمنعني
كي أشعرَ أني أختار
قد تخطر طائعة ساقي
في دربكَ .. دونَ الاجبار
إن الحرية إيقاع
قد نحكمه بالمزمار !

يا لؤلؤة القلق انكشفي اختطفي بالنور الأبصار ..



إلى الطامحين من شبابنا السعودي بالجيش العربي السعودي ،
سلاح المدرعات
العلم والإيمان طريقنا لبناء المستقبل .
سارع للإلتحاق جنديا في صفوفه .
شروط الإلتحاق والمميزات :
١- أن يكون سعودي الجنسية .
٢- أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥
٣- حاملي شهادة أقل من رابعة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريالاً
٤- حاملي شهادة رابعة ابتدائي وأعلا يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريالاً
٥- حاملي الشهادة الإبتدائية وأعلا يتخرج براتب إجمالي ٣٢٣٠ ريالاً
٦- حاملي الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريالاً
٧- حاملي شهادة الكفاءة المتوسطة وأعلا يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريالاً
مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ اسبوعاً فقط .
مزايا كثيرة بعد تخرج الطالب مباشرة :
يمنح راتب شهرين بدل تعيين .
يمنح الرتبة والراتب والعلاوة الفنية التي تناسب مستواه الثقافي .
إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع اسكان وزارة الدفاع والطيران .
العلاج المجاني له ولمن يعولهم شرعاً .
إتاحة الفرصة له لاستكمال دراسته المدنية .
أجازة سنوية مع اركابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الأجازة داخل المملكة .
بعد إكمال الفرد الخدمة النظامية فله الخيار في الإستمرار أو الإستقالة .
تأمين الإعاشة .
تأمين السكن .
تأمين الملابس العسكرية .
تأمين العلاج للطالب ولعائلته .
مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - ٧٥٠ ريالاً .
يصرف للفرد المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .
بادر بمراجعة قيادة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها أو قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى
ولمزيد من المعلومات يرجى الإتصال بالتلفون رقم ٢١٠٠٠/ ٥٨٢ أو رقم ٣٠٠٩٣ الرياض





رسالة..
إلى المعلن

يسر إدارة مجلة الفيصل أن تزف إلى السادة المعلنين أنها قد وقعت عقداً مع مؤسسة **تهامة** للإعلان والعلاقات العامة وأبحاث التسويق أسندت إلى **تهامة** بمقتضاه امتياز الإعلان في مجلة الفيصل وذلك اعتباراً من غرة شهر شوال ١٣٩٩هـ وبموجب هذا العقد أصبحت **تهامة** هي الممثل الإعلاني الوحيد لـ الفيصل داخل المملكة وخارجها، ولا تتلقى الفيصل أي إعلانات من أي عميل إلا عن طريق **تهامة**.
لذلك فالمرجو من السادة المعلنين الراغبين في الإعلان عن سلعهم وخدماتهم ونشاطهم في المجلة توجيه طلبات النشر إلى **تهامة** على أحد العناوين الموضحة أدناه علماً بأن تسليم المواد الإعلانية يتعين أن يتم قبل شهرين من تاريخ صدور العدد من المجلة المراد الإعلان فيه.

* وفي هذه المناسبة نشير إلى أن أسعار الإعلان في المجلة هي على النحو التالي *

الغلاف الخارجي الأخير	٤ ألوان	١٥٠٠٠ ريال
الغلاف الداخلي الأول	٤ ألوان	١٣٠٠٠ ريال
〃 〃 〃	لونان	٨٠٠٠ ريال
〃 〃 الأخير	٤ ألوان	١٣٠٠٠ ريال
الغلاف الداخلي الأخير	لونان	٨٠٠٠ ريال
صفحة داخلية ملونة	٤ ألوان	١١٠٠٠ ريال
صفحة داخلية أسود / أبيض		٥٠٠٠ ريال
صفحتان إضافيتان مزدوجتان	٤ ألوان	٢٢٠٠٠ ريال

وللمزيد من التفصيلات حول الإعلان بالمجلة يرجى الاتصال بتهامة:

* تهامة جدة : ميدان وزارة الخارجية - تلفون : ٤٠٠٠٠
* تهامة الرياض : شارع المطار - خلف البعثة الأمريكية - تلفون : ٦٨٢٠٧ - ٤٧٨٠٣٩٤
* تهامة الدمام : شارع الظهران - تحت ابن خلدون - عمارة بقشان - الدور السابع - تلفون : ٣٢٥٥٥ - ٢٠٤٣٤
* تهامة مكة : شارع الستين - امتداد الحفائر - تلفون : ٣٢٧٠٩ - ٣٥٠٢٣
* تهامة لندن : TIHAMA ADVERTISING & MARKETING (UK) LTD, INTERNATIONAL PRESS CENTER, 76 SHOE LANE, LONDON EC4A 3JB TEL: 01 353 6859 & 01 353 6826
CABLE: TIHAMCO, LONDON EC4

تهامة TIHAMA

ندوة الشهر

مستقبل الطفل العربي

كيف نراه

اشترك في الندوة

- الأمير خالد بن فهد بن خالد : نائب رئيس اللجنة السعودية لرعاية الطفولة
- د. سمير القلماوي : مقررة لجنة ثقافة الطفل
- د. نادرة وهدان : خبيرة اليونيسيف
- د. مصطفى الديواني : أمين المجلس الأعلى للطفولة
- عبد التواب يوسف : رئيس جمعية ثقافة الطفل
- جمال أبو ريّة : مدير أدب الأطفال بدار المعارف

لماذا نتعب ونكد نحن الكبار في هذه الحياة ؟
ولماذا نتحمل كل المشاق والآلام ؟

الجواب : هو أننا نقوم بكل ذلك وأكثر من أجل أطفالنا (**زينة الحياة الدنيا**) الذين هم الهدف والغاية .. وكل إنسان على وجه الكرة الأرضية يحب أن يرى أطفاله في أحسن حال .. ولكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تختلف ، ووسائل وامكانات التربية والتعليم أيضاً تختلف من بلد إلى آخر .

في نفس الوقت الذي ينال فيه الطفل في بعض **البلدان المتقدمة** كل الرعاية ، فإنه في **بلدان متخلفة** لا يتوافر للطفل أي وجه من وجوه الرعاية وقد تتوافر الامكانات في بلد ما ، ولكن ينقصها التخطيط والتنظيم .. كما أنه قد يتوافر للطفل رعاية صحية في مكان ما ، ولكن تنقصه الرعاية الثقافية . لأن الطفل في حاجة إلى كافة أنواع الرعاية بأحدث الأساليب العلمية في كل مجال من مجالات الرعاية بالطفل حتى تضمن له مستقبلاً سليماً .. فالطفل السليم «جسمياً وعقلياً» هو نواة لمجتمع سليم أيضاً .

وقد كان تحديد عام ١٩٧٩م ، ليكون العام العالمي للطفولة الفضل في أن تتنبه البلدان العربية إلى مستقبلها في صورة اهتمامها بأطفالها بعد طول غفلة .. وكانت

★ الأمير خالد بن فهد ★



★ مصطفى الديواني ★



أول الخطوات التي تبشر بالخير ما قرأناه من **إنشاء صندوق للطفل في دول الخليج .**

وفي **المملكة العربية السعودية** أنشئت **اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة** برئاسة وزير المعارف ، **كما تبرعت المملكة بمليون دولار سنوي مساهمة في صندوق الطفولة .**

وفي مصر أعدت اللجنة القومية المصرية خطة مصر للعام الدولي للطفل وتضمنت إنشاء **معهد قومي للأطفال للأبحاث والتدريب** . وهناك اهتمامات بالطفل في كل أقطار الوطن العربي بدون استثناء .

ومجلة الفيصل انطلاقاً من اهتمامها بقضية الطفولة ، والتركيز عليها طوال عام الطفل من خلال طرحها لعدد من المواضيع المتعلقة بالطفل من جميع الجوانب في كل عدد من أعدادها ، لما للطفولة من أثر كبير على حاضرنا ، وبما لها من دور خطير في تشكيل مستقبلنا . . تقدم هذه الندوة الموسعة لتشارك أطفال العالم العربي ، والعالم أجمع عامهم العالمي ، ولتقدم لهم المجهودات التي ينتظر أن ترى النور مع العام العالمي للطفل في شتى المجالات عامة وفي مجال ثقافة الطفل خاصة . . من أجل ذلك نلتقي الآن مع نخبة من المسؤولين والخبراء والأدباء والأديبات والمختصين بالطفل ، لنتعرف على أفكارهم ومشروعاتهم من أجل سعادة ورفاهية الطفل العربي في بلدانهم .

الطفل في السعودية

●● كان اللقاء الأول من المملكة العربية السعودية ، الأرض التي دعت إلى حقوق الأطفال ورعايتهم من خلال دستورها القرآن الكريم ، قبل أن تدعو إليه الأمم المتحدة ، وتتنادى إليه دول العالم .

سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد وكيل وزارة المعارف للشؤون التعليمية والإدارية ، ونائب رئيس اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة ، يحدثنا عن فكرة إنشاء اللجنة ، وأهدافها ، كما يتحدث عن الخطط والبرامج المستقبلية للطفل في المملكة ، ومساهمة المملكة دولياً وإنسانياً بمناسبة العام الدولي للطفل ، فيقول :

● اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة ، حسب موافقة **المقام السامي** رقم ٧٥٩ وتاريخ ١٣٩٩/٢/٨ هـ ، لجنة على مستوى عال **برئاسة معالي وزير المعارف** وتضم **مجلس أعلى** مكون من وكلاء الوزارات والجهات الحكومية المعنية برعاية الطفولة ، **ومجلس تخطيط ومتابعة** يضم ممثلين عن هذه الوزارات والجهات ، وقد بدأت فكرتها بناء على القرار رقم ٣١/١٦٩ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها ٣١ الخاص بإعلان عام ١٩٧٩م عاماً دولياً للطفل ، وقد طالب القرار المذكور أن تساهم المنظمات التابعة للأمم المتحدة في إعداد وتنفيذ أهداف العام الدولي للطفل واعتبرت **منظمة اليونيسيف** المنظمة التي تتولى زيادة هذا المشروع **وحدد القرار المذكور الأهداف الأساسية للعام الدولي للطفل فيما يلي :**

أ ــ وضع إطار لبرنامج إعلامي نيابة عن الأطفال ، ونشر الوعي بالاحتياجات الاجتماعية للأطفال بين المعنيين بوضع القرارات وكذلك بين أفراد المجتمع .

ب ــ زيادة الإدراك بضرورة جعل برامج الأطفال جزء لا يتجزأ من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية تستهدف القيام بأنواع دائمة من النشاط تعود بالنفع على الأطفال في المدى الطويل والمدى القصير على الصعيدين الوطني والدولي .

ولقد دعت منظمة اليونسكو إلى تنفيذ هذا القرار ، كما دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ضمن توصياتها الصادرة عن ندوة خبراء تربية الطفل في السنوات الست الأولى ، والتي عقدتها في الخرطوم في الفترة من ١٧ إلى ٣١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ م إلى :

المختصون والخبراء

★ د. سهير القلماوي ★



★ عبد التواب يوسف ★



إعداد : محمد متولي

● أن تخصص كل دولة عربية جزء من ميزانيتها العامة لخدمات الطفولة ضمن الخطة العامة للدول .

● أن يكون في كل دولة مجلس على مستوى عال يكون من مهامه وضع السياسات والخطط ويكون لقراراته القوة التنفيذية .

وقد رفع معالي الوزير إلى المقام السامي باقتراح مناسبة تشكيل لجنة تدرس فكرة التنسيق بين الجهود المبذولة في الجهات الحكومية المختلفة المعنية برعاية الطفولة ، وتوصي بما يمكن أن تعمله كل جهة في نطاقها مع بلورة ذلك إعلامياً ، وأن يكون أعضاء هذه اللجنة من **وزارة المعارف ، ووزارة الصحة ، ووزارة الإعلام ، ووزارة الخارجية ، ووزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، ووزارة الشؤون البلدية والقروية ، ووزارة التخطيط ، والرئاسة العامة لتعليم البنات ، والرئاسة العامة لرعاية الشباب .**

فصدرت موافقة صاحب السمو الملكي **نائب رئيس مجلس الوزراء** رقم ٧٥٩ ، على تشكيل اللجنة من الجهات الحكومية المذكورة في ٢/٥/١٣٩٨هـ .

وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات برئاستي وعضوية ممثلي هذه الجهات ، تم خلالها بحث تصورات كل جهة بالنسبة لما يمكن عمله بمناسبة العام الدولي للطفل ، وما يمكن تنفيذه في المدى الطويل لرعاية الأطفال اجتماعياً وصحياً وثقافياً وتربوياً ، وتم بلورة هذه التصورات في توصيات تمثل خطة عمل يتم تنفيذها بمناسبة العام الدولي للطفل في خطة أخرى يتم تنفيذها في المدى الطويل ، وقد صدرت موافقة المقام السامي على هذه التوصيات في ٨/٢/١٣٩٩هـ .

وقد تم بحمد الله تنفيذ عدد كبير من هذه التوصيات ، ويتم تنفيذ ما تبقى منها تدريجياً خاصة وأن بعضها يتم تنفيذه في المدى الطويل .

●● بصفتكم وكيلاً لوزارة المعارف للشؤون التعليمية ، ما هي الخطط والبرامج المستقبلية للطفل في المملكة ؟

● الخطط والبرامج المستقبلية للطفل في المملكة عديدة ، وقد حددتها توصيات اللجنة وشملت **إصدار كتيبات ومجلات تعرض بصورة مبسطة وشيقة قصص القرآن الكريم والسيرة النبوية بغية بث الروح والقيم الإسلامية في نفوس الأطفال منذ الصغر ، وتشجيع مؤلفات أدب وقصص الأطفال ، وتضمين برامج التعليم العام برامج خاصة بالتربية البيئية والصحية ، والتوسع في رياض الأطفال ، ودور الحضانة ، وتكثيف الخدمات الصحية لتلاميذ المدارس ، وتخصيص مساحات للأطفال ضمن الأندية التي تشرف عليها الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، مزودة بالمرافق والاحتياجات الترفيهية والرياضية المناسبة للأطفال ، وتخصيص جزء في الحدائق العامة الحالية للأطفال وتزويدها باحتياجات الطفل الترفيهية والتربوية** ، مع تخصيص مساحات في المخططات الجديدة لهذا الغرض ، **وإيجاد حديقة للأطفال في كل حي سكني** ، وتخصيص مساحات في الصحف السعودية تعنى بشؤون الأمومة والطفولة ، ووضع خطة عامة لرعاية الطفولة ضمن إطار خطة التنمية بالمملكة ، على أن تتولى كل جهة تنفيذ ما يخصها من هذه الخطة وتقوم اللجنة الوطنية بمتابعة التنفيذ بالتعاون مع وزارة التخطيط ، هذا فضلاً عن العديد من البرامج الصحية والتربوية والثقافية التي تضمنتها توصيات اللجنة .

●● ما هي مساهمات المملكة دولياً وإنسانياً بمناسبة العام الدولي للطفل ؟

● « إن المملكة كعادتها لا تدخر وسعاً في تقديم العون للدول الصديقة والشقيقة في كل ما يحقق السعادة البشرية ، ولقد **ساهمت المملكة فعلاً بنصيب كبير في تمويل صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف)** ، وهي تعمل حالياً من خلال اللجنة الوطنية لرعاية الطفولة ، ومن خلال **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ورابطة شعوب العالم الإسلامي** واليونيسيف ومنظمة اليونسكو والأمانة العامة للعام الدولي للطفل ، لتقديم كل ما يمكن تقديمه لرسم الابتسامة على وجوه أطفال العالم بمناسبة العام الدولي للطفل ، وتجدر الإشارة أنه قد تمت موافقة مجلس الوزراء على **إصدار طابع تذكاري بمناسبة العام الدولي للطفل ، يخصص ريعه لمنظمة اليونيسيف لتمويل بعض مشروعات الطفولة في العالم فضلاً عن مساهمة المملكة المنتظمة في صندوق الطفولة والتي تبلغ مليون دولار سنوياً** » .

لجنة ثقافة الطفل

●● ومن مصر سألنا الدكتورة سهير القلماوي مقررة لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، عن نشأة فكرة عام الطفل العالمي والهدف منها ، فأجابت :

● « لقد رأت هيئة الأمم المتحدة أنه لكي تنتفي أسباب الحروب يجب أن تعمل البلاد المتقدمة على مساعدة الدول المتخلفة ، لهذا وضعت برامج عشرية للتنمية الدولية واختيار موضوع كل عام من الموضوعات المساعدة على التنمية والنهوض وتكثيف الاهتمام به على المستوى العالمي .. مثل **عام الكتاب .. وعام الغذاء .. وعام المرأة .. وعام الطفل ..** مع ملاحظة ربط كل موضوع من هذه الموضوعات بالتنمية الشاملة » .

●● وماذا تقولين عن عام الطفل بالذات ؟

● أقول إن عام الطفل هو أخطر الأعوام السابق ذكرها .. ومصدر هذه الأهمية تنشأ من كون الطفل هدف التنمية في أي مجتمع وأداة لهذه التنمية في نفس الوقت ، فطفل اليوم هو رجل الغد وهذا يعني أن الطفل هو كل المستقبل .

●● وما هي مراحل الطفولة واحتياجات كل مرحلة منها ؟

● يمر الإنسان بأكثر من مرحلة طفولية ، وكل مرحلة تحتاج لنوع معين من الرعاية التي يجب أن يحاط بها الطفل .. وأول مرحلة هي **مرحلة (الرضاعة)** ، وتبدأ منذ الولادة حتى سن الثانية ، ويحتاج الطفل فيها إلى مرضعة مرضة .. المرحلة الثانية ، هي **مرحلة (الحضانة)** ، وتبدأ من الثانية إلى السادسة ويحتاج الطفل فيها إلى مربية ـ وهذه المرحلة من أخطر المراحل ، **فعلماء النفس** يقولون إن الطفل بعد هذه المرحلة لا يستطيع أن يكتسب أي شيء جديد إلا على أساس ما اكتسبه في هذه السنوات من أسس صحية وسلوكية وتربوية .. فالطفل كالبناء يحتاج إلى أساس متين يقيم عليه مستقبله .. المرحلة الثالثة ، هي **مرحلة (المدرسة الابتدائية)** ، وتبدأ من السادسة إلى الثانية عشرة ، ويحتاج الطفل فيها إلى معلمة ، وفي هذه المرحلة يكون الطفل قادراً على استيعاب الأفكار

والخبرات .

●● متى أنشئت لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وما أهدافها ومجالات عملها ؟

● هذه اللجنة كانت في بداية الستينات عبارة عن **مركز لرعاية الطفل** ، ثم تطور المركز في عام ١٩٦٨ م ، إلى لجنة موسعة لدراسة شؤون الطفل الثقافية وتقدم اللجنة أبحاثها لكل الجهات الثقافية المعنية بالطفل وهدف هذه الأبحاث هو ما يجب أن تكون عليه ثقافة الطفل سواء كانت في صورة كتاب أم إذاعة أم تلفزيون أم مسرح .

●● ما الصورة المثالية التي يجب أن تكون عليها الخدمات المقدمة للطفل العربي على اختلافها ..؟

● هذه الصورة المثالية لن تتحقق إلا إذا :

١ ـ خضعت رياض الأطفال والحضانات للرقابة الصحية والتربوية والثقافية .

٢ ـ تغير مفهوم وهدف المدارس عندنا ، **فالمدرسة ليست كتباً فقط ، بل معامل وتجارب وألواح وألوان وهوايات وثقافات .. فالمدرسة الحديثة في الدول المتقدمة مثل فرنسا وأميريكا** عبارة عن مدرسة مفتوحة ، أي بلا جدران يقضي فيها الطفل ثلث الوقت ، ثم يخرج إلى **المتاحف والمؤسسات والمصانع والمعارض .**

٣ ـ توفر للطفل **الكتب الجميلة** التي يستمتع بها أكثر من أن يحفظها .

والأهم من ذلك كله هو أن نقدم للطفل الحب ونوفر له مناخ الحنان في كل مكان يوجد فيه .

●● ما هي المشروعات التي سوف تشارك فيها لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للفنون والآداب في عام الطفل العالمي ؟

● نحن الآن نعد الدراسات والبحوث الخاصة بثقافة الطفل وأيضاً سوف تكون هناك مسابقات .. وأتمنى أن يرى مشروع **(دائرة معارف الطفل)** النور مع بداية العام العالمي للطفل .

استراتيجية للطفل

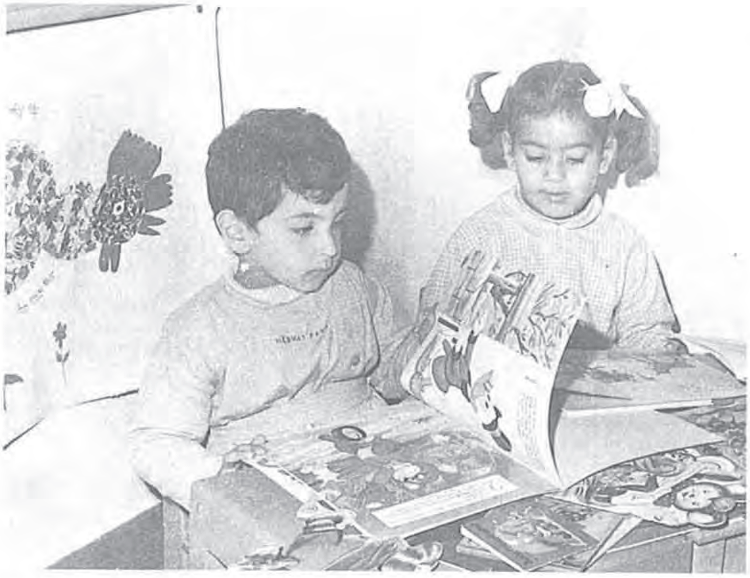
ثم ننتقل للدكتورة نادرة وهدان ، خبيرة اليونيسيف لنسألها :

●● ما ملاحظاتك على الطفل العربي ؟

● الطفل العربي مجني عليه ثقافياً والخدمات المقدمة له على اختلافها سيئة ، ولا توجد استراتيجية للطفل عندنا .. وإني لأعجب كيف نموا واستطالوا .

●● ما الذي يجب مراعاته ونحن نضع هذه الاستراتيجية للطفل ؟

● إنه رغم ما يجمع الأطفال في العالم العربي من دين ولغة وتراث .. إلا أنه توجد اختلافات شديدة بينهم ، فمثلاً الطفل المصري يختلف عن الطفل العربي ببلد ما في خصائصه وملامحه التي لا تمثل أي أحد غيره ، وهذا يجب مراعاته قبل تقديم أي خدمة للطفولة من خلال الاستراتيجية العامة للطفل في عالمنا العربي .. وبعد ذلك يمكن انتقاء كل ما هو مشترك بين الدول العربية ليصبح مجالاً لتبادل المنافع





والخبرات التي تهم الطفل في إطار الخطة أو الاستراتيجية الموضوعة للطفل .

●● إذا تحدثنا عن الخدمات التي يجب أن نوفرها للطفل فمن أين تبدأ هذه الخدمات في تقديرك ؟

● لا بد من الاهتمام بالطفل وهو في **بطن أمه** ، فالحالة الصحية التي يكتسبها الطفل وهو في بطن أمه تشكل أهمية قصوى في حياته بعد الخروج للحياة ، ومن هنا نستطيع أن نقول **إن الخدمة للطفل تبدأ بالعناية بالأم الحامل** وتوعيتها عن طريق وسائل الإعلام .

●● من خلال دراساتك الأكاديمية نريد أن نتعرف على مراحل الطفل الثقافية وملامح كل مرحلة ؟

● المرحلة من ٣ : ٦ سنوات يكون الاعتماد على **القصص المصورة** ، ومن ٦ : ٩ سنوات تكون **الصور والألفاظ معاً** .. ومن ٩ : ١٢ سنة هي **مرحلة الخيال والاهتمام بالقيم والمثل** ، أما المرحلة من ١٢ : ١٧ سنة فيغلب عليها **الاهتمام بالقصص والمغامرات** التي يجب أن يكون عليها كافة أنواع الرقابة .

●● ما سر انبهار الطفل بالقصة .. وإلى أي حد يمكننا الاستفادة منها في العملية الثقافية والتربوية ؟

● القصة بالنسبة للطفل تشكل بيئة منفصلة عن الأسرة والمدرسة ، يجد نفسه فيها ويستمتع بصورها أو بأحداثها .. **وحب الطفل للقصة نستطيع استغلاله بأن نضفي النصوص والمثل العليا والقيم والمبادئ الدينية أو الوطنية التي نريد أن ننميها في نفوس أطفالنا .**

●● ما الأهداف المرجوة في السنة العالمية للطفل ؟

● تتلخص هذه الأهداف في الآتي :

١ ـ تشجيع الدول على إعادة النظر في برامجها المكرسة لخدمة الأطفال .

٢ ـ تعميق الإدراك للصلة الحيوية القائمة بين البرامج المخصصة للأطفال من ناحية ، وبين التقدم الاقتصادي والاجتماعي من ناحية أخرى .

٣ ـ الحث على اتخاذ إجراءات عملية ومحددة ذات أهداف واقعية تكون لصالح كل الأطفال على المدى القريب والبعيدة .

وحيث إن عام ١٩٧٩ م ، يصادف العيد العشرين لإعلان حقوق الطفل ، لذلك تصبح السنة العالمية للطفل فرصة لكل بلد لمضاعفة الجهود لوضع حقوق الطفل موضع التنفيذ .

أدب الأطفــــــال

●● ونلتقي بالأستاذ عبد التواب يوسف ، رئيس جمعية ثقافة الطفل ، والحائز على جائزة الدولة في أدب الأطفال عام ١٩٧٥ م ، وصاحب أكثر من عشرين كتاباً في أدب الأطفال ، وألف برنامج إذاعي للطفل .

●● كيف تتصور الطفل وما الذي تلاحظه وأنت تكتب له ؟

● الطفل في تقديري إنسان يعيش مرحلة عمرية معينة (قد عشتها) له اهتمامات ومميزات وميول واحتياجات وأحاول في كتاباتي أن أوفق بين ذلك كله للوصول إلى قلب وعقل الطفل .. مع مراعاة سنه فلا أستطيع أن أعطي للطفل الذي يحتاج إلى الواقع خيالا أو الذي يحتاج إلى الخيال أن أعطيه واقعاً .

●● ما أهمية (أدب الطفل) بالنسبة للطفل ، وما الفرق بين الكتابة للطفل والكتابة للكبار ، وما الشروط الواجب مراعاتها عند التعامل مع الطفل بالكلمة ؟

● باختصار (أدب الطفل) هدفه الأساسي تعويض الطفل ما فاته في البيت والمدرسة ، والكتابة للطفل تكون كما نكتب للكبار بل أفضل ، فهي عملية شاقة بالنسبة للكاتب الذي يجب عليه مراعاة **القاموس اللغوي والنفسي والتربوي** ، وعليه أيضاً أن يعرف ما هي الموضوعات التي تهم الطفل .

●● في تقديرك ما هي أصلح المصادر الثقافية التي يمكن أن ننهل منها ونخاطب بها وجدان أطفالنا في المنطقة العربية ؟

● التراث الشعبي أصلح لغة نخاطب بها وجدان أطفالنا في المنطقة العربية لثراء هذا التراث بالأغاني الشعبية وبالحواديت الشعبية **(أبو زيد الهلالي .. ألف ليلة وليلة ..)** وهذا اللون محبب لأطفالنا ، فضلاً على أنه سهل إدراكه بالنسبة للأطفال .

●● ما رأيك فيما نراه على شاشات التلفزيون وما نسمعه في الإذاعة وكلها برامج مفتوحة للكبار والصغار ؟

● هذه جريمة ترتكب في حق أطفالنا ، وعملية تخريبية تستهدف عقولهم وتعرفهم على الجريمة .. ولا بد من البديل وهو (أدب بناء في صورة محترمة) ، فمستقبلنا مرتبط بمدى عنايتنا بمستقبل أطفالنا ، **وكما نهتم برعاية أطفالنا صحياً يجب أيضاً أن نهتم برعاية أطفالنا ثقافياً وعقلياً ، ويجب أن نحميهم من ميكروبات وطفيليات الإذاعة والتلفزيون** ، لذلك يجب عمل **ميثاق شرف للعاملين** في القنوات الثقافية والفنية عامة ، وللعاملين في مجال الطفولة على وجه الخصوص .

●● ما نصيب الطفل العربي من الكتب الخاصة به بالنسبة لنصيب الطفل في الدول المتقدمة ؟

● على سبيل المثال في **أمريكا** يوجد ٤٠٠٠٠ كتاب للطفل سنوياً ، ونصيب الطفل هناك يساوي ٥ كتب جديدة سنوياً ، في حين أن نصيب الطفل العربي من الكتب الجديدة لا يتجاوز سطراً في كتاب سنوياً .

●● إلى أي الأسباب يرجع هذا القصور في كتب الأطفال ؟

● القضية متعددة الجوانب .. فالطفل العربي لم يتعود شراء الكتب وهذا يرجع لمناخ الأسرة والمجتمع وأسلوب التربية والتثقيف ، هذا بجانب أننا إلى الآن لا نملك (دوراً لنشر كتب الأطفال) كالتي تملكها الدول المتقدمة .

●● هل كتاب الطفل مجرد سلعة تستهدف الربح ، دون النظر إلى المضمون الذي قد يشكل خطراً على الطفل ؟

● إن (إنجلترا) تعتبر صناعة الكتاب في المرتبة الثانية بعد صناعة السيارات ورغم ذلك فهي ليست تجارة بل فكراً وثقافة . لذلك فنحن ندعو الدول العربية مجتمعة إلى دعم كل المشروعات الخاصة بالطفل وأن تسعى جاهدة لإنشاء دور نشر لكتب ومجلات عربية من أجل الطفل العربي .

●● ما أهداف جمعيتكم (جمعية ثقافة الطفل) وما الخطط والمشروعات التي سوف تشاركون بها في عام الطفل العالمي ؟

● هدفنا إثراء حقل ثقافة الطفل بالإنتاج من خلال القنوات الثقافية المختلفة .. الكتاب والمجلة والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح .. والمشروع الذي نعده الآن هو إعداد (جريدة الطفل) وأرجو أن ترى هذه الجريدة النور في عام الطفل العالمي بإذن الله .

مجلس أعلى للطفولة

وفي لقائنا بالدكتور مصطفى الديواني عميد أطباء الأطفال ، وأمين المجلس الأعلى للطفولة وصاحب كتاب (حياة الطفل) الذي يعتبر مرجعاً للأمهات في كل مشاكل الطفل الصحية استكمالا لجوانب أخرى من هذه الندوة الشاملة الجديدة في طرحها على غير ما اعتاد قارئ المجلة في ندواتها الشهرية .

●● نعلم أنك أديب فضلاً عن أنك طبيب ما تصورك للطفل من خلال هذا المنظور ؟

● الطفل مخلوق عجيب يرى الأفق من بعيد فيخاله في قبضة يده .. يعيش للساعة التي هو فيها ، غير مفرق بين أمسه وغده ، يلقي بالمسؤولية على أكتاف المسؤولين عن صحته ونفسيته وباقي نشاطاته المختلفة .

●● متى أنشئ المجلس الأعلى للطفولة وما الهدف منه والدور المحدد له ؟

● في ٢٢ أغسطس / آب عام ١٩٧٧ م ، صدر القرار الجمهوري بإنشاء وتشكيل المجلس الأعلى للطفولة من أجل رعايتها والنهوض بها وتوفير أفضل الظروف المعيشية لها باعتبارها تمثل ثروة بشرية (١٥ مليون طفل في الولادة حتى سن ١٥ سنة) ، وكان هذا المجلس تعبيراً عن حاجة ملحة يمليها الواقع الذي نعيشه والمستقبل الذي نأمل فيه .. كما أنه يعتبر متمشياً مع الاتجاهات العالمية نحو تقرير حقوق الطفل ، والمجلس ينفذ خططه من خلال الوزارات المعنية . والمجلس يشمل ٨ لجان هي : لجنة صحية ـ لجنة اجتماعية ـ لجنة الحكم المحلي ـ لجنة التعليم ـ لجنة الثقافة والإعلام ـ لجنة الشباب والرياضة ـ ولجنة العام الدولي للطفل .

●● ما المشروعات التي سوف يشارك بها المجلس في العام العالمي للطفل ؟



● سوف يقيم المجلس ندوة قومية لبحث ما يجب إصداره من تشريعات لحماية الطفل .. أيضاً سوف نشترك في ندوة (مراكش) التي تنظمها **حكومة المغرب مع الاتحاد الدولي للطفولة** وإنشاء مركز قومي للدراسات والتدريب وأيضاً إنشاء مجلة شهرية تصدر عن المجلس تتضمن أهم بحوث الطفولة ، وكذلك العمل على **تطوير مصنع لعب الأطفال بالتعاون مع الاتحاد الدولي للطفولة ..** والتوسع في إنشاء نوادي الأطفال .. وهذا كله يسير جنباً إلى جنب مع نشاطات الوزارات المعنية بالطفل ــ الصحة والتربية والثقافة والإعلام والأوقاف .

●● إلى متى سوف يظل الاهتمام بالطفل موزعاً بين أكثر من جهة معنية بالطفل ؟

● سوف يبقى الحال على ما هو عليه إلى أن ينبلج صبح ذات يوم جميل تشرق شمسه لتنشأ وزارة تجمع هذه التخصصات المتناثرة في مختلف الوزارات والهيئات في وزارة واحدة خاصة بالطفولة .. فيدخل الطفل العربي مزهواً فخوراً وقد سلطت عليه الأضواء وهو يدخل التاريخ من أوسع أبوابه .

ثقافة الطفل وراء أدب الطفل

ونتابع لقاءات الندوة مع الأستاذ جمال أبو رية ، مدير أدب الأطفال بدار المعارف وخبير اتحاد الإذاعات العربية ، وعضو المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وصاحب العديد من المؤلفات الخاصة بالطفل ، وأيضاً العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية للأطفال .

●● في البداية يحلو لنا أن نتعرف على الكتاب الرواد في معالم الطفل والمجلات التي اهتمت بثقافة الطفل العربي ؟

● التاريخ يذكر لنا العديد من الكتّاب الذين اهتموا بالطفل وأدبه وثقافته ، ففي ١٨ أبريل (نيسان) ١٨٧٠ م ، أصدر **رفاعة الطهطاوي** مجلة (روضة المدارس) .. وفي ١٨٩٧ م ، أصدر **موسى نيروبي** مجلة (السمير الصغير) ، وفي ١٨٩٨ م ، أصدر **رزق الله** مجلة (دليل الطلاب) ، وفي ١٩٣٣ م ، أصدر **اسكندر ماكريوس** مجلة (الأولاد) ، وفي ١٩٣٤ م ، أصدر **جمال الدين حافظ** مجلة (النونو) ، وفي نفس العام أصدر **محمد صادق عبد الرحمن** (مجلة بابا صادق) ، ومنذ عام ١٩٤٠ م ، بدأت دار المعارف في طبع العديد من كتب الأطفال من تأليف **كامل كيلاني ، وسعيد العريان ، وعطيه الابراشي ،** هذا بجانب ترجمة العديد من الكتب العالمية علاوة على إصدار مجلة **(سندباد)** عام ١٩٥١ م ، وفي حوالي عام ١٩٦٠ م ، أصدرت دار **(الهلال)** مجلة **(سمير)** .

وفي **السعودية** مثلاً مجلة للطفل باسم **(حسن)** وفي الدول العربية جهود كثيرة تبذل من أجل الطفل ثقافياً ولكن للأسف كلها جهود غير منتظمة .

●● ثقافة الطفل ــ في رأيك ــ هل تجارة أم خدمة إنسانية وتربوية ؟

● لا بد أن تكون خدمة إنسانية وتربوية وثقافية ويجب أن ندعم ثقافة الطفل بحيث تصبح في متناول كل طفل في أي مكان .

●● ما التعريف الصحيح لثقافة الطفل سواء أكانت في شكل كتاب أو مجلة أو برنامج إذاعي وتلفزيوني أو مسرحي ؟

● الثقافة عامة هي امتاع الوجدان بإبداع المعرفة والفن ، وعليه فثقافة الطفل هي امتاع الطفل وجدانياً بالكلمة والصورة بكل إبداعات المعرفة والفن .

●● هل تختلف ثقافة الطفل العربي عن غيرها من ثقافات الطفل العالمية ؟

● طبعاً تختلف فالثقافة تشمل الامتاع والتربية في نفس الوقت وهذه التربية تقوم على قيم ومبادئ معينة تختلف من مجتمع لآخر .. لهذا يجب أن نتجنب عملية النقل عن الآداب والثقافات الأجنبية في مجال الطفل .. ونحن العرب والحمد لله لدينا الكثير من المصادر الأدبية التي نستطيع أن نطوعها ونصوغها للطفل العربي .

ومنها على سبيل المثال لا الحصر .. **حي بن يقظان ، طرزان العرب ، وألف ليلة وليلة ، ونوادر جحا ، وطرائف أشعب .**

●● في تقديرك ككاتب إذاعي للعديد من برامج الأطفال أيهما أسهل الكتابة للطفل أم الكتابة للكبار ؟

● الكتابة عموماً عمل شاق سواء أكانت للكبار أو الصغار ، وإذا تكلمنا عن السهولة ، **فالكتابة للأطفال إن لم تكن أصعب من الكتابة للكبار فهي ليست أسهل منها** ، بالعكس نجد أن الكتابة للأطفال علاوة على أنها تحتاج إلى موهبة فهي تحتاج أيضاً إلى شيء مهم جداً (وهو حب الأطفال والعمل على تسليتهم وامتاعهم وتثقيفهم) .

●● ما مفهومك للطفل (حبيبك المظلوم) كما تقول عنه ؟

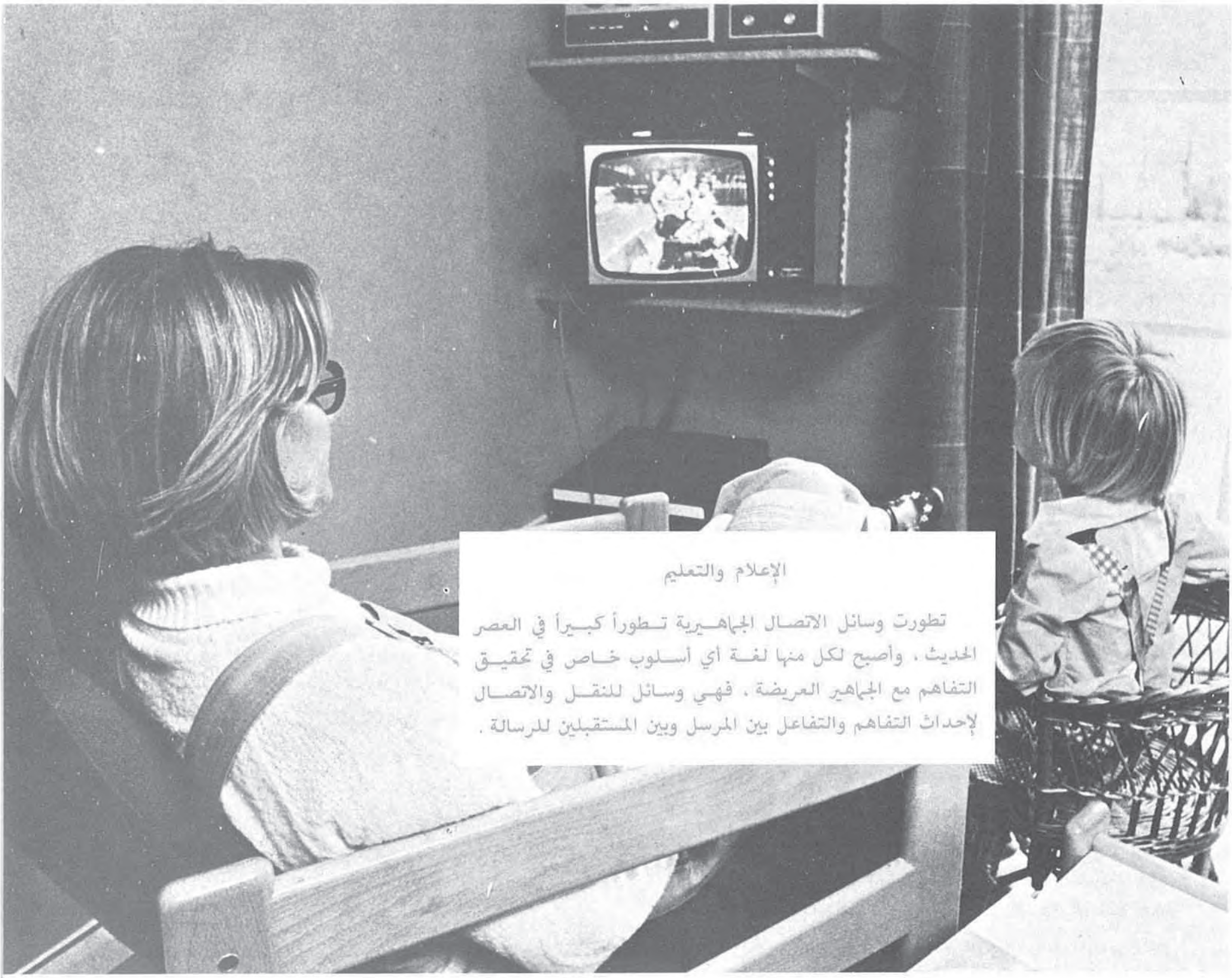
● الإنسان عموماً أطول الكائنات الحية طفولة وكل إنسان مهما بلغ من العمر في داخله طفل .. بدليل أن أي نشاط من الأنشطة التي نوجهها للأطفال يقبل عليها الكبار تماماً مثلما يقبل عليها الأطفال .. معنى هذا **أن الطفولة ليست عمراً محدداً ، بل هي أهم من ذلك قيمة ومعنى ،** فالطفولة هي الطهر والوضوح والبهجة ، هي كل المعاني الإنسانية ، وقيمة الطفل تنشأ من كونه طفل اليوم الذي ينتظر أن تقوم على أكتافه مهام المستقبل .. من هنا يصبح الطفل أعظم استثمار بشري .

●● هل نحسن استثمار الطفل كما يجب في عالمنا العربي؟

● للأسف الشديد .. فإحصائية **(الأمم المتحدة)** عام ١٩٧٧ م ، تقول إن اجمالي ما يصرف على الطفل العربي يساوي ٠,٠٠٣ من الواحد ٪ من مجمل الدخول العربية مجتمعة ، من هنا نجد أن ما يصرف على الطفل العربي قليل .. قليل جداً فكيف نحسن استثماره ؟

●● والحل في تقديرك خاصة ونحن نحتفل بعام الطفل ؟

● لا بد من **إصدار ميثاق عربي للطفل** مع تسخير كل الامكانات المادية والعلمية الحديثة من أجل صحة الطفل وتربية الطفل وثقافة الطفل ، فلا يوجد أهم من الطفل في حاضرنا ومستقبلنا .



الإعلام والتعليم

تطورت وسائل الاتصال الجماهيرية تطوراً كبيراً في العصر الحديث، وأصبح لكل منها لغة أي أسلوب خاص في تحقيق التفاهم مع الجماهير العريضة، فهي وسائل للنقل والاتصال لإحداث التفاهم والتفاعل بين المرسل وبين المستقبلين للرسالة.

التليفزيون

بقلم: محمد التهامي

التليفزيون ودوره في التعليم

وقد بدأ استخدام وسائل الاتصال الجماهيرية في خدمة ميادين **الإعلام وفي الأغراض التجارية وفي الترفيه** . وقد وجد أن لها تأثيرات في الناس من خلال برامج الإذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيرية ، أدى إلى تغيير اتجاهاتهم وسلوكهم واكسابهم معارف جديدة .

وحين وضحت آثارها الفعالة في تحقيق التفاهم في ميدان الإعلام بالذات ، ظهر اتجاه نحو استخدامها في التعليم لمواجهة مشكلات التخلف الاقتصادي والاجتماعي في معظم دول العالم .

وهناك علاقة بين التعليم والإعلام ، ذلك أن الأصل فيهما عملية تفاهم ، وذلك بنقل الأفكار والخبرات بهدف المشاركة فيها . ومن ناحية أخرى فإن التعليم والإعلام يستهدفان تغيير السلوك ومساعدة الفرد على تكييف نفسه مع ظروف الحياة .

ويعتبر التليفزيون أقوى وسائل الاتصال الجماهيرية وأكثرها فاعلية في التعليم لما يحققه من التفاعل المركب بين عناصره الأساسية وهي الصورة والصوت مع الحركة . **ويكاد يجمع المربون على أنه لم يسبق لأداة تعليمية جديدة أن أثبتت قدرتها في جذب انتباه الدارسين ، وتحقيق دورها في التعليم بقدر ما حققه التليفزيون** . ومن أسباب ذلك أن التليفزيون يتميز عن غيره من وسائل الاتصال الجماهيرية (المرئية منها) بصفة **الفورية** immediacy وهذه تزيد من طابع واقعيته ، حيث يحس المشاهد بأن الأعمال المختلفة التي يشاهدها على شاشة التليفزيون كأنها تحدث الآن ، ومن ثم فهو يتطلع لمعرفة ما سوف تسفر عنه تلك الأعمال . وتتضح آثار الفورية على المشاهدين بصفة خاصة في تتبع المباريات الرياضية ، والأحداث الهامة التي تذاع مباشرة على الهواء .

ونحن نعاصر الآن مشروعات متعددة لاستخدام التليفزيون التعليمي في **البلاد العربية** بصفة عامة وفي **دول الخليج** بصفة خاصة ، وذلك بعد أن أجمعت نتائج البحوث التي أجريت على استخدام التليفزيون في التعليم على آثاره التعليمية الجيدة لما له من تأثير قوي ولاجتذابه للدارسين .

ويجدر بنا هنا التمييز بين نوعين من « البرامج التعليمية » :

●● **الأولى : البرامج التربوية** Educational Programmes ، وهي التي تتضمن مواداً لها آثار تعليمية ، وهذه قد تكون ضمن المنهج المدرسي أو خارجه . وتستخدم لإثراء خبرات الطلاب خارج مواعيد الدوام المدرسي . وتبث إليهم في منازلهم أو في مواقع تجمعهم بالمؤسسات التعليمية كالنوادي ومراكز الترفيه وقاعات الاستقبال بمساكن الطلبة .

●● **الثانية : البرامج التدريسية** Instructional Programmes ، وهي التي تعالج في إنتاجها جزءً من المقررات الدراسية ، ويستقبلها الطلاب في الفصول وقاعات الدراسة بإشراف مدرس الصف .

ولا شك في أن أمام التليفزيون مجالا واسعاً ليسهم مع غيره من أدوات التعليم في النهوض بالحركة التعليمية ، وذلك بفتح منافذ متعددة تتيح الفرص التعليمية على أوسع نطاق ممكن وخاصة في مجال تعليم الكبار ، وكذلك برفع المستوى الكيفي في مجال التعليم المنظم ، لما يحققه من إثراء للعملية التعليمية ، ومن ثم فهو يسهم في ترقية وتحديث العلم . إلا أنه ينبغي على المخططين والمنفذين لمشروعات التليفزيون التعليمي ، فهم خصائص التليفزيون وإمكاناته ، وكذلك التعرف على نواحي القصور فيه ، لنبذل من الاجراءات ما يمكنهم من التغلب على نقائصه ، وبذلك يمكن استخدامه بأعلى كفاءة ممكنة .

لماذا يستخدم التليفزيون في التعليم

صورة من المنظور العالمي :

يعتبر التليفزيون من أهم انجازات التكنولوجيا الحديثة ، فقد أصبح من الممكن الاتصال المسموع والمرئي بين الأماكن المترامية ، فنحن الآن أكثر وعياً بأحداث العالم من أي وقت مضى ، حيث يسَّر التليفزيون تبادل المعلومات والثقافة بين الناس . ولكن رغم هذا التقدم العلمي والتكنولوجي ، فإن حوالي ٧٠٪ من سكان العالم يعيشون في مئة دولة في إفريقيا وآسيا وأميريكا اللاتينية يعانون من العزلة لعدم توفر أبسط الوسائل لمعرفة الأحداث وهم في أماكنهم .

ولعل الملاحظة التي تستلفت الانتباه ظاهرة عامة في كثير من الدول التي تستخدم التليفزيون ، وهي **طغيان البرامج الترفيهية أو البرامج التجارية والإعلانية على القدر المخصص للبرامج التعليمية ، وذلك من حيث الجهد المبذول والوقت المسموح به لكل منها .** وينبغي أن يكون الموقف مختلفاً تماماً بالنسبة للدول النامية حيث الحاجة ملحة إلى النمو والتقدم ، وتعتبر الأمية فيها سبباً ونتيجة للمعوقات التي تعترض سبيل الجهود الرامية إلى دفع عجلة النمو الاقتصادي والاجتماعي . وقد أكدت المؤتمرات الدولية التي ناقشت **مشكلات التعليم في الدول النامية** أهمية استخدام التليفزيون في التعليم في هذه الدول بحيث تعطي الأولوية في الاهتمام ببرامج الثقافة والتعليم والإعلام ثم يلي ذلك أغراض الترفيه والتسلية .

معالجة اللفظية Verbalism :

تعتمد الصلات البشرية بصفة أساسية على استخدام اللغة ، فهي نظام رمزي ابتدعه الإنسان ليتبادل مع الآخرين المعلومات والأفكار والمشاعر . ويتعلم الإنسان منذ طفولته الاستجابة لأي مثير يتعرض له ، ويتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بقدرته الفائقة على التفكير وعلى إحداث تعبيرات صوتية دقيقة . ويستطيع الإنسان بالتعلم استخدام تلك الرموز في سياق كلامه بصرف النظر عن تقديم المثيرات له بصورة واقعية . إلا أن للخبرات التي يمر بها الإنسان دور كبير في تحقيق هذه الاستجابة . أي أن نقص الخبرة لا بد وأن يؤدي إلى فقدان الاستجابة ويكون الرمز اللغوي فاقداً للمعنى وهذا ما يحدث حين يسمع شخص كلمة تتعلق بشيء لم يسبق له رؤيته وليس في مجال خبرته ؛ مثل كلمة « **تليفون** » لمواطن في بيئات بدائية بعيدة عن المدنية ، فاللفظ الرمزي للتليفون يمكن فقط أن يكون له مدلوله عند هذا المواطن إذا اقترن الرمز بتجربة مشابهة مر بها .

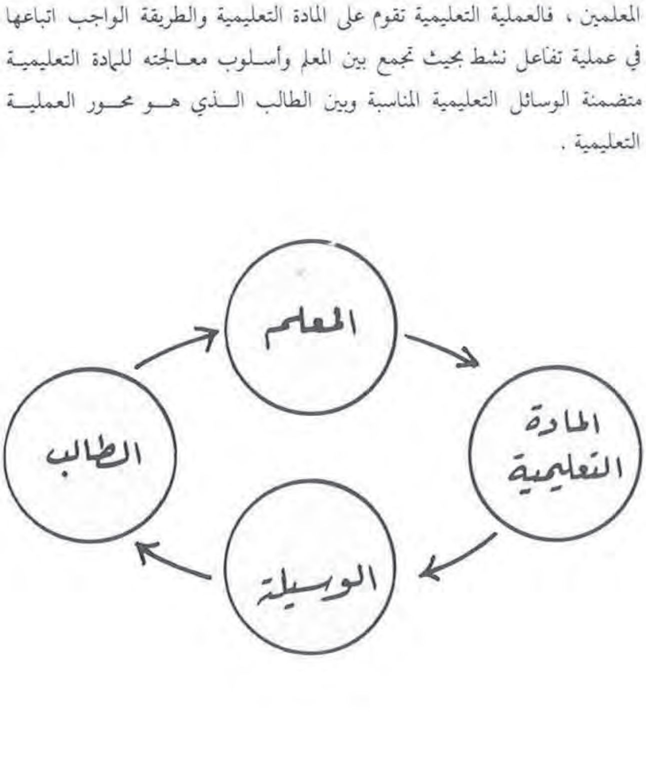
ولعل النظرة الواقعية لطرق التعلم لدينا في البلاد العربية نجد أنها غالباً ما



تعتمد على الرموز اللغوية كوسيلة أولى للاتصال التعليمي ، وهذه تشمل الرموز اللغوية المطبوعة والمنطوقة ، وهذه لا شك أنها وسيلتنا في التعبير عن المفاهيم والمعاني ولا غنى لنا عنها . إلا أنه **ينبغي الحذر من أن تصبح الرموز اللغوية وحدها هي عماد التدريس** . هنا يتم الوقوع في داء اللفظية فقد تؤدي بالدارسين إلى سوء الفهم ، كما أن بعض الكلمات والاصطلاحات تعتبر غاية في التجرد Abstract .

ولكي تحقق عملية الاتصال آثارها في التعليم والتعلم ، ينبغي لها أن تتضمن مجموعة الوسائل التي تربط بني البشر ببعضهم ، وتحقق التفاعل المتبادل والعلاقات الإنسانية . وتستهدف هذه العملية تغيير المفاهيم باستعمالها اللغة أو أي من الوسائل الأخرى الميسرة ، وذلك لاحداث التجاوب مع الشخص المتصل به ، وبعبارة أخرى نحاول أن نشاركه في استيعاب المعلومات أو في نقل فكرة أو اتجاه .

من أجل هذا فإن الوعي بأبعاد الموقف التعليمي نجده يتزايد تدريجياً لدى المعلمين ، فالعملية التعليمية تقوم على المادة التعليمية والطريقة الواجب اتباعها في عملية تفاعل نشط بحيث تجمع بين المعلم وأسلوب معالجته للمادة التعليمية متضمنة الوسائل التعليمية المناسبة وبين الطالب الذي هو محور العملية التعليمية .



ولا شك أن الدرس المعد اعداداً علمياً متكاملاً لبثه بالتليفزيون يمكنه أن يسهم في معالجة اللفظية ، وذلك بتضمين البرامج المنتجة مختلف أنواع الوسائل التعليمية بحيث يكون لكل وسيلة مختارة أهداف محددة لاستخدامها . وبذلك يمكن إثراء المنهج الدراسي بتضمين البرنامج المتلفز صوراً وأفلاماً عن الحياة من داخل البلاد ومن خارجها في مختلف بقاع الأرض ، وفي ذلك تغلب على البعد المكاني . وكذلك حين يتضمن البرنامج رسوماً وأفلاماً تاريخية إن في ذلك تغلب على البعد الزماني أيضاً .

ويستخدم في البرنامج كل ما نتصوره من وسائل الاتصال التعليمية مترابطة مع بعضها في وحدة متكاملة تثري عملية التعليم التي تسمو ـ غالباً ـ على الكتب المدرسية والمحاضرات . وفي هذا المجال يعتبر التليفزيون وسيلة جامعة لكل الوسائل التعليمية ، ويعتبر التليفزيون كذلك نافذة على العالم .

ولقد دلت الدراسات الحديثة في وسائل الاتصال التعليمية على حدوث التكامل بين الصفحة المطبوعة والبرنامج التليفزيوني في أداء وظيفتها حيث إن العلاقة بينهما لا تسير في اتجاه واحد ، وإنما تتجه من كل طرف إلى الآخر . وبذلك فهي علاقة تأثير وتأثر متبادلة .

التليفزيون ومشكلات التعليم

تواجه دول العالم بصفة عامة والدول النامية بصفة خاصة ظاهرة **الانفجار التعليمي** . إن أعداد الراغبين في التعليم والمحتاجين للتعلم في تزايد مستمر ؛ سواء في مجال التعليم النظامي أو في مجال تعليم الكبار حيث فئات ضخمة حرمت من التعليم وينبغي لها التعلم . فتشير التقارير على أن مشروعات محو الأمية لم تحقق حتى الآن نتائج مشجعة ، وذلك لعوامل كثيرة متداخلة ومتشابكة .

ويقابل ذلك الانفجار التعليمي النقص المعروف في عدد ونوعية المعلمين المؤهلين ، وثمة نقص آخر في مجال الوسائل التعليمية ، وفي مدى القناعة بها وفي أسس اختيارها واستخدامها . هذا في الوقت الذي أصبحت فيه المواد الدراسية أكثر تعقيداً وصعوبة عما مضى .

ونظراً لامكانات التليفزيون الكبيرة فإن الآمال معلقة على استخدامه ليسهم في معالجة مشكلات التعلم ، خاصة وأن التليفزيون يتطلب العمل الجماعي من خبراء التربية والتعليم مع غيرهم من الأخصائيين في التقنيات الفنية لإعداد وإنتاج واخراج البرامج التعليمية .

التطور التكنولوجي في البث التليفزيوني

لقد كان للتطور العلمي والتكنولوجي أثره في اكتساب جمهور أكبر من المتعلمين ، فقد بدأت صناعة أجهزة الاستقبال التليفزيوني بشاشة صغيرة وأمكن تكبيرها خلال سنوات قليلة حتى أصبحت ٢٦ بوصة ، وهذه يمكن باستخدام جهازين منها في قاعة الاستقبال يمكن تعليم حوالي خمسين من

التليفزيون ودوره في التعليم

الدارسين . . وحديثاً ابتكرت أجهزة استقبال يمكن عرض البث التليفزيوني منها على شاشة عرض ، وهذه تكفي لمئة دارس في القاعة الواحدة .

وفي البلاد المترامية الأطراف اتبع فيها أسلوب لتوسيع نطاق الارسال التليفزيوني باستخدام طائرة تحلق على ارتفاع كبير ، ومن هذا الموقع الممتاز يمكن لأجهزة الارسال بداخلها بث الأشرطة المسجلة بحيث تغطي مساحة دائرية يصل قطرها إلى حوالي ٥٠٠ كيلومتر .

أما الآن فتستغل بعض الدول **الأقمار الصناعية** للاتصالات وذلك لتوسيع نطاق الاستفادة من برامج التليفزيون ، ولتحقيق مبدأ تبادل الخبرات التعليمية بين الدول . وأصبح على المؤسسات التعليمية في البلاد العربية الاستعداد لاستخدام **القمر الصناعي العربي** الذي يخطط له **اتحاد الإذاعات العربية** وأوصى به **وزراء التربية والتعليم العرب** خلال مؤتمرهم **بأبي ظبي** في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٧٧ م .

وقد أدى استخدام التليفزيون ذو الدائرة المقفلة Closed Circuit دوراً هاماً في التعليم ، حيث تنقل البرامج من استديو مركزي إلى قاعات الدراسة إما خلال أسلاك خاصة (كابلات) أو أن يتم ذلك لاسلكياً بالموجات القصيرة . ففي **كليات الطب والمستشفيات المتخصصة** ، يمكن للأطباء وطلبة الطب متابعة ما يجري من العمليات وهم في قاعات الدراسة . وكذلك كان للتليفزيون ذو الدائرة المقفلة ، أثره في توسيع فرص التعليم العالي للطالبات حيث يشاهدن البرامج المرسلة إليهن في قاعات الدراسة ، ويمكنهن الاستفسار من المحاضر خلال أجهزة التليفون الموزعة في قاعات الدراسة .

ولعل أحدث تطوير في شبكات التليفزيون ذو الدائرة المغلقة ذلك الذي يحقق الاتصال المتبادل بالصوت والصورة معاً بين الأستاذ والطالب . وبذلك يشاهد بقية الطلاب ما يعن لزميلهم الطالب المتحدث إلى أستاذه . إن مثل هذا النظام في الاتصال المتبادل يعالج ناحية من نواحي القصور في التعليم بالتليفزيون المعتاد ، وهي خاصية الاتصال من جانب واحد (من المحاضر إلى الطالب) ، وبذلك يتاح للمحاضر (معلم الشاشة) التعرف على استجابات الدارسين ويجيب على استفساراتهم ، ومن ثم يتحقق المزيد من استجابة الدارسين .

وتقوم **وحدات التسجيلات الخارجية المتنقلة** Mobile Unit بتسجيل مختلف المناسبات من مؤتمرات وندوات ومعارض ، ولا يخفى ما في ذلك من أهمية التقاء وتعرف الطلاب على العلماء والأعلام في مختلف فروع العلم والمعرفة ، وذلك من خلال شاشة التليفزيون . وكذلك تسجيل دروس التربية العملية للمعلمين تحت التدريب ، وفي ذلك استفادة من الآثار الراجعة عن مشاهدة مثل هذه الدروس المتلفزة ، وبالمثل فإن للتسجيلات التليفزيونية دور هام في الأسلوب الجديد عن التعليم المصغر Micro Teaching .

من نتائج البحوث والدراسات عن التليفزيون

أثبتت الأبحاث والدراسات التي أجريت في كثير من بلاد العالم ، أن التليفزيون عامل مهم في جذب انتباه الدارس وفي ترغيبه في موضوع الدرس . ولم يقتصر أثره عند هذا الحد ، بل امتد إلى نشاط الدارس خارج المدرسة ، فازداد اهتمام الدارسين باتباع تعليمات مدرس التليفزيون ، وأقبلوا على أداء الواجبات المدرسية التي كلفوا بها بصورة تفوق زملاءهم الذين لم يتلقوا دروسهم عن طريق التليفزيون .

وقد ثبت أيضاً أنه يمكن اختصار وقت الدراسة بالتدريس عن طريق التليفزيون ويرجع ذلك إلى تركيز المعلومات الواجب اعطاؤها في وقت قصير مع استعمال أفضل طرق التدريس والاستعانة بأحسن الوسائل التعليمية لزيادة سرعة تعلم الدارس .

نوعية المادة الدراسية

من حصيلة البحوث المتوفرة لم تتبين أدلة قاطعة تدعو إلى الاعتقاد بأن التعليم بالتليفزيون ينجح في معالجة مواد دراسية بعينها دون غيرها . ويمكن أن تفسر النتائج في ضوء عوامل مختلفة أهمها : ظروف التجربة ، ومدى فهم فريق العاملين فيه امكانات وحدود التليفزيون كوسيلة ، وكذلك أسلوب معالجة المادة التعليمية ووضعها في صيغة برنامج تليفزيوني .

التليفزيون ومعلم الفصل

هناك رأيان فيما يختص باستخدام التليفزيون وعلاقته بمعلم الفصل .

● **الرأي الأول** : وفيه يرى بعض العاملين في ميدان وسائل الاتصال التعليمية أنه لا ينبغي الاعتماد على البرنامج التليفزيوني وحده في التعليم والاستغناء عن المعلم . إذ إن الدرس المتلفز كغيره من الوسائل التعليمية ، يساعد معلم الفصل لكنه لا يحل محله .

● **الرأي الثاني** : وفيه يرى فئة من المربين أن البرنامج التليفزيوني الذي تتوافر في إنتاجه العناصر اللازمة لنجاحه وإحداث تأثيره المطلوب يمكن أن يعتمد عليه في التعليم ويستغنى فيه عن المعلم وذلك في الحالات التي تعلم فيها الحقائق والمعلومات والمهارات .

تكوين الاتجاهات

التليفزيون له القدرة على تقديم ألوان من الخبرة الإنسانية كما تحدث في الحياة وهذه تساعد على تكوين الاتجاهات . وفي هذا المجال يمكن عمل أنواع من البرامج تساعد على نمو العلاقات الإنسانية ، والمواطنية الصالحة والفهم الأفضل ، والتعاون وغيرها من القيم المشابهة .

الأساليب الفنية في التليفزيون

نظراً لما للتليفزيون من خصائص فريدة ، منها قدرته على تقريب أجزاء بعينها وإمكانه إبراز تفاصيل معينة بشيء مرئي ، أو التركيز على نقاط أو مراحل مهمة فيه ، فإن هذه الامكانات قد استعملت على مدى واسع في أغراض



العرض لمهن معينة . ومن أمثلة هذه البرامج تلك التي تستخدم في **التدريب الطبي وتدريب المعلمين والتدريب الصناعي والزراعي .**

وهناك مؤثرات خاصة يمكن استخدامها بطرق تعبيرية وفنية ، وكذلك يمكن استخدام أساليب الكترونية ميكانيكية ومنها **الشاشة المجزأة** Split Screen وفيها يمكن عرض السبب والنتيجة في وقت واحد ، **والصور المركبة** من منظرين Superimposition لإحداث الاقتران المطلوب ، أو النقل السريع بين لقطة وأخرى Wipe ، وتداخل منظر في آخر للانتقال Disolve للتعبير عن البعد المكاني أحياناً ، ثم التلاشي أو الظهور الجديد لشيء Fade للتعبير عن البعد الزماني أو للانتقال لنقطة جديدة في الموضوع . . وهكذا من الأساليب التي تحول المفاهيم إلى صور مرئية لاعطاء صور تخيلية للواقع .

ولقد تبين من متابعة الدارسين فهمهم لهذه الأساليب الفنية كجزء من لغة التليفزيون ، وذلك بعد أنْ تتوالى دراساتهم عن طريق التليفزيون ، وكذلك حين تستخدم هذه المؤثرات بحكمة وبأغراض محددة بحيث تنسجم مع طبيعة البرنامج .

التليفزيون والتعليم المبرمج Programmed Instruction

إن الموقف التعليمي المألوف لدينا ـ في أمثل صورة ـ يراعى فيه إحداث التكامل بين عناصره الأربعة (**المعلم ـ المادة التعليمية ـ الوسيلة ـ الطالب**) هذا مع سلسلة من النشاط التربوي الذي يحقق التفاعل المنشود بين المعلم والطالب .

ولقد استحدث التعلم المبرمج كأسلوب جديد من طرق التدريس ليحقق مبدأ **التعليم الذاتي** Self Education ، ومحور هذه الطريقة إحداث التفاعل المباشر بين الدارس والمادة التعليمية ، وتعالج المادة التعليمية على هيئة برنامج ، ويقصد بالبرنامج مجموعة المعارف المتعلقة بموضوع الدراسة ، وتعد هذه المعارف وتنظم في خطوات صغيرة يسمى كل منها **إطار** Frame بحيث يتيح لكل دارس تعلم البرنامج والسير فيه خطوة بخطوة وفقاً لقدراته ولسرعته الذاتية .

وجدير بالذكر أن تطبيق فكرة التعليم المبرمج بني أساساً على النظرية السلوكية في التعليم ، والتي توصل إليها عالم علم النفس التجريبي **سكينر** Skinner ، الذي يعتبر أن العملية التعليمية تشكيل للسلوك وتطبيقاً لهذه النظرية يتم تجزئة المادة إلى وحدات صغيرة من المعلومات . والسؤال الذي يطلب من المتعلم الإجابة عليه يعتبر **مثيراً** ، وتعتبر اجابة المتعلم على هذا السؤال **استجابة** وحين يدرك المتعلم أنه موفق في إجابته ، فإنه يتلقى **تعزيزاً** لهذه الاستجابة فيحدث التعلم بشرط أن يتم التعزيز فور الاستجابة مباشرة . عند ذلك ينتقل المتعلم إلى السؤال التالي وهكذا .

وتستخدم مختلف التقنيات والوسائل التعليمية من رموز لغوية ومرئيات بأنواعها لتوصيل تلك (**التوليفة**) التي يراعى فيها جميع العوامل ذات العلاقة بالمادة التعليمية مع الالتزام بظروف الدارسين النفسية والاجتماعية والثقافية .

ولما كان التليفزيون من أقوى وسائل الاتصال التعليمية ، فإنه قد فتح منافذ عديدة لدعم وتطوير طريقة التعليم المبرمج ، وبذلك فإنه يتيح الفرص لفئات كثيرة من الناس للتعلم الذاتي . ويمكن تصور أعداد هذه الفئات التي حالت ظروفها دون الالتحاق والانتظام بالفصول الدراسية .

التليفزيون والجامعة المفتوحة Open University

يقوم **مشروع الجامعة المفتوحة** لتكميل جهود المعاهد والكليات النظامية حين عجزت عن استيعاب الأعداد المتزايدة من الراغبين في التعليم العالي . وكذلك لاتاحة الفرصة أمام أولئك الذين تحول ظروفهم دون الالتحاق والانتظام في الدراسة الرسمية بالتعليم العالي ، ومن ثم فهو طريق جديد من طرق نشر التعليم العالي ، وإذا كانت هذه الأسباب من الدوافع الأساسية لفكرة الجامعة المفتوحة ، فإن التقدم الذي تحقق في مجالات التعلم بالراديو والتليفزيون كان حافزاً على إنشاء الجامعة المفتوحة ، وكذلك فإن الموضوع المتلفز بالجامعة المفتوحة يمكن التعليم الجامعي الرسمي من ملاحقة التطور السريع في مختلف فروع العلم والمعرفة .

ومن البديهي أن الجامعة المفتوحة قد تغلبت على حدود المكان ، فليست لديها حرم جامعي بالمعنى المفهوم ، وبرامجها محولة على الهواء ، وهي مفتوحة بالنسبة لطرق التدريس . ولعل مثال الجامعة المفتوحة تلك التي بدأت عام ١٩٧١م **بالمملكة المتحدة** وتجري الدراسة فيها بالتعاون مع **شركة الإذاعة البريطانية .**

وبالنسبة للطريقة التعليمية في الجامعة المفتوحة ، فهي تجمع بين المحاضرة عن طريق الراديو والتليفزيون وبين الأعمال الكتابية التي يقوم بها الدارسون . فالبث الإذاعي هو الإطار العام للدراسة إلى جانب **الكتب والمطبوعات** وحلقات المناقشة المفتوحة التي يدعى إليها الدارسون أحياناً . وتتمتع الجامعة المفتوحة بإمكانات كبيرة قد لا توجد في مؤسسة تعليمية أخرى ، وكذلك يختار لها أحسن العناصر البشرية في فروع العلم المختلفة . وفضلاً عن استفادة الطلبة المسجلين ، فإن البرامج غالباً ما تجتذب أعداداً كبيرة من المشاهدين والسامعين وبذلك يستفيد منها فئات أخرى غير الفئات المستهدفة أساساً .

معالم خطة

في تطوير تعليم اللغة

كأن خطة تعليم اللغة العربية ، في وضعها الراهن ، ألا تكون هناك خطة . وكأن الخطة ، إذا اعترفنا بأنها موجودة تجوزاً ، تقوم على الخلط بين « التعليم » و « الاكتساب » .

وبيان هذا الاعتراض أن تعليم اللغة العربية ، بمناهجه وكتبه المقررة وممارسات المعلمين في غرفة الصف ، ما يزال متروكاً لمسار التراكم العفوي ؛ **فليس لمناهج اللغة العربية منطلقات متسقة منظمة ، وليس لكتب اللغة العربية بنيان محكم متكامل ، وليس لممارسات المعلمين نهج « علمي » واضح منظم .**

وينتظر المعلمون وأولياء الأمور ، في العادة ، أن يمرّ الزمان إلى نهاية المرحلة الإعدادية ليتهيأ للطلاب ، من خلال مواد ونصوص متنوعة قرأوها ، ومسائل تدربوا على كتابتها ، وقواعد متفرّقة درسوها ، وعوامل أخرى من التعرض للغة في الحياة العامة ، معرفة ما باللغة العربية .

ذلك أن الطالب حين يبلغ هذه المرحلة يصبح ، للنظرة العجلى السطحية ، قادراً على أن يقرأ قراءة ما ، وأن يكتب كتابة ما ، وأن يفهم ما يسمع بالفصحى على نحو ما . . . الخ .

ولكن الأمة كلها تتوقف الآن لتنظر فتجد أن الطالب لا يقرأ كما ينبغي أن يقرأ ؛ فهو لا يسرع في القراءة الصامتة ، ولا يحسن استخلاص معاني ما يقرأ ، ولا يحسن التغلغل فيما وراء السطور ، بل إنه ، بصورة عامة ، لا يحب القراءة .

وتجد ، أيضاً ، أن الطالب لا يكتب كما ينبغي أن يكتب ؛ فهو كثير الخطأ في **الإملاء** ، كثير الخطأ في **النحو** ، لا يلاحظ **علامات الترقيم** ، ويستعمل **الألفاظ** استعمالاً قلقاً . . . وهو كذلك ، لا يستمع كما ينبغي له أن يستمع ؛ ذلك أنه لا يحسن الاستماع ابتداء ، فإذا أظهر الاستماع تبين أنّه لا يحسن استخلاص مضمون ما يسمع ، وقد يستمع إلى محاضرة ، فيما بعد ، فلا يتمكن من استصفاء الموضوع الذي تدور عليه .

وهذه أمثلة لا غير من مظاهر الضعف ، ضعف الطلبة في اللغة العربية ، نُنكرُها على أبنائنا ، ونجهد أن نفتش لها عن أسبابها كما يُعنّينا أن نضع الحلول المناسبة لها .

إننا نعلم اللغة العربية حتى الآن كما لو كانت المناهج والكتب وممارسات المعلمين بديلاً عن الظروف والعناصر التي يكتسب فيها أبناء اللغة لغتهم . وشتان ما بين التعليم والاكتساب .

إن ما نهيئه للطالب من صور القراءة والاستماع والمحادثة ليس موازياً للتجارب اللغوية التي يعيشها الطفل في سنواته الخمس الأولى فتبني فيه (سليقة) يصدر عنها فيستعمل اللغة استعمالاً خلاقاً ، إذ يتهيأ له من خلال ذلك أن يستخلص ، بصورة ضمنية ، أصول النظام اللغوي بعد فترة من التعرض له في إطاره المتكامل في مواقف الاستعمال .

وقد يذهب بعض الناس إلى أننا ينبغي أن نحاول تعليم اللغة العربية بتهيئة ظروف موازية لظروف اكتساب اللغة الأم . وتعتبر **تجربة تعليم اللغة من خلال المسرح** أحد الأمثلة ، لكن هذا ليس موضع تفصيل القول في هذه المسألة . وأكتفي بأن أسجل هنا أن تعليمنا للغة العربية على النحو المتعارف لم ينجح في أن يبلغ مثل نتائجه ، وخير دليل على ذلك مظاهر الضعف الصارخة التي ألمحنا إلى بعضها قبلاً .

إنني أطمح ، هنا ، إلى مراجعة القول في تعليم اللغة العربية عن طريق التعليم الرسمي المتبع .

ومنطلق هذه المراجعة مقولة بسيطة ، أعرضها على وجه الإجمال ويسرني أن أتجاذب فيها وأهل الاختصاص أطراف الحوار ، وهي : **أننا لا نصدر في وضع المناهج ، وتأليف الكتب ، ورسم أساليب التدريس ، عن رؤية لغوية منهجية تستفيد من معطيات علم اللغة ، وأننا لا نأخذ بعين الاعتبار وعلى نحو مطرد ثابت « طبيعة الموضوع » وهي ركن رئيس فيما تقدم كله .**

وكأن الذين عملوا في وضع مناهج اللغة العربية ، وتأليف كتبها ، كانوا يصدرون عن تآليف سبقتهم ، ثم يأخذون ببعض المعطيات التربوية والنفسية ، ولكنهم يغفلون « **بنية اللغة** » فتضيع ملامحها ولا تعود عناصرها متعينة معلومة تسير وفق خطة مقدرة محسوبة .

العربية

بقلم : د . نهاد الموسى

والحق أن ما أدعو إليه هو أن نصدر عن المعرفة باللغة ، وطبيعتها ، وعناصر بنيانها ، ووجوه استعمالها على نحو منهجي محكم منظم ، ثم نستفيد بسائر الميادين ومعطياتها على أنها فروع متممة .

فإذا اتخذنا هذه الوجهة اللغوية وصدرنا عنه بصورة شمولية ثابتة حددنا موضوعنا ، وهو اللغة ، على مستويين رئيسين :

● **مستوى لغوي خالص** نميز فيه العناصر التي تأتلف منها اللغة وفقاً للتحليل اللغوي المتعارف ، وهي العناصر المستفادة من **علم الأصوات** ، و**علم التشكيل الصوتي** ، و**علم الصرف** ، و**علم النحو** ، و**علم الأساليب التعبيرية** ، و**مواد المعجم** ، و**قواعد الكتابة** . وبذلك نعرف للموضوع حقيقته ، ونميز فيه عناصره الذاتية ، ونستطيع أن تعالجه معالجة محددة واضحة متدرجة .

نستطيع ، مثلاً ، أن تعرف مسألة إثبات الألف بعد واو الجماعة : متى تعرض ، وأين تعرض (في سياق تعليم الطالب الكتابة) ، وأن نعرف إسناد الفعل الناقص إلى ياء المخاطبة : متى يعرض ، وأين يعرض (في سياق تعليم الطالب الصرف) ، وأن نعرف نفي الفعل في المستقبل : متى يعرض ، وأين يعرض (في سياق تعليم الطالب نظام الإعراب ونظام التركيب الجملي) ، كما نستطيع أن نعرف ، مثلاً ، متى تعرض وأين تعرض الألفاظ المتداولة في مجال العملة أو في مجال البترول أو في مجال الأجهزة الحديثة ومفهوماتها وطرق استعمالها (في سياق تنمية معجم الطالب اللغوي) . وبإجمال فإنني أقدر أن هذا الضبط سيجعل مادة الموضوع متعينة محسوبة غير عائمة ولا متروكة للعفوية .

● أما المستوى الثاني فهو **مستوى وظيفي** نميز فيه أوجه استعمالنا للغة ، وهي : **القراءة الجهرية** ، و**القراءة الصامتة** ، و**الاستماع** ، و**التعبير الشفوي** ، و**التعبير الكتابي** . ثم نحلل هذه الوظائف إلى عناصرها أيضاً لكي نضمن لمعالجتها أن تكون محددة متدرجة متكاملة ، ولكي نتجاوز تلك التعميمات العائمة المتكررة عند القول في الأهداف من هذه المهارات ، مثل التعميم : أن يصبح الطالب قادراً على القراءة الجهرية المعبرة ، أو التعميم : أن يصبح الطالب قادراً على القراءة الصامتة مع السرعة والفهم . . . الخ . بل نميز ضمن كل واحدة من هذه الوظائف خطوات محددة متدرجة متكاملة تفصيلية تؤدي إلى القيام بها قياماً صحيحاً في نهاية الأمر . وهكذا يصبح معلوماً ، مثلاً ، متى يعرض التدريب على أداء **أسلوب الاستفهام الإنكاري** (في سياق التدريب على القراءة الجهرية المعبرة) ، ومتى يعرض التدريب على تمييز الفكرة الرئيسية (في سياق التدريب على القراءة الصامتة) ، ومتى يعرض التدريب على ترتيب عناصر موضوع معين ترتيباً منطقياً (في سياق تعليم التعبير) . . . بتقدير تلك الخطوات والعناصر في كل مهارة على وجه التعيين المحدد ، وتخصيص درس أو معالجة مستقلة قاصدة لكل خطوة أو عنصر .

وينبغي علي أن أحترس عند هذا الموضع بالقول إننا إنما نكون نحاول هذا التحديد والتحليل على وجه الوعي عليه وملاحظته في رسم المناهج ، وخطط التأليف ، وتصميم طرق التدريس . وإنه ليس يخطر لي ببال أن نجعل كل عنصر من هذه العناصر مجرداً مبتوراً . ذلك أننا ننطلق من أن هذه العناصر ، في جسم اللغة الحي ، لا تنفصل ولا يتوحد أي منها أبداً . وإذن فنحن نريد بذلك الوعي على عناصر الموضوع حتى لا تضيع ، ولا تتداخل ، ولا يضير بعضها بعضاً ، أو يترك تعلمها للتراكم العفوي . أما على مستوى التأليف فنحن نقدر ابتداء أن كل واحدة من هذه الجزئيات ستعالج في سياق لغوي كامل ، أو موقف لغوي وظيفي مقنع ، أو نص لغوي لطيف مشرق ، وستأتي الجزئية ، عند ذلك ، متلاحمة بغيرها في بنية اللغة أو في صورة المهارة الوظيفية ، لكن أصل القصد يكون إلى تعليمها ، ويحصل إلى جانب ذلك من الفائدة العرضية غير المباشرة ما يحصل في العادة بالتعرض للنص الكامل .

ونستطيع أن ندعي أن هذا المنحى اللغوي يهيئ لنا :

●● أن نضبط أهداف تعليم اللغة العربية وتعلمها ضبطاً محدداً منظماً ،

●● وأن نضبط ضبطاً تقريبياً عناصر مضمون المنهاج ،

●● وأن نرسم ملامح طريقة في تعليم اللغة العربية تنسجم مع طبيعتها ،

●● وأن نضع هيكلاً شاملاً متكاملاً صالحاً لقياس تعلم اللغة وتقويمه بأسلوبي الاختبار الموضوعي والمقالي ،

●● وأن نجعل تعليم اللغة العربية « علماً بأصول » واضح المعالم ، لا يستحيي من يشتغل به من الانتساب إليه ؛ إذ يصبح قائماً على معرفة خاصة مقدرة لا يمكن لكل أحد أن يهجم عليها أو يدعيها .

★ ★ ★

وقد اقتصرت على بعدين محوريين من أبعاد هذا المنطلق « المنطلق اللغوي » في تعليم اللغة العربية . وعسى أن يتاح لي فيما نستقبل من الأيام والحوار ، أن أفصل القول في وجوه هذين البعدين ، وأن أستكمل البيان عن سائر الأبعاد المستفادة من علوم اللغة الحديثة وتطبيقاتها في هذه السبيل .

قالوا عن: الحقيقة

★★ الحقيقة تخجل الشيطان .

شكسبيـر

★★ في بحثه عن الحقيقة سقط في البئر التي تحتويها .

بورمـاشيه

★★ الحقيقة قنبلة تقتل مطلقها ومن يتلقاها معاً .

نيكـول

★★ إذا شئت أن تعد كذاباً فقل دائماً الحقيقة .

لوغان ب . سميث

★★ ما هو الصحيح ؟ إنك ستجد نفسك بين الزائف والصحيح ، الصحيح الزائف ، الصحيح الصحيح ، الزائف الزائف .

ارمـان سالاكرو

★★ ممارسة السياسة عملياً تكمن في تجاهل الحقائق .

هنري جيمس

★★ ليس ممكناً قول الحقيقة ولكن بالوسع ابتداع أكاذيب شفافة عليك أنت أن ترى من خلالها .

جـول رونـار

★★ تحصل على الحقائق أولا ومن ثم يمكنك تمزيق أوصالها كما شئت .

مـارك تـويـن

★★ رميت بالسهام ورجمت بالأحجار فلم أر أصعب من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق .

بـزرجمهـر

★★ لا بد للكشف عن الحق من اثنين رجل يجهر به وآخر يفهمه .

جبران خليل جبران



★ شكسبير ★

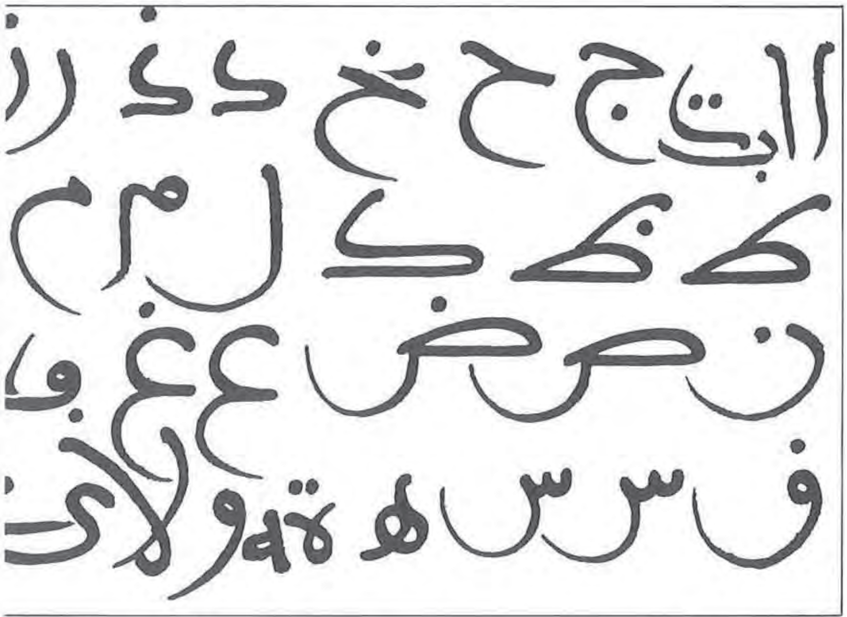


★ جبران خليل جبران ★

رحلة مع: الخط العربي



★ شكل يوضح الخط الأندلسي ـ القرن الرابع ★



★ شكل يوضح نموذجاً من الحروف المغربية المفردة على الترتيب المغربي ★

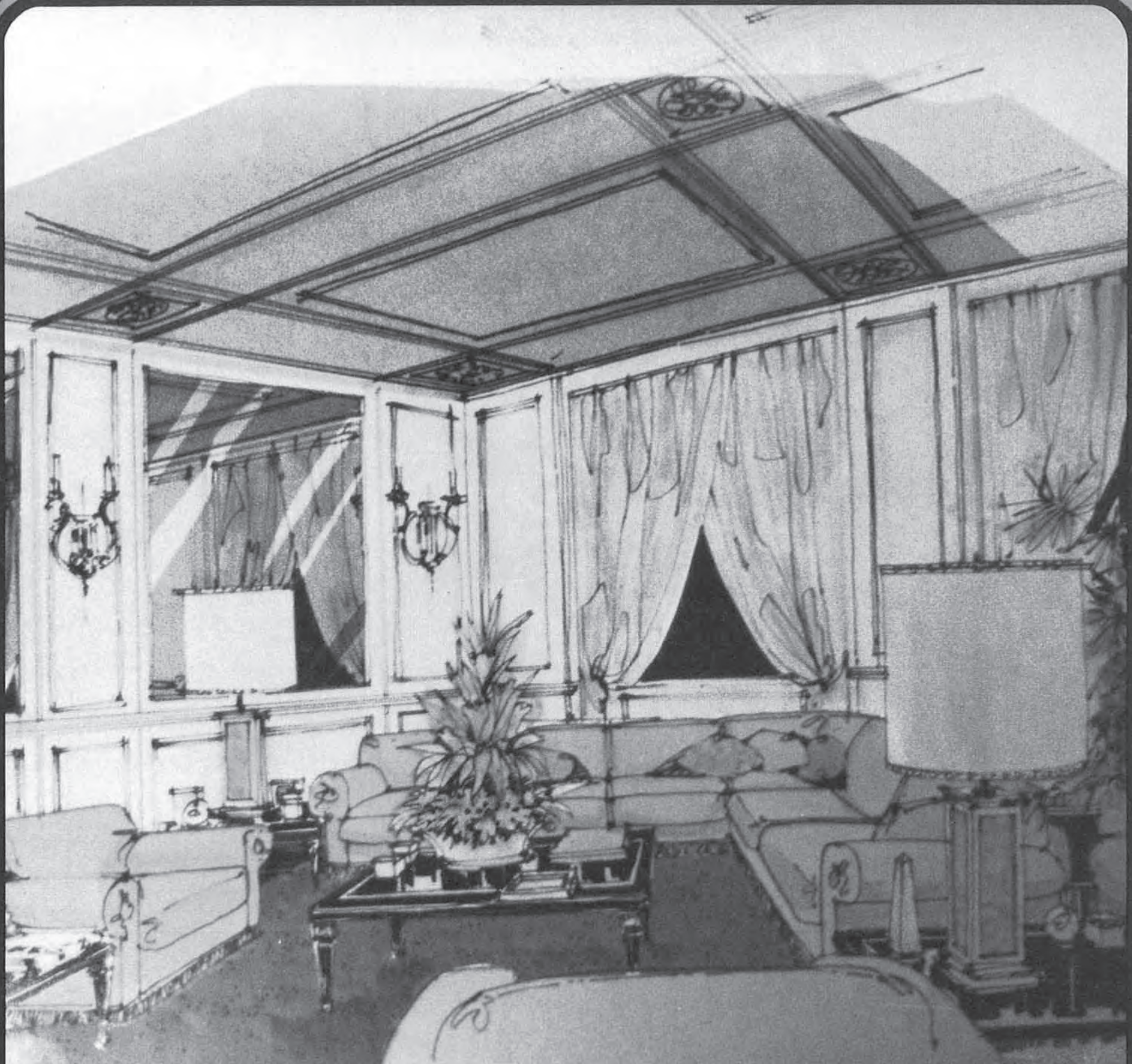
الخط المغربي

في بلاد **المغرب** .. **والأندلس** ، لم يتبنوا الخط النسخي ، حتى « التنقيط » على الحروف ، تلك الطريقة التي أخذها المغاربة من الخط الكوفي ، أدخلوا عليها تغييرات قليلة .. حيث قاموا بتبسيط « تنقيط » : ف ـ ق ، وأزالوا نقط الحروف النهائية .. ، وقد اكتفى

المغاربة في البداية بـ « تلطيف » أشكال الخط الكوفي دون أن يضيفوا إليه ، أكثر من وضع نقط الحروف التي تكسبه كل ما تستطيع الكتابة العربية من دقة ، .. فتأخذ أواخر الحروف دائماً ، امتداداً مبالغاً فيه ، وتقويساً لا مبرر له في بعض الحروف .

ففي القرن السابع الهجري ، عندما انتشر الإسلام على يد أهل المغرب في **السنغال** التي تقع غربي إفريقيا وفيها مدينة « تمبكتو » وفي شرقها السودان الغربي ، انتشر خط متولد من الخط المغربي في أنحاء السودان .

وهناك أنواع من الخط المغربي انتشرت في شمالي إفريقيا منها : **الخط التونسي** الذي يشابه الخط المشرقي .. **والخط الجزائري** الذي يتميز بأسطره الغليظة وأشكاله القصيرة والاستدارات في بعض حروفه .. **والخط الفاسي** الذي يمتاز بالاستدارات في حروف ال « ن » وال « ي » الأخيرة وال « و » وال « ل » بنوعيها وال « ص » .



لوحة و فنان

المخطط الجديد

● هذه اللوحة مرحلة جديدة من حياة الفنان السليم الفنية ، فقد اختار موضوعاً واحداً .. ولونين هما : « الأصفر والبني » وقام بتجربته في تحليل الصحراء .. من صخور إلى تلال .. ورمال وأشجار . وبناء شعبي قديم ، محاولا الوصول إلى طابع مميز .

● في هذه المرحلة .. يختلف الفنان في لوحته الجديدة « **المخطط الجديد** » عن أسلوبه السابق .. فهو يعبِّر عن موضوع واحد .. راحت عيناه تريان صفرة الصحراء .. في لغة مبسطة مباشرة .

● تحول بعد ذلك يتأمل داخل ذاته .. ولم يبق إلا أن يسجل في لوحاته الذكريات القديمة والآمال التي لم تتحقق والتغني بجمال الصحراء ، كل هذا نستنتجه من النظرة الأولى للوحته « المخطط الجديد » .. والتي تعتبر بداية أسلوب جديد للفنان .. بعد أن كان قلقاً للبحث عن شخصية متميزة .. وعلى مقدار البحث المستمر تمكن من التخلص من هذا الصراع .. فاستطاع في لوحته هذه أن يصل إلى أسلوب مميز .

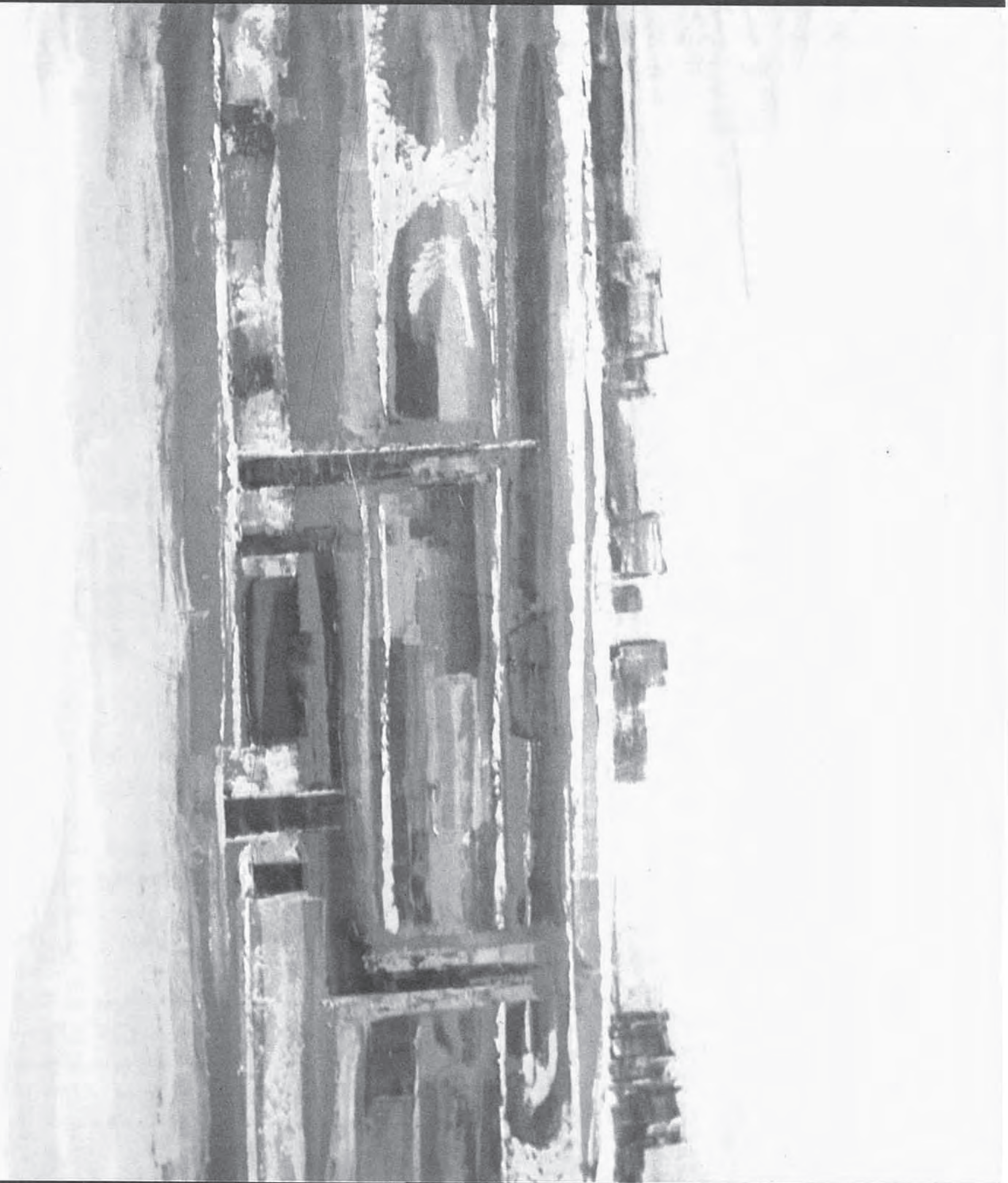
● استغل الفنان الصحراء في هذه اللوحة وتمكن من نقل القيمة اللونية للصحراء محاولا الوصول إلى انطباع تجريدي .

● الموضوع الرئيسي .. في وسط اللوحة .. وترديد الدرجات اللونية أعلى وأسفل اللوحة .. دليل على أن الفنان يعيش تجربة جديدة .. عالجها بألوان حزينة تشيع بالغموض .. واستعمال سكين الألوان .. تعطيه الثقة على أنه على أبواب أسلوب جديد ... مميز ، وأنه يقف على أرض صلبة من المقدرة التكنيكية مستغلاً الظلال والنور بحنكة ابن الصحراء .



محمد موسى السليم

● من مواليد عام ١٣٥٨هـ في (مرات) المملكة العربية السعودية .
● خريج أكاديمية فلورنسة للفنون الجميلة - إيطاليا .
● ٢١ معرضاً مشتركاً في الداخل والخارج .
● ١٢ معرضاً شخصياً .
● ١٤ ميدالية وشهادة تقدير .
● حاز على عدة جوائز دولية .
● عضو مجلس إدارة الجمعية العربية للثقافة والفنون بالرياض .



في عام ١٩٧٨ م ، صادق مؤتمر وزراء التربية والتعليم ، المنعقد بمدينة الخرطوم ، على التقرير النهائي الذي أعدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بناء على توصية سابقة أقرها المؤتمر الرابع المنعقد في صنعاء عام ١٩٧٢ م ، واقترح فيها تأليف لجنة [١] لوضع « استراتيجية » ، أي خطة عامة ، لتطوير التربية في الأقطار العربية ، وفي ضوء المبادئ الأساسية التي تضمنها القرار ، كما أقر مؤتمر الخرطوم أن تقوم المنظمة العربية بتوجيه الدعوة إلى وكلاء وزارات التربية والتعليم في الأقطار العربية ، لعقد اجتماع [٢] لتدارس السبل الكفيلة لتنفيذ هذه الاستراتيجية ، والسعي لتنفيذ ما جاء بالتقرير من توصيات واتجاهات .

فما عناصر هذه « الاستراتيجية » المقترحة ، وما أهم محتويات هذا التقرير ، وما جدواها في رسم الخطوط العامة لسياسة التربية والتعليم في كل قطر عربي ، ووسائل تنفيذها ، وما النقد الموجه إلى هذا التقرير ؟

هذا ما أود الإجابة عنه في الصفحات التالية .

نحو تربية عربية جديدة

بقلم : حسن مجيد الدجيلي

دأبت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الإدارة الثقافية سابقاً) منذ تأسيسها ، على دراسة أوضاع التربية والتعليم في البلاد العربية ، وساهمت في معالجة مشكلاتها ، بحكم موقعها ومسؤولياتها التربوية والثقافية ، وعبرت عنها من خلال المؤتمرات والندوات والحلقات التي عقدتها على امتداد الوطن العربي ، وحاولت أن تضع إطاراً عاماً لتربية « عربية » قومية يكون سبيلاً لوحدتها الثقافية والفكرية . وكان آخر هذه المحاولات التقرير المذكور المعروف باسم « **تقرير استراتيجية تطوير التربية في البلاد العربية** » ، وقد تضمن التقرير خطوطاً أساسية « لاستراتيجية » تقوم على الأصالة والتجديد ، وتنبع من مقومات الأمة العربية من عقيدة ولغة ودين وتاريخ ، ومن متطلبات الحياة العصرية الزاخرة بالمعرفة وبالمستحدثات العلمية .

ويمكن أن يوصف التقرير المذكور بأنه وثيقة فلسفية ذات أهداف تربوية وسياسية واجتماعية مهمة ، وأنه « استراتيجية » ذات مبادئ وعناصر من شأنها ــ كما يقول التقرير ــ معالجة أهم مشكلات العصر التي يواجهها الإنسان العربي في زماننا هذا ، حيث يتعرض لاحتراب العقائد والأفكار ، فتجعل مسيرته في الحياة مليئة بالعقبات والمعاناة .

أهم محتويات التقرير

يتطرق التقرير إلى التحديات الثلاثة التي تواجه الأمة العربية ، وهي : « **التخلف والاستعمار والصهيونية** » ، وتحديات « الثورة العلمية التقنية وضرورة اللحاق بها » ، ويرى أن مواجهة هذه الثورة لا يكون إلا بـ « تحديث العقل العربي بجملته .. تحديث يؤاخي بين العلم وما يتطلبه من منهجية عقلانية صارمة » .. واستثمار العلم في مجال « التنمية الشاملة » بحيث يتحقق تطوير شامل لسائر جوانب الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية ، « يكون فيه الإنسان أداة وغاية على السواء » ، وتتاح له « تربية شاملة » ، وتتوفر لديه حقوقه الأساسية .

ويتحدث التقرير كذلك عن الإمكانات المتوفرة للأمة العربية لتحقيق شخصيتها ، ويذهب إلى أن أبرز هذه الإمكانات « أن العرب ، على تعدد أقطارهم أمة واحدة ، تؤلف بينهم روابط يندر أن تجتمع لغيرهم من الأمم في عددها ومتانتها ، وهي روابط الوطن الواحد ، واللغة الواحدة ، وروابط العقيدة والثقافة السائدة ، وروابط التاريخ المشترك والنضال .. والمصالح المشتركة ، والإرادة المتآلفة ، والمصير الواحد » [٣] ويذهب إلى أن الدول العربية كانت « بحكم روابطها القومية من أسبق الدول انتظاماً في مجموعة إقليمية » ، وأن إمكانات الأمة العربية تكمن « بوحدتها أقوى ما تكمن في عقيدتها وتراثها الحضاري وفي ثرواتها البشرية الفنية ، هذا فضلاً عن إمكاناتها الطبيعية والحضارية وموقعها بين القارات الثلاث » .

ثم يتساءل واضعو التقرير : هل للأمة العربية إرادة في التغيير تنشده عن عمد وقصد وعلى هدي ووضوح رؤية ، وتتحمل مسؤولياتها ؟ الجواب : نعم . فمن دلائل هذه اليقظة حركات التحرر والاستقلال وانتشار الوعي القومي بين الجماهير ، واستشعارها بعمق الأخطار العميقة التي تواجهها .

وأشار التقرير إلى حاجة الوطن العربي إلى « **استراتيجية عربية** » تحيط

بمسائله ، وتحدد أهدافه « وتوضح المبادئ والأفكار التي ترسم مساراته ، وتعين الوسائل والأساليب لاتخاذ الإجراءات الكفيلة ببلوغ غاياته . . . » على أساس من الشمول والتكامل ، على أن تتفرع منها **استراتيجية لتطوير التربية العربية** » ، والتقرير محاولة لوضع مثل هذه الاستراتيجية التربوية التي تحتاجها الأمة العربية ، وعرض لقدرة التربية على إحداث التغير الشامل في مجتمعاتها . وقد اقترح التقرير سبعة أسس لهذه الاستراتيجية التربوية ، منها :

١ ــ النظر إلى التربية من حيث هي « منظومة » شاملة تتفاعل أجزاؤها بعضها مع بعض ، ويصدق عليها نظاماً « قومياً » شاملاً وأنظمة « قطرية » متعددة .

٢ ــ والنظر إلى العرب من حيث هم أمة واحدة ذات مقومات قومية « يندر أن يتوافر لغيرها من الأمم » ، ومن حيث أن **الإسلام** قد نظم حياة الإنسان والمجتمع أحسن تنظيم ، فلا بد والحالة هذه أن تستلهم التربية العربية أصوله ومبادئه ، لتطوير المجتمع العربي وتجديده .

٣ ــ والنظر إلى الاستراتيجية المقترحة من حيث أنها تراعي واقع التربية في مجتمعها ، وتشخص مشكلاته ، وتحدد حاجاته وإمكاناته ، وتستخلص ثمرات التحليل الفلسفي والعلمي الملائم لها ، وتنظر إلى المستقبل لمعرفة ما ينطوي عليه من احتمالات .

وتستند الاستراتيجية المقترحة إلى جملة من « المبادىء » ، تحقيقاً لتنمية شاملة في الوطن العربي ، تكون (وسطاً بين مبادىء الفلسفة ، وبين اتجاهات السياسة التربوية) ، وهذه المبادىء [٤] هي : **المبدأ الإنساني ، والإيماني ، والقومي ، والتنموي ، والديمقراطي ، والعلمي ، ومبدأ التربية للعمل ، والتربية للحياة ، والتربية للقوة والبناء ، والتربية المتكاملة المستمرة . كما تستند إلى جملة من الاعتبارات الأساسية نابعة من أصول الإسلام ، وخصائص الحضارة العربية الإسلامية ، وخصائص الحضارة المعاصرة ، والفكر الإنساني ، وواقع المجتمع العربي المعاصر ، وواقع التربية العربية .**

ويشرح التقرير « عناصر » هذه الاستراتيجية ويحددها على النحو التالي :

١ ــ « **فلسفة اجتماعية عربية للتربية متميزة** » عن غيرها من الفلسفات ، « تؤكد خصائص الأمة العربية ، ومقوماتها القومية ، وتتعاطف مع الحضارة الإنسانية المعاصرة » .

٢ ــ « مجتمع عربي متعلم » باعتباره « **صيغة حضارية** » يتحرك في اتجاه ديمقراطية التعليم ، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، وتطوير مفهوم التربية ، وجعلها شاملة ، وتطوير التربية في نطاق التنمية الشاملة للوطن العربي .

٣ ــ « **تنويع البنى التربوية ، وتحقيق المرونة والتكامل فيها** » بحيث تتحقق المرونة بين مراحل الدراسة ، ويتحقق التنوع في المؤسسات التربوية ، ويتحقق تطوير نظم التربية اللامدرسية ، ليصبح نظاماً موازياً للتربية المدرسية ، وضمان الاتصال بالمجتمع والتفاعل معه .

٤ ــ تجديد **محتوى التربية وطرائقها ووسائلها وأساليب تقويمها** ، بالاعتماد على التجريب وتأكيد الأصالة والتجديد .

٥ ــ تطوير مهمات وأساليب الإعداد والتدريب **للمعلمين** بوصفهم رواد الأصالة والتجديد ، على أن تتولى كليات التربية هذا الإعداد على المستوى الجامعي ، لأنها أحرى بتولي هذه المسؤولية المهمة .

ومن ارتباط هذه العناصر بعضها ببعض ، تتكون الاستراتيجية الشاملة التي ستحدد مسار التربية العربية لما تبقى من سنوات لهذا القرن . ولكن الشروع بتنفيذها يتطلب « **التخطيط** » ، تحديداً لخطوات العمل . وهنا تتجلى أهمية وضع سلم « **الأسبقيات** » [٥] .

تعليق على تقرير اللجنة

لا يخفى أن تقرير اللجنة المكلفة بوضع « خطة عامة » لتطوير التربية في الأقطار العربية خلال السنوات المتبقية من القرن العشرين يستحق ــ كما ذكرنا ــ كل تقدير واهتمام وتعليق من جميع المعنيين بشؤون التربية والتعليم . فالتقرير ينطوي على مواطن ايجابية ، وهي كثيرة وعلى مواطن ضعف ، وهي قليلة . وتتجلى هذه المواطن بشقيها في صياغة التوصيات ، وفي تغليب الأجواء الرسمية على الأجواء الفكرية المستقلة ، وفي السير وراء الحلول المثالية « **الطوباوية** » من دون مراعاة لواقع التربية العربية أحياناً ، وفي السير المتواصل نحو تنفيذ التوصيات بالإجراءات الرسمية لا بالقناعات الفكرية ، وفي كون معظم واضعي التقرير يحتلون « **مراكز رسمية** » تجعلهم أكثر تحفظاً في التشخيص ومعالجة المشكلات من غيرهم .

ومما يؤسف له أن التقرير لم ينل ما يستحق من اهتمام ، لا من وسائل الإعلام ولا من المسؤولين عن التربية والتعليم ، ولا من الجامعات وكليات ومعاهد المعلمين ومراكز البحوث ، وجميع العاملين في ميدان التربية والتنمية ، على خلاف ما أراده واضعو التقرير [٦] . وربما يقع معظم اللوم على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وحدها .

ومع أن التقرير النهائي قد رفع إلى مؤتمر وزراء التربية والتعليم المنعقد في الخرطوم سنة ١٩٧٨ م ، وتمت المصادقة عليه ، وأصبح وثيقة معتمدة ، وسارعت المنظمة قبل أن تستكمل إجراءات التصديق النهائية ، باتخاذ خطوات أولية لتنفيذ توصياته ، كان (أولها) **اجتماع وكلاء وزارات التربية والتعليم في البلاد العربية في الرياض** ، لدراسة وسائل تنفيذ الاستراتيجية (٢٩ ــ ٢ ــ ١٣٩٩ هـ) ، (وثانيها) عقد حلقة دراسية حول « **متطلبات استراتيجية التربية العربية في إعداد المعلم العربي** » في مسقط (٢٤ شباط/ فبراير إلى أول أيار/ مايو ١٩٧٩ م) . إن هذه المصادقة وتلك الخطوات لا تحول دون تقديم بعض الملاحظات استجابة لدعوة واضعي التقرير الذين قالوا إنه « **خير لهذا التقرير أن ينال النقد والتقويم وما عسى أن يترتب عليه من تعديل وتبديل سداً لنقص وتوضيحاً للغموض ، وتفصيلاً للاجمال واستقصاء للمتضمنات . . .** » .

صياغة التقرير

يحلو لكثير من المربين مع الأسف ، أن يغرقونا بين آونة وأخرى بفيض من التعابير والمصطلحات التربوية الأجنبية ، منقولة إلى العربية نقلاً بعيداً عن الفهم والفصاحة ، وكأن اللغة العربية قد أصبحت عاجزة عن مجاراة الفكر الحديث . فمعظمنا مثلاً ، لا يجد سبباً يبرر استعمال المصطلحات العسكرية أو الهندسية أو الصناعية أو غيرها في الأدبيات التربوية ، بل لا يستسيغ هذا الاتجاه في النقل ، ولا سيما حينما يكون « حرفياً » من دون ترويض أو تعريب سليم . فأي تبدل في المعنى سيحدث مثلاً لو قلنا « خطة عامة لتطوير التربية » في الأقطار العربية بدلاً من « استراتيجية لتطوير التربية » ؟

لماذا نقول مثلاً : « **مدخلات** » و « **مخرجات** » و « تغذية راجعة » ، ولماذا يصف أحدنا موقع كليات التربية في النظام الجامعي العام ، فيقول بأنها تمثل « الصناعة الثقيلة » في التربية ؟ ولماذا نستعمل مصطلحات هندسية ، فنقول : « **البعد الطولي** » للتاريخ ، « **والاتجاه الخطي الواحد** » ، ونقول : « **تدفق المعلمين أفقياً ورأسياً** » ؟ ، ونقول : إننا ننظر إلى المجتمع العربي من بعدين رئيسيين : الأول طولي . والثاني عرضي . لنحصل على صورة طابعها « الشمول والتكامل » ؟ أو ليست هذه التعابير مستقاة من مجتمعات « صناعية » قد قطعت

شوطاً طويلاً في التقدم التكنولوجي ، وتفجرت فيها المعرفة متصلة بها كل الاتصال ، في حين أن مجتمعاتنا لم تقطع ولا مرحلة مهمة من هذا التقدم ، بل لا تزال تتفجر في أرجائها « الأمية » والمرض ، و« الجهالة الفنية » ؟

لماذا لا نلتزم بالتواضع في استعمال الكلمات العربية واختيار المصطلحات المفهومة ؟ وما الفائدة من صيغ المبالغة في التعبير ، كقولنا : « التحديات الفخمة » و« الإرادة الجبارة » و« الحقيقة الشامخة » و« الحقيقة الصلبة » و« الإمكانات الجبارة » ؟ أو لا يدل هذا الضرب من الاستعمال أننا مرضى ، ونعاني من عقد نفسية ؟

وصفوة القول ، إن التقرير من حيث هو وثيقة رسمية يحتاج إلى إعادة النظر في بعض فصوله لتكون صياغته عربية أكثر مما هي أعجمية ، وهي صياغة حرصت ودأبت جامعة الدول العربية كثيراً على الالتزام بها منذ تأسيسها .

ونحن حينما نبارك دعوة « التقرير » إلى « تعريب الثقافة » العربية ، وتجنب استعمال العبارات الأجنبية والمصطلحات التربوية من دون « تعريب » ولا ترويض ، فلا ننكر ضرورة استمرار التفاعل الفكري والثقافي مع « الغير » أياً كانت هويته ، ولكنه تحذير من مغبة الاسترسال باغراق لغتنا العربية بصيغ ومصطلحات غير فصيحة ولا عربية ، ومن الفوضى التي تعم الأوساط الجامعية في الوقت الحاضر .

يلاحظ في بعض فصول التقرير شيوع تعابير سياسة ومصطلحات غير مقبولة ، ولعلها جاءت استرضاء لجهات معينة ، كما يلاحظ أن التقرير تجنب الإشارة إلى مشكلة خضوع التربية في بعض الأقطار العربية « لصرامة » تربوية منبثقة عن « عقائديات » معينة ، وما قد يسفر عن هذا الخضوع من اغتراب نظم التعلم بعضها عن بعض بدلا من تقاربها ، وما يترتب على هذا الخضوع من وأد أو مسخ للإنسان العربي .

إن تباين الأقطار العربية جغرافياً واجتماعياً ، وتباين نظمها السياسية والاقتصادية شكلاً ومحتوى وأسلوباً ، يستدعي درجة من التحفظ والمرونة في التعبير ، فجامعة الدول العربية لم تعد تمثل أقطار المشرق العربي وحدها ، وكما كانت منذ تأسيسها ، بل امتدت عضويتها إلى أقطار عربية كثيرة في المشرق وفي شمالي القارة الإفريقية وجنوبها . وإذا ما أريد تطبيق هذه « الاستراتيجية التربوية » المقترحة فينبغي أخذ هذا الامتداد بعين الاعتبار ، كما ينبغي إعادة صياغة بعض الصفحات والتوصيات حفاظاً على الطابع العلمي الذي ينبغي أن يتصف به التقرير . ومن التعابير السياسية نقرأ ، على سبيل المثال لا الحصر ، الفقرة التالية [٧] :

« تدل الدلائل كلها على أن التربية العربية عازمة عليه ، وراغبة فيه ، ومؤمنة به ، ذلك أن الثورة العربية التي دكت في أرجاء الوطن العربي أصنام المخلفات الاستعمارية ، وحررت جماهير عربية غفيرة من قيود الاستغلال والاستعباد والتي تستجمع قواها اليوم لتواجه الضربة القاصمة للصهيونية والاستعمار ، لا بد من أن تفرض قيام ثورة تربوية عربية واحدة ينبغي الإعداد لها والتفكير فيها ، والإيمان بها والاعتقاد بأنها قادمة لا شك فيها » .

ومن الغريب جداً أن يتضمن التقرير توصية غير تربوية ، لا جدوى من ذكرها والافصاح عنها في وثيقة تربوية عربية ستكون ، ولا شك ، في متناول معظم الباحثين والمربين في أقطار كثيرة إذا ما نقلت إلى لغات أخرى ، وأعني بها التوصية التي جاءت في معرض الكلام عن جوانب التفاعل المختلفة بين التربية وبين المنظومات المجتمعة الأخرى في نطاق التنمية الشاملة ، وأعني بها « **قضية الأمن القومي** » وهذا نصها :[٨]

« وفيه تلتقي التربية والثقافة والعلم في الحياة العسكرية ، تمكين الأمة من أن تواجه التحديات الخطيرة التي تحيط بها من قبل الاستعمار والصهيونية ، ويتسع المجال فيها لتمثل فضائل الفروسية والبسالة والشجاعة وروح التضحية والفداء والتدريب على المهارات التقنية النافعة في الحرب والسلام » .

إن توصية بهذه الصيغة ، وبهذا المحتوى ، تفوح منها نزعة عسكرية وفاشية ، قد يساء فهمها ، وقد تستخدم ضدنا ، ويستحسن رفعها ، ولا أظنها تلق استحساناً أو قبولا لدى كثير من المربين . ينبغي أن يكون شعارنا دائماً : العمل لا القول .

هذه ملاحظات عامة نسوقها للتذكير وللتقدير لا للتشهير أو الحط من قيمة التقرير . أما الملاحظات الأخرى ، فستتناول أهم الجوانب التربوية والتنظيمية في ضوء الخلاصات التي ذكرتها في صفحات سابقة .

نزعة مثالية طوباوية

في الفصل الذي يتحدث فيه التقرير عن « **إرادة التغيير** » ، نلاحظ نزعة مثالية « **رومانتيكية** » ، كما يقولون ، هي ولا ريب من مخلفات الماضي القريب التي تصورنا أنها اندرست ، وأقصد بها محاولة تسمية الضعف والتفكك اللذين تعاني منهما الأمة العربية إمكانات كبيرة لتحقيق شخصيتها أو « تعريبها » ، وأبرزها « أن العرب على تعدد أقطارهم أمة واحدة ، تؤلف بينهم روابط يندر أن **تجتمع لغيرهم من الأمم في عددها ومتانتها** (الخط من وضعي) وهي روابط الوطن الواحد ، واللغة الواحدة ، وروابط العقيدة والثقافة السائدة ، وروابط التاريخ المشترك ، والنضال . . والمصالح المشتركة ، والإرادة المتآلفة ، والمصير الواحد » [٩] ، فإذا كان ذلك كذلك ، فلماذا لا تستطيع الأمة العربية أن تسلك طريق الوحدة والتحرر من العقائديات والقبليات والإقليميات ؟ صحيح ، أن « لدى الأمة العربية إمكانات كبيرة » ، ولكن المصلحة تقتضي أن نستقصي عوامل الفرقة ، ونتدارسها في معاهدنا ومدارسنا ، وننقد ذاتنا قبل أن نتكلم عن ضرورة الوحدة أو الاتحاد .

ويزعم التقرير كذلك أن الدول العربية كانت « بحكم روابطها القومية **من أسبق الدول انتظاماً في مجموعة إقليمية** (الخط من وضعي) ، وأن إمكاناتها تكمن في وحدتها أكثر مما تكمن في عقيدتها وتراثها الحضاري ، وفي ثرواتها البشرية الفنية » [١٠] . وهذا تعميم كاسح لا أظنه يستطيع الصمود طويلاً أمام حقائق التاريخ والبحث العلمي . وربما ينطوي على خطأ مطبعي أو تسرع في الحكم . ويستحسن إعادة صياغة التعبير ليكون أقرب إلى الدقة . ولعل واضعو التقرير لم يريدوا هذا الحكم المطلق لو رجعنا إلى الفقرات التالية التي تتكلم عن صورة مخالفة .

ويتحدث التقرير عن **التحديات الثلاثة** ، عند الحديث عن إرادة التغيير ، التي تواجه الأمة العربية ، وهي : **مشكلات التخلف والاستعمار والصهيونية** ، هذا فضلاً عن تحديات « الثورة العلمية والتقنية وضرورة اللحاق بها » ، واستثمار العلم في مجال التنمية الشاملة ، بحيث يكون الإنسان أداة وغاية ، ومعنى ذلك تحقيق « **المجتمع السليم** » كما يدعو إليه الإسلام ، أو « **المدينة الفاضلة** » ، كما تصورها بعض الفلاسفة ، أو دولة الرفاهية ، كما دعا إليها بعض رجال السياسة ، وبعض رجال الاقتصاد ، أو هي الديمقراطية في صيغتها الحديثة والسؤال طبعاً يكون : **ما هي مقومات « المجتمع السليم » ، ومن الذي سيتعهد عملية التقويم الأفراد أو المؤسسات ؟ وما المقصود « بالديمقراطية في صيغتها الحديثة » ، وهل هي موجودة ، أو يراد استحداث مقوماتها ، وكيف ؟**

مبادئ الاستراتيجية التربوية وعناصرها

كنا قد أشرنا إلى المبادئ والعناصر المقترحة لاستراتيجية تقوم على « **التجديد الشامل للتربية** » تحقيقاً لتنمية شاملة في الوطن العربي . ونضيف إلى ما ذكرنا أن التقرير استعرض الاستراتيجيات المتبعة في مسيرة التربية العربية منذ قيامها ونقدها بشدة ، وقلل من شأن الإنجازات التربوية التي حققتها الأقطار العربية خلال مسيرتها الطويلة منذ أكثر من خمسين سنة . وأحسب أن هذه النظرة فيها انكار لا مبرر له لجهود الأقطار العربية في تعميم التعلم وتنويعه يوم كانت تناضل من أجل حريتها

واستقلالها، وتواجه تحديات التخلف من كل صوب.

وبعد أن استعرض التقرير التربية العملية في سياق مجتمعها (بين الماضي والحاضر)، انتقل إلى شرح معظم القضايا الكبرى التي يدور حولها الحوار في الوقت الحاضر، والطرق المقترحة لمعالجتها، والتي تطرقت إليها كثير من المؤلفات والدراسات الحديثة، على الصعيدين الوطني والدولي. ويبدو أن واضعي التقرير قد تأثروا لدرجة غير قليلة، بتوصيات اللجنة الدولية لدراسة أوضاع التربية والتعليم في العالم، التي شكلتها المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) برئاسة المربي والسياسي الفرنسي **ادغار فورد** (EDGARE FAURE) في تقريرها المعروف بـ **«تعلم لتكون ـ أو عالم التربية اليوم وغداً»** (LEARNING TO BE) وعالجوا قضايانا التربوية على غرار السياق المتبع في التقرير المذكور، ولا سيما من حيث دعوة اللجنة إلى مجتمعات متعلمة وإلى تنويع البنى التربوية، وإلى ضرورة استيعاب الثورة العلمية والتقنية، واستثمار العلم في مجال التنمية الشاملة.

ونجد أن التقرير يقدم وصفاً لاستراتيجية جديدة للتربية الشاملة مؤلفة من ثلاثة عناصر، ويدعو إلى: (١) فلسفة اجتماعية عربية للتربية متميزة، (٢) وإلى مجتمع عربي متعلم، (٣) وإلى تنويع البنى التربوية وتحقيق المرونة والتكامل في سلم التعليم. واستندت هذه الاستراتيجية إلى عدد من المبادئ الرئيسية، كما ذكرنا، وإلى جملة من الاعتبارات الأساسية:

١ ـ نحو فلسفة عربية متميزة

إن حاجة الأمة العربية، كما لا يخفى، شديدة «إلى فلسفة اجتماعية متميزة عن غيرها من الفلسفات، تؤكد خصائص الأمة العربية ومقوماتها القومية، وتتعاطف مع الحضارة الإنسانية المعاصرة» تنقذها من «صراع المذاهب والدعوات». وجميل لو أن التقرير استعمل كلمة «تفاعل» بدلا من «تعاطف»، لأن الأولى تعبر عن موضع قوة وتعال على الحضارة الإنسانية، وهو ما لا نريده ولا ندعيه. فنحن شركاء في هذه الحضارة منذ زمن بعيد، ولسنا غرباء عنها، بل من مؤسسيها. وجميل كذلك لو أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تشرع في تنظيم ندوات فكرية على صعيد غير رسمي لتحديد الإطار العام لفلسفة كهذه في ضوء الاعتبارات الأساسية المطروحة. وأقول «على صعيد غير رسمي» لأن هذا الأسلوب وحده يعطي حرية الحوار وحرية اتخاذ القرار.

٢ ـ نحو مجتمع عربي متعلم

إن تحقيق هذا المجتمع كان ولا يزال حلم الفلاسفة والمربين قديماً وحديثاً ويتطلب تحقيقه، ولا ريب، قروناً طويلة، وربما لا يتحقق أصلاً. فالمجتمع المنشود لا يقصد به «المجتمع» المتحرر من وصمة الأمية فقط، بل الحائز على قدر كاف من المعارف والمهارات موزعة على جميع الفئات والمستويات، تحفزها دائماً لاكتساب مزيد منها بالتربية الذاتية. ويوم يتحقق هذا المجتمع «ستتلاشى» المدرسة من الوجود، كما يحلم بعض «المتحذلقين».

٣ ـ نحو تنويع البنى التربوية وتحقيق المرونة والتكامل فيها

إن هذا العنصر من الاستراتيجية، يثير عدة تساؤلات وشكوك، بل هو أكثر العناصر خطورة في مستقبل حياتنا التربوية والثقافية. فهو يدعو إلى «مرونة» السلم التعليمي، وتبني صيغة للتعليم الأساسي، تتطلب تقصير مدة الدراسة لتحقيق مبدأ الزامية التعليم، وقيام مدرسة «المعلم الواحد»، والتنويع في التربية والخروج من الصيغ التقليدية للمدرسة الثانوية النظرية، ومن الفصل القاطع بينها وبين المدرسة الثانوية المهنية، وطرح صيغة «المدرسة الثانوية الشاملة» والمدرسة التقنية، وتقصير مدة الدراسة الجامعية إلى ثلاث سنوات في بعض الكليات وبعض المهن [١١].

إذاً جاز لمنظمة اليونسكو أن تقترح صيغة كهذه لبعض الأقطار المتنامية الحديثة، فإن الأمر يختلف بالنسبة للأقطار العربية ذات التقاليد العلمية العريقة. فلو جاز لنا تطبيق هذا العنصر فإنه سيؤدي ولا شك إلى تراجع الصيغ التربوية الحاضرة إلى المواقع القديمة التي هجرتها قبل حوالي نصف قرن، يوم كانت مدة الدراسة الابتدائية أربع أو خمس سنوات، ومدة الدراسة المتوسطة سنتين، والثانوية من ٢ ـ ٣ سنوات، والكليات العالية والجامعات من ٢ ـ ٣ سنوات. كما سيؤدي إلى تدهور نوعية التعليم العام، وقيام قيادات اجتماعية وفكرية ومهنية وعلمية ذات مستويات متدنية. وإذا كانت بعض الأقطار المتقدمة قد أحدثت مرونة في سلم التعليم العام، وهو فترة التعليم الالزامي وقامت بتجارب عدة في حقل التنويع، فإن لديها من المفكرين والعلماء والباحثين، ومن الجامعات والهيئات ومراكز البحوث ما يصون تقاليدها العلمية ومستوياتها الثقافية والتربوية ومستقبلها الحضاري من الوهن والانهيار.

إن أية مغامرة في هذا الاتجاه غير المضمون ستترتب عليها، ولا ريب، آثار سيئة بالنسبة لمستقبل التربية والتعليم والثقافة في الأقطار العربية. وعندئذ سيتطلب الأمر من «الاستراتيجية» المقترحة أن تولي اهتمامها قبل كل شيء برفع مستويات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والعالي بالارشاد والتنويع والتخصص، ورعاية الموهوبين من الطلبة عبر مراحل التعليم العام كافة بدءاً برياض الأطفال وانتهاء بالمعاهد والجامعات.

وعلى سبيل التعليق، أي كسب تربوي وتعليمي يمكن أن تحققه مثلاً مدرسة «المعلم الواحد» أو مدرسة «الكتاب» لأطفالنا؟ فإذا ما قامت هذه المدرسة في يوم من الأيام بحكم «الضرورة» في بعض المقاطعات الأميركية لعوامل جغرافية وسكانية واقتصادية ولا سيما في المناطق الريفية النائية، فأي نفع سيأتي منها لأبنائنا وبناتنا؟ إن مدرسة كهذه لا محل لها في نظامنا التعليمي، وقد بدأت تختفي من الريف الأميركي ليحل محلها نظام تجميع المدارس الصغيرة في مدارس كبيرة، ولا سيما بعد أن تحسنت طرق المواصلات في معظم أقطار العالم.

وما ينطبق على مدرسة **«المعلم الواحد»** ينطبق كذلك على سائر التوصيات «المرنة»، ومن بينها تطبيق صيغة المدرسة الثانوية الشاملة، هذه المدرسة التي ظهرت في بعض الولايات المتحدة الأميركية بداعي الضرورة أولا، ثم اكتسبت «صيغة» تربوية جديدة، وانتقلت منها إلى بعض الأقطار الأوروبية بفعل الاقتباس والتجريب والتقليد، ولأسباب سياسية لا تربوية من ناحية، ولعوامل تنظيمية وإدارية من ناحية ثانية، استدعتها ظروف تطبيق الزامية التعليم ورفع سن التعليم ليشمل المرحلة المتوسطة والثانوية. وقد فشلت في تحقيق أهدافها المهنية. وسرعان ما قامت إلى جانبها مدارس تكنولوجية حديثة اختصاصية لاقت نجاحاً كبيراً. **ولا أحسب أن «المدرسة الثانوية الشاملة» تستطيع أن تكون صيغة جديدة لإصلاح التعليم الثانوي، أو صيغة جديدة للتعليم المهني والفني. وسيكون نجاحها محدوداً ولا شك.**

وبقدر ما يتعلق الأمر بتقليص مدة الدراسة في الكليات والجامعات والمعاهد العالية، فلا أظن أن هذه التوصية ستلقى قبولا في معظم الأقطار العربية. فقد دخل التعليم الجامعي مرحلة جديدة وحقق في مجال التنظيم والتخصص والتنويع تقدماً محسوساً، ارتفع به إلى مصاف التعليم الجامعي في معظم أقطار العالم. ومن التوصيات الخاصة بالنهوض في التعليم الجامعي، توصية «بإنشاء مركز أو معهد لتطوير التعليم العالي على المستوى القومي في ظل اتحاد الجامعات العربية»، وأظن أن توصية كهذه، سابقة لأوانها، وربما لا ضرورة لها. فقد برهنت الأيام على أن الإكثار من المعاهد لا يؤدي دائماً إلى تحقيق مزيد من التطوير والتجديد.. وبوسع «اتحاد الجامعات العربية» أن يتصدى لهذا العمل ضمن إمكاناته القائمة إن أراد ذلك.

إعـداد المعلمـين وتدريبهم

أولى التقرير موضوع **إعداد المعلمين** وتدريبهم عناية خاصة بوصفهم «رواد الأصالة والتجديد والساعين له»، وبالتالي «فإن استراتيجية تطوير التربية بجملتها» تقع عليهم. ودعا إلى «تطوير منظماتهم وجمعياتهم المهنية لتسهم في تطوير مهماتهم وفي دعم منزلتهم، وانفتاحهم على المهن والمنظمات الأخرى.. وأن يكون لاتحاد المعلمين العرب دوراً بارزاً في هذا التطوير»[١٢].

هذا الموضوع يتيح لنا فرصة بحث منظمات المعلمين وجمعياتهم المهنية في الوطن العربي، وما أدت من خدمات لتطوير التعليم، ولا سيما «**اتحاد المعلمين العرب**» الذي أوصى التقرير بأن يكون له «دور بارز في هذا التطوير». وليس من باب التجني أن نذكر بأن معظم هذه المنظمات والجمعيات، بما فيها اتحاد المعلمين العرب، تقاعست عن أداء واجباتها التربوية الأساسية وحصرت معظم نشاطها في العمل السياسي لا المهني، وتكاد تصبح «مؤسسات» حكومية ذات قدرة محدودة جداً على تحسين وضعية المعلمين والارتفاع بمستوى مهنة التعليم. ولا يستثنى من هذا الحكم حتى «اتحاد المعلمين العرب». والمعلمون جميعاً ينعون باللائمة على جمعياتهم ونقاباتهم ولا يستثنون اتحادهم: اتحاد المعلمين العرب. فكثيراً ما تعالج قضايا التربية والتعلم في غياب «المعلمين» وهم الممثلون لمهنة التعليم، لا سيما إذا كان التمثيل على صعيد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وحينما أشير إلى هذه الظاهرة خلال المناقشات التي دارت في الحلقة الدراسية حول «متطلبات استراتيجية التربية العربية في إعداد المعلم العربي» التي عقدت في **مسقط** (من ٢٤ شباط/ فبراير إلى أول أيار/ مايو ١٩٧٩م)، ادعى معظم ممثلي الحكومات والجامعات في الندوة أنهم يمثلون جميع المعلمين والمعلمات، وأنهم كانوا جميعاً في يوم من الأيام معلمين.

فإذا كان ذلك كذلك، فما السبيل إذن لتطوير مهنة التعليم، وفسح المجال أمام المعلمين ليكونوا، كما أراد لهم التقرير، رواد الأصالة والتجديد، والساعين له؟ وما دور منظماتهم التي تأسست منذ حوالي نصف قرن؟

لا يخفى أن التعليم أصبح، في جميع الأقطار العربية، وفي زماننا هذا «وظيفة» من وظائف الدولة، وأصبح جميع المعلمين «موظفين» في هذه الدولة. فهي التي تتولى إعدادهم وتدريبهم و«توظيفهم» في الدرجات والمناطق التي تنسبها لهم بعد تخرجهم، وهي التي تقرر السياسة العامة للتربية والتعليم، وتضع المناهج الدراسية، وتطبع الكتب المدرسية، وتجيز تأسيس منظماتهم المهنية. وقلما تستطيع هذه المنظمات المهنية انصافهم إلا في حدود ضيقة، وأكثر من هذا قلما تستطيع أن تشارك في وضع المناهج مشاركة فعالة، وفي صياغة السياسة التعليمية ولو في أبسط أشكالها. ويعود ذلك إلى طبيعة «الوظيفة» وما تفرضه من سلوك معين، وإلى نقص في شجاعة وقدرة معظم منظمات المعلمين على ممارسة دورها في مهنة التعليم، فاستسلمت إلى التوجيهات والقيادات الرسمية، وتخلى المعلمين تبعاً لذلك، عن ممارسة واجباتهم وحقوقهم في الارتفاع بمستوى المهنة، ظناً منهم أن هذه المساهمة لا تقع في دائرة واجباتهم أو تخصصاتهم، وأصبحوا متفرجين على سير العملية التربوية وأداة تنفيذها لا غير.

كثيراً ما يتساءل المعلمون: ما جدوى منظمات المعلمين المهنية في وضعها الراهن هذا؟

إن الارتفاع بمستوى مهنة التعليم، يتطلب ولا شك، إعداد قيادات تربوية في صفوف المعلمين، وإعادة النظر في نشاط تنظيماتهم المهنية، بحيث يتسنى لهم ممارسة أكبر قدر من المشاركة الفعلية في تقرير شؤونهم المسلكية والعلمية، كما يتطلب إعادة تنظيم جمعياتهم المهنية، وتشجيع قيام جمعيات تربوية تخصصية في كل مرحلة من مراحل التعليم، وفي كل قطر عربي، كل في نطاق تخصصها، تنصرف كل واحدة منها إلى تطوير المناهج، وذلك بعقد حلقات وندوات ومؤتمرات تربوية، فتؤسس مثلاً جمعيات خاصة بمدرسي العلوم الطبيعية، والرياضية، والحياتية، والاجتماعية، والعربية والدينية وغيرها من مقررات دراسية، تتولى متابعة هذه المقررات وأساليب تدريسها، ودراسة سبل تحسينها وتجديدها في ضوء السياسة التعليمية والمستحدثات التربوية الحديثة. ومن ثم تنظم اجتماعات ومؤتمرات لهذه الجمعيات التخصصية على نطاق الوطن العربي، تتبادل خلالها في محتوياتها، وطرق تجديدها أو تنقيحها لتحقيق قدر من التنسيق التربوي، تمهيداً للنهوض بمستوى المقررات الأساسية التي اسند إليها نظام التعليم في الأقطار العربية، وتحقيق أكبر قدر من الوحدة التربوية والثقافية والفكرية.

* * *

أكتفي بهذا التعليق العام لمحتويات «تقرير اللجنة» لوضع خطة عامة للتربية في الأقطار العربية خلال مسيرتها القادمة، الذي لا يراد به سوى التنبيه إلى مواطن القوة والضعف، والله من وراء القصد.

الحواشي

(١) يراجع التقرير المجمل الذي أعدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تألفت اللجنة من الدكتور محمد أحمد الشريف ــ رئيساً، وعضوية الأساتذة: عبد الحميد مهري، وعبد الرزاق قدورة، وعبد العزيز البسام، ومحمد المعادي عفيفي، ونجاتي البخاري.

(٢) عقد هذا الاجتماع بمدينة الرياض في ٢٩/٢/١٣٩٩هـ، وافتتحه وزير المعارف معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر، وحضره كل من رئيس اللجنة الدكتور محمد أحمد الشريف، والدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٣) صفحة ٢٦ من التقرير المجمل، الفصل الأول بعنوان: إرادة التغيير.

(٤) راجع صفحة ٨٠ ــ ٨١ من التقرير:

يعرِّف التقرير الاستراتيجية بأنها «مجموعة من الأقطار والمبادىء، التي تتناول ميداناً من ميادين النشاط الإنساني بصورة شاملة متكاملة، وتكون ذات دلالة على وسائل العمل ومتطلباته واتجاهات مساراته بقصد إحداث تغيرات فيه، وصولا إلى أهداف محددة، وما دامت معنية بالمستقبل، فإنها تأخذ بنظر الاعتبار احتمالات متعددة لإحداثه، فتنطوي على قابلية للتعديل وفقاً لمقتضياته. وهي تقع وسطاً بين السياسة والخطة. والاستراتيجية بهذه الدلالات من المفاهيم أصبحت تستعمل في الدراسات بأساليب التخطيط والتدبير والتنظيم» (صفحة ٣٥).

(٥) وهي كما اقترحها التقرير: (١) التعليم الأساسي.. (٢) تنويع التعليم الثانوي.. (٣) النهوض بنوعية التربية.. (٤) تطوير مؤسسات التعلم العالي.. (٥) تطوير الإدارة التربوية.. (٦) التعريب وتدعيم اللغة العربية.

(٦) مثال ذلك الندوة الثانية لكليات التربية في العالم العربي التي عقدت في مدينة الرياض (من ١٥ ــ ١٩/٥/١٣٩٨هـ، الموافق ٢٢ ــ ٢٦/٤/١٩٧٨م)، وحضرها المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وممثلون آخرون عن المنظمة وشخصيات تربوية أخرى، فقد تضمن جدول أعمالها قضايا تربوية كثيرة، ولكن الندوة لم تحط علماً بالمسعى الذي كانت تقوم به يومذاك «لجنة وضع الاستراتيجية» لتطوير التربية العربية، وأقول للعلم فقط.

(٧) راجع صفحة ١٤ من التقرير.

(٨) كنا، ولا نزال، نستعمل في مدارسنا عبارة «الدفاع عن الوطن»، أما «الأمن القومي» فهو تعبير خاص تستعمله الولايات المتحدة الأميركية فقط. وقد أخذ هذا المصطلح يتسرب إلى كتابات بعض الكتاب من دون تفكير، فنجد من يقول «الأمن الغذائي» وغداً «الأمن الكسائي».

(٩) التقرير المجمل، صفحة ٢٦.

(١٠) التقرير المجمل، صفحة ٢٧.

(١١) راجع صفحة ٩٤ من التقرير.

(١٢) التقرير المجمل، صفحة ١١١.

لقاء مع:

آلان دوكو



ترجمة بتصرف:
د. فوزي الأحدب

آلان دوكو .. عضو الأكاديمية الفرنسية .. رجل يعرفه الجمهور الفرنسي بشكل خاص والأوروبي بشكل عام .. فهو منذ عشرين عاماً يخاطب الجماهير من خلال الإذاعة والتلفزيون .. وهو كاتب ذو قلم رشيق وأسلوب طلي .. وهو أيضاً من رواة التاريخ ومؤرخ في نفس الوقت.

في عام ١٩٥١م، قام بعمل برنامج إذاعي اسمه (محكمة التاريخ) نظم من خلاله الكثير من الندوات والمناقشات العلمية .. وله برنامج مستمر في التلفزيون اسمه (الكاميرا تكشف التاريخ).

لم يشغله عمله في الإذاعة والتلفزيون عن التأليف والكتابة .. وهو متهم من زملائه المؤرخين (الأكاديميين) بأنه ينزل بالتاريخ إلى مستوى (العامة).

وفي حوار طويل معه نشرته مجلة (لير) الفرنسية، تحدث فيه عن التاريخ وروايته ودور المؤرخ، والصلة التي تجمع بين العلم والأدب والتاريخ، وموضوعات كثيرة، اقتطفنا بعضاً منه.

مؤرخ ... يكتب التاريخ بأسلوب الأدب

بطاقة شخصية

●● ما مهنتك المسجلة في جواز سفرك؟

● «أديب»، وما زالت كذلك.

●● هل يعني ذلك أن (المؤرخ) هو (أديب)؟

● نعم.

التاريخ بأسلوب الأدب

●● هل تعتقد أن الأدباء والروائيين والشعراء، يتقبلون بسهولة أن يكون المؤرخ أديباً؟

● لا أعلم، ولكن عليهم أن يتقبلوا ذلك، وعلى المؤرخين أيضاً أن يقبلوا وأن يكونوا أدباء، لأن هذا السؤال ينطبق أيضاً على عدد كبير من المؤرخين الذين يسوؤهم أن يكونوا أدباء أو كتاباً. **ومن المؤكد أنه منذ عدة سنين ابتدأ التاريخ بالابتعاد عن الأدب، وهو الذي كان فرعاً من فروع الآداب لعدة قرون خلت. وأعتقد أن سبب ابتعاده عن الأدب يكمن في محاولته الظهور بمظهر العلم،** وهذا الانفصال بين الأدب والتاريخ، ليس في صالح التاريخ .. ووجهة نظري الشخصية هي أن المؤرخ محق عندما يحاول القيام بعمل علمي مئة بالمئة، وعليه أن لا ينسى أبداً أنه من تلك المواد العلمية، التي جمعها ونسقها، عليه أن يخرج أيضاً بعمل أدبي.

سأضرب هنا مثلاً يوضح الاتجاه المشؤوم الذي يسيرون فيه اليوم: أحد الأصدقاء من الأدباء رغب أن يحضر لشهادة الدكتوراه وقد نجح فيها فعلاً، لكن المحلفين اتهموه بقولهم (إن أسلوبه أدبي أكثر من اللازم) .. وهذا في رأيي خطير .. وخطير جداً.

إنني أقرأ رسائل وأبحاث الدكتوراه، ذلك لأنني أتوجه إلى الجمهور العادي، وهذا يتطلب التزود بالمعلومات الأكيدة والموثوق منها، والتي توجد فعلاً في مثل هذه الأبحاث التي عمل فيها الباحثون خلال عشر أو خمس عشرة سنة. وأنا أقر بأن من يكتب أطروحة دكتوراه لا يهتم بالقالب الأدبي وهذا مما يؤسف له. وغالباً ما أنظر إلى أطروحة **(جورج ديفو)**

« الحياة العمالية في فرنسا خلال فترة الإمبراطورية الثانية » التي نشرت عام ١٩٤٦ م بعين الإعجاب ، فموضوعها محدود جداً . . وهو دراسة لطبقة اجتماعية من الناس في فترة زمنية محدودة ، وبالطبع فإن هذا الباحث قد « غاص » في أكوام من الملفات القديمة وخرج منها بمعلومات لا مثيل لها ، وهي أطروحة تقرأها فتشعر أنك تقرأ لـ (**زولا**) ! وأنا أتمنى على أي باحث في التاريخ أن يكتب بحثه بأسلوب أدبي .

●● هل تعني بذلك أن بعض المؤرخين يتجهون إلى الناحية العلمية فقط بينما يتجه فريق آخر إلى الأدب ؟

● لا !! لأن من يفكر مثلي يقتنع بوجوب إضفاء صفة العمل الأدبي على أي مؤلف أو بحث تاريخي . وما يميزنا عن غيرنا هو أننا نضع العمل العلمي في قالب أدبي .

التاريخ . . والثقة العلمية

●● سأطرح سؤالا بصيغة أخرى : لماذا يرفض البعض الأدب ؟

● لأنهم يظنون أن إضفاء الشكل الأدبي على بحث تاريخي يطرح عنه رداء الثقة العلمية .

●● هل نستطيع القول بوجود نوعين من المؤرخين : أولئك الذين يكتبون لزملائهم وأقرانهم وللجامعة وللأساتذة ، وأولئك الذين يكتبون لعامة الناس ؟

● نعم ، وأعتقد أن هذا التفريق أو الفصل ليس في صالح التاريخ . فالمؤرخون الجامعيون سجنوا أنفسهم داخل قوقعة ، وهذا العمل فيه بعض الارستقراطية الفكرية القابلة للأخذ والرد ، وهذه ليست حال (الانجلوساكسون) ، فالكتب التاريخية التي حققت مبيعات عالية عندهم - والتي يقرأها بشوق حتى ضارب الآلة الكاتبة الذي قام بطباعتها الأولية - هي كتب كتبها جامعيون ، وهذا صحيح في أمريكا بشكل خاص ، ولا يوجد ما يشبه ذلك في فرنسا ، وهذا ما يؤسف له ، خاصة لأنني على اتصال مستمر مع الجامعيين ، ولأنني أقرأ لهم كثيراً وأعرف أنهم أناس لهم قصب السبق - ليس كلهم بالطبع ولكن أغلبهم - وهؤلاء هم أكثر الناس كفاءة في إرواء عطش الجمهور إلى معرفة التاريخ . وأنا - شخصياً - فخور بكتاب السيد (**لا دوير**) عن (**مونتايو**) .

●● كيف توضح لنا سر نجاح هذا الكتاب ؟

● لأنه كتاب سهل الفهم ، لم يكتب لطلاب التاريخ في الجامعات ، علماً أن أغلب المؤلفات التاريخية لا يمكن فهمها إلا من أشخاص بلغوا مرحلة عالية من العلم . . أما الجمهور الذي يتكون من أفراد عاديين انقطعوا عن المدرسة في سن السادسة عشرة . . هذا الجمهور الكبير لا يستطيع أن يقرأ تلك المؤلفات الأكاديمية . . **نجاح الكتاب يعزى إلى أن كل إنسان يقرأه ببساطة ويسر** . . وأملي كبير في أن يكون هذا العمل قدوة يحتذي بها مؤرخون آخرون ، وعند ذلك لن يكون هنالك انفصال بين المؤرخين لأنهم سيصبحون في جانب واحد كلهم .

الحكاية التاريخية

●● انتقد أحدهم زميلك (كاستيلو) فوصفه بأنه قصاص حكايات . . ما رأيك ؟

● إنني في جانب الرواية ، ومع الطرفة والحكاية التاريخية . فالحكاية أو الطرفة بالنسبة لشخصية ما أو حادثة ما ، توضح طبيعة هذه الشخصية وتبين لنا كيفية حصول حادث تاريخي . ويجب علينا في هذا المجال أن نبتعد عن اختراع القصة التاريخية ، بل يجب أن تكون القصة صادقة وحقيقية . **فالقصة التاريخية الصادقة تفتح العيون على حقيقة وترمز إلى شيء معين وتشد الإنتباه** . وأعتقد أنه إذا تجنبنا الطرف والنوادر التاريخية والحكاية الصغيرة عند تدريسنا للتاريخ اليوم فإننا بذلك نمنع عن التلاميذ هذا التشخيص والتجسيد الحي الذي يتعلقون به . وقد أخبرني بعض مدرسي مادة التاريخ عن صحة ذلك .

●● ماذا قالوا لك ؟

● أخبروني أنهم عند إجراء اختبارات لتلاميذهم في مادة التاريخ يجدون أن أغلب التلاميذ قد كتبوا عن حادثة أو حكاية أو أقصوصة تاريخية كان المدرس قد رواها في الصف أثناء شرح الدرس . ذلك لأن تلك الأقاصيص التاريخية يتذكرها التلميذ بسهولة ، ولذلك فإنني أقول : **يجب علينا أن لا نضع النادرة التاريخية في المقدمة ولكن علينا أيضاً أن لا نهملها** . لقد أرادوا أن يصنعوا من درس التاريخ موضوعاً للتأمل والتفكير عند الأطفال . . وهذا شيء حسن ، وفي الواقع أنه في السابق كان المدرس يكتفي بوضع سلسلة من التواريخ على السبورة . . ولم يكن هذا مرضياً . . **أعتقد أنه يجب القيام بعمل**



إصلاحي وتغيير في طرائق تدريس مادة التاريخ وهذا ما ينادي به أغلب المدرسين اليوم . . ستقول لي : « تغيير آخر ؟ » . . نعم لنعط التلاميذ المعلومات التاريخية أولا ، ثم في مرحلة ثانية نجعلهم يتأملون ويفكرون بهذه المعلومات .

●● تعرضت لقضية الطرفة والحكاية في تعليم التاريخ . . فما هو موقفك من هذا الموضوع في الكتب التي ألفتها ؟

● نفس الشيء .

●● أظن أن تعبير « قصاص حكايات » لا يمكن أن يكون ثناءً أو تقريظاً ؟

● لكل امرئ رأيه ، وأنا لي رأيي .

●● وهل هذا هو رأي الجامعة ؟

● بل هذا رأي بعض الجامعات . هل قرأت مقالة الأستاذ (**جيراديه**) في جريدة (**الفيغارو**) ، إنه يقول فيها : « **نعم يوجد تاريخ نعلمه للطلاب في المدارس وهم شاءوا أم أبوا مضطرون لاستيعابه ودراسته ولكن بدون سرور** . ويحدث أن تجد هؤلاء الطلاب في إحدى الأمسيات أمام التلفزيون يشاهدون قصة تاريخية هي « قضية عقد الملكة » . في الحقيقة لم يحدثهم أحد في درس التاريخ عنها لأنها عبارة عن حكاية . لهذا تجدهم يتابعون الحلقة التلفزيونية كما لو كانت مسلسلاً بوليسياً . ثم يقولون بعد ذلك : « التاريخ ؟ إنه شيء مهم جداً لا بل إنه مشوق » .

وإذا كان هذا ينطبق على الأطفال فهو ينطبق على بقية الناس أيضاً . في التلفزيون حلقات عن التاريخ وأنا أرحب بها . وعندما يتحدث المؤرخون في تلك الحلقات عن « العقليات في العصور الوسطى » فإنني أستمع إليهم بشوق لأن ما يقولونه مشوق فعلاً . وما أقوم به أنا في التلفزيون يختلف ، مثلاً عرضت قضية (**راجك**) **Rajk** الذي كان وزيراً لخارجية المجر ومن أبرز الشخصيات في تلك الفترة ثم يحدث أن يتم القبض عليه بشكل مفاجئ لأن ستالين قرر أن يلقي عليه القبض . وأنا أقص ما حدث معه وأروي بالتفصيل حوادث توقيفه واستجوابه واعترافاته . . وأطرح الأسئلة : لماذا يعترف ؟ ألا تعتقد أنني بروايتي لهذه القصة أجعل الناس يفكرون ؟ كم من الناس يقابلونني في الشارع وقد علت وجوههم الدهشة من تلك الحقائق والتفاصيل التاريخية التي تثير اهتمامهم . إن ما أقوم به ـ وأنا متأكد من ذلك ـ إنما هو عمل مفيد .

●● ولكن هذا لا يمنع عنك حسد المؤرخين الأكاديميين وذلك منذ أن بدأت برنامجك التلفزيوني المسمى (الكاميرا تكشف الزمن) ؟

● يقولون لي ذلك ، وأنت تقوله لي أيضاً ، ولكن لم يقل لي ذلك أي أكاديمي وجهاً لوجه . الجامعيون الذين قابلوني لم يثنوا علي . ويبدو لي أنهم ينتقدونني لأنني أنزل بالتاريخ إلى عامة الناس . ومع ذلك فإن الانتقاد إنما هو ثناء في حد ذاته .

الموضوعية . . والأمانة التاريخية

●● عندما تقوم بعرض الحوادث التاريخية في التلفزيون والتعليق عليها هل تكون على قناعة دائمة مما تقوله ؟ ألا يخامرك الشك أحياناً ؟

● بكل تأكيد ! **إن موضوعية المؤرخ ـ في رأيي ـ ليست موجودة ولا يمكن لها أن توجد . ولكن ما نطلبه من المؤرخ هو أن يكون صادقاً ونزيهاً . فالمؤرخ الذي يتجه بالمعلومات التي جمعها اتجاهاً معيناً يوافق هوىً في نفسه إنما هو مؤرخ عديم الأمانة** . أما المؤرخ الذي يفعل ذلك دون قصد ـ وكل المؤرخين يقعون في ذلك ـ لأن الموضوع الذي يعالجه المؤرخ تدخل فيه اعتبارات فكرية وعقائدية ، فإن هذا المؤرخ بالطبع لا يمكن وصفه بعدم الأمانة العلمية . أما الغلط المتعمد والمقصود فإنني ضده ، أما الغلط غير المقصود فلا يمكن أن نفعل حياله أي شيء . ومع ذلك **يجب أن نكافح بكل ما نستطيع حتى نصل إلى أعلى درجة من النزاهة العلمية .**

شخصيات نحبها . . وأخرى لا نحبها

●● هل يمكن أن نؤلف كتاباً عن شخصية لا نحبها ؟ وهل قمت أنت بذلك ؟

● نعم بالطبع . لقد كتبت عن الجنرال (**ماليه**) **Malet** ، وهو شخص كريه ومقيت إضافة إلى كونه مصاباً بالذهان الهذياني . ولم أكن أشعر بالارتياح عند تأليف هذا الكتاب ، لأنه ليس من المريح أن أمضي عامين مع شخصية لا أرتاح لها . أما الآن فإنني اخترت شخصيات أميل إليها ، وأكتب مع أحد الزملاء برنامجاً تلفزيونياً مؤلفاً من ست حلقات عن (**فكتور هيجو**) وأنا أعمل في جو من السعادة لم أشعر به من قبل وأعيش مع الأب (هيجو) في سرور مطلق . ومن الأفضل أن يعيش الإنسان في مثل هذا الجو من أن يعيش في جو لا يحبه .

●● هل يعني ذلك أنك شعرت بالمودة تجاه (ليتزيا

لقاء مع :



بونابرت) ؟

● كان ذلك أحد كتبي الأولى منذ ثلاثين سنة . وعن طريق هذه الشخصية التاريخية كان القدر العجيب يرسم لي خطاً معيناً . . فأنا المؤرخ الشاب ـ في ذلك الوقت ـ والمأخوذ بسحر هذه الشخصية التاريخية . . كان ذلك نوعاً من الاستغراق ، **وعندما يبلغ المؤرخ مرحلة الاستغراق في الموضوع سواء أكان ذلك شخصية أو موضوعاً فإنه يحاول أن يشرح وأن يوضح وأن يفهم .**

●● هل يمكن للمؤرخ أن يكتب التاريخ بشكل جيد إذا كان متعاطفاً مع الموضوع الذي يكتبه ؟

● نعم ، بشرط أن لا تعميه العاطفة عن رؤية الحقيقة .

بين هيجو . . ونابليون

●● عندما تكتب عن شخصية تاريخية أليس في ذلك بالنسبة لك نوعاً مختلفاً من الحياة التي تحياها ؟

● نعم ، وأعود إلى (فكتور هيجو) فأنا منذ شهرين أعيش تماماً كما كان يعيش (هيجو) .

●● إذن أنت الأب (هيجو) ؟!

● لست هو مع الأسف ! وأود ذلك من كل قلبي ، إلا أن لي حياة ثانية هي غير حياته .

●● من خلال حياتك كمؤرخ هل لاحظت أن موضوعاً تاريخياً كان في حكم المؤكد بالنسبة لك منذ عشرين سنة وبدأت الآن تعتبره مشكوكاً فيه أو غير حقيقي ؟

● نعم بكل تأكيد . إن التاريخ يزداد غنى بالمعلومات الجديدة في كل يوم ، ويجب علينا أن لا ننسى التطور الشخصي للمؤرخ نفسه ، فالإنسان يتغير بعد مرور ثلاثين سنة ، مثلاً تغيرت نظرتي كثيراً إلى (نابوليون) فقد كنت منذ ثلاثين سنة « نابوليونياً » زيادة عن اللزوم وأنا الآن لست كذلك .

●● ما السبب في ذلك ؟

● ما كان يسرني في (نابوليون) منذ ثلاثين سنة ، أجده الآن أقل إمتاعاً . وأعتقد أن أي شاب في العشرين يحاول أن يتقمص شخصية عظيمة يعجب بها . فالمركز الكبير الذي احتله (نابوليون) أدهشني ، وجعلني أغض النظر عن أخطائه وطموحاته وجبروته وكبحه للحريات العامة . لم أكن أشعر بذلك جيداً عندما كنت شاباً ولكنني الآن أكثر إدراكاً للحقائق .

جوانب من الحياة

●● في مجلسك الخاص ، هل تقص التاريخ على ضيوفك ؟

● ليس كثيراً ، فأنا لست كثير الحديث بل إنني أميل إلى الصمت . وأستطيع أن أقضي الأمسية في الاستماع إلى أصدقائي وأتكلم إذا دعت الحال .

●● هل حاولت أن تكتب القصة أو أن تقرض الشعر ؟

● قصة واحدة مؤلفة من أثنتي عشرة صفحة وكان عمري حينذاك تسع سنوات وكان عنوانها «سر الملك الكبير» . أما الشعر فلم أقرضه ، لكنني أحببت المسرح وكنت أعتقد في صباي أنني سأكون كاتباً أو مؤلفاً دراميا .

الاهتمام بالتاريخ

●● هل يهتم الفرنسيون أكثر من غيرهم بالتاريخ ؟

● نعم بالتأكيد ، فإحصائيات بيع الكتب تثبت ذلك . خذ مثلاً المجلات الشهرية في حقل التاريخ تجد أن عدد النسخ المباعة هي (٦٠٠,٠٠٠) نسخة شهرياً . أما في انجلترا التي لا يقل تاريخها غنىً عن التاريخ الفرنسي لا توجد إلا مجلة تاريخية واحدة وتبيع (٣٠) ألف نسخة في الشهر .

●● هي يعني ذلك أن الإنجليز يفكرون بحاضرهم ومستقبلهم أكثر من ماضيهم بينما يهمل الفرنسيون ما يجري حولهم ويجدون في التاريخ ملاذاً لهم ؟

● إنها المشكلة الكبرى . لقد طرحت هذا السؤال على نفسي فلم أستطع إيجاد الجواب الشافي ، وأنا أعترف بذلك .

●● هل حمل إليك « التاريخ » سعادة ؟

● نعم ، لقد كنت منذ صغري شديد التطفل والفضول إلى المعرفة ، فأنا أحب أن أعرف كل شيء ، حتى الأشياء التي لا تخصني في مهنتي كمؤرخ ، لذلك فأنا أهتم بشخصيات تاريخية مختلفة وبفترات متباينة . وربما انتقدني البعض بأنني غير متخصص في فترة زمنية وبأنني لا أغوص إلى عمق الأشياء لأنني أهتم بأشياء كثيرة في وقت واحد ، وأنا أجيبهم أنه بالرغم من ذلك فإنني أحاول النفاذ إلى أعماق الأشياء ، وبما أنني اخترت التاريخ فعلي أن أرضي فضولي . وأنا أستطيع أن أغير الفترة أو الموضوع في أية لحظة ، وبما أنني أمضي الشهور والسنين مع شخصيات تاريخية مختلفة فإنني أجدد نفسي في كل مرة . . وكلي أمل في أن ترافقني هذه السعادة وهذا الفضول العلمي حتى النهاية .

السفينة المهجورة

شعر: إلياس قنصل

على المرفأ المهجور تطفو كأنها
نفايةُ أسلاب بقين بلا قدْرِ
ترنح صاريها يساراً ويمنةً
كما فعل الريَّان من أكؤس الخمر
ومزّقت الأرياحُ بالي شراعها
وكانت تؤدي ما يُصدّر من أمْر
ومرساتها معوجّة حلقاتها
ودفّتُها فيها التواءٌ من الكسر
وأخشابها معطوبةٌ ودهانها
تساقط عنها في فتاتٍ من القشْر
ومن صدأ الفولاذ أمست أداتها
مجمّدةً في مستقر من الأسْر
إلى الشطِ شدّتها حبال عتيقة
تهدّدها الأمطار والشمس بالبتْرِ
ولو أفلتتْ من غلّها ما تمكنتْ
من السير شبراً أو أقلّ من الشبْرِ
تغيّر شكل الماء حولَ سياجها
فأصبح ذا لونٍ من الأسْن مخضر
يمرّ بها قوم فيحتقرونها
بإيغالهم في الضحك والهزل والسخْر
ويهوي عليها الآخرون بعذلهم
وفي قولهم نوع من الذم والزجْر
وقلّ الأولى يرثون للحالة التي
تعاني أساها في مؤخرة العمْر
تناسوا من العهد الذي فاتَ، جهدَها
وما كان من جدواه في اليمّ والبرِ
أقلّت غلال الأرض من موسم الغنى
إلى حيث تمتدّ الجدوبةُ في القفْر
وجاءت بمحصول الصحارى لموطن
تحوله كفُ الحديد إلى تبْرِ
فما تركتْ ناساً بدون معونةٍ
ولا فضلت قطراً غنياً على قطْر

* * *

عفا الله عمّن يدرس اليومَ حالَها
ولا يجتليها بالثناء وبالشكر
أيغفل ماضيها وملءُ شعابه
مظاهرُ للإجلال والحمد والفخر ؟
زمان تهب العاصفات غضوبة
فتحسبها لعباً من المدّ والجزْر
تحاول أن تجتاحها لتذلّها
وما تصنع الأنسام بالطود والصخْر
ويهدر صوت الرعد والموج حولها
فما تختفي بالموج والرعد والهدْرِ
ويعنو لما تبغي ويعلن عجزه
ويسلس مطوياً على الغيظ والقهر
وربّانها في حجرة الأمر واقفٌ
يعالج غيظ النوء منشرح الصدْر
ويلقي على الإعصار نظرة واثقٍ
تعالت مآتيه عن الخوف والذعْر

* * *

ودارت على الدنيا تزور شطوطَها
وتختال زهواً في المرافىء والجزْر
وها هي فيما يشبه اللحد كومة
تواصلها الأمواه بالأخذ في الثأر
لئن رضيتْ عن أمرها فرضاؤها
به ذكريات العزم والمجد والنصْر
فكم حملتْ في سالف العهد لهفةً
تخالط فيها الشوق بالوصل والهجْر
وكم دمعةٍ عند الوداع سخيّةٍ
جفّفها اللقيا بابتسامة الزهْر
وكم غصةٍ تدمي الفؤاد تحوّلتْ
إلى قُبلاتٍ من حنانٍ ومن بشْر

* * *

أسرّح فيك الطرف والقلب والحجى
فأدرك تاريخاً من الكد والسرّ
نهايتك العسراء مثل نهايتي
وحظك حظي في نداك وفي شعري
قبلتُ بحالي يا سفينةُ صابراً
وهل يسع العاني الوحيد سوى الصبْر ؟
وما أنا بالمخذول إن دلّ ناجحٌ
ولكني المغضي عن الواقع المرّ
سيُنسى كفاحي في الحياة وسؤددي
وتجبهني الأيام بالويل والشرّ
وتحطم أمواجُ الزمان سفينتي
وتعدو رياحُ النسي حتى على قبري

رحلة في


MAX FREIHERR VON OPPENHEIM

DIE BEDUINEN

كتاب



تأليف :

البارون ماكس فون اوپنهايم

بالاشتراك مع :

إيريش برونليش

و

فرنر كاسل

بقلم :

د : مصطفى ماهر

★ في عام ١٩٥٢م ، أصدر عالم الاستشراق المعروف الأستاذ الدكتور فرنر كاسكل الجزءين اللذين يتألف منهما المجلد الثالث والأخير من كتاب البدو الذي بدأه أستاذه العلامة البارون الأستاذ الدكتور ماكس فون أوبنهايم ، ونشر بنفسه الجزء الأول منه في عام ١٩٣٩م . وبهذا اكتمل كتاب قال عنه النقاد إنه نموذج عظيم من نماذج الدراسات العلمية الألمانية الواسعة الرصينة ، وإنه يعتبر سجلاً يتناول التطور التاريخي للقبائل البدوية الحالية ويضم التفصيلات المستفيضة عن أحوالها الحاضرة (انظر مثلاً مقال جورج رينتس «ملاحظات على كتاب البدو لأوبنهايم» المنشور بالانجليزية في مجلة أورينس ، مجلة الجمعية الدولية لبحوث الشرق ، ليدن ، المجلد العاشر عام ١٩٥٧م) . ومن المفيد أن نشير في هذا المقام إلى أعمال الباحث الانجليزي ج . ج . لوريمر (التي طبعت في كلكتا ١٩٠٨ ـ ١٩١٥م) عن بدو عمان وقلب الجزيرة العربية ، وهي أعمال ظلت الحكومة البريطانية تعتبرها من الوثائق السرية وقتاً طويلاً ، ومن المفيد أيضاً أن نشير إلى كتاب «روضة الأفكار» لابن غنام الذي طبعته المطبعة المصطفوية في بمباي ، ثم مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة (١٩٤٩م) وكتاب «عنوان المجد» لابن بشر الذي طبعته المطبعة السلفية بمكة المكرمة في عام ١٩٣٠م ★

البدو

من هو البارون ماكس فون أوبنهايم ؟

في عام ١٩٥١ م ، نشر **الأستاذ الدكتور فرنر كاسكل** في **مجلة الجمعية الشرقية الألمانية** مقالا من ست صفحات يحيي فيه ذكرى أستاذه ، أشار فيه إلى بعض الجوانب الهامة من حياته وفكره ونوه بمشروعاته العلمية وجهوده . ولد **البارون ماكس فون أوبنهايم** في عام ١٨٦٠ م ، في مدينة كولونيا لأسرة غنية ، فقد كان أبوه من رجال المال المرموقين . وكان المفروض أن يسلك كأبناء طبقته الطريق الممهدة التي عَبّدها له أبوه ، ولكنه وجد في نفسه دافعاً قوياً يدفعه إلى الترحال ، فقام في عام ١٨٨٦ م برحلة إلى **المغرب العربي** ، يقول عنها **كاسكل** إنها ثبتت نظره على بلدان العالم الإسلامي تثبيتاً لا رجعة فيه . وعرف **ماكس فون أوبنهايم** منذ ذلك الحين بقدرة فريدة على فهم الشرق والشرقيين قوامها الحب والتقدير والحكم الصادق . وإذا كان قد دخل خدمة الحكومة ، وبدا عليه الاستقرار ، إلا أنه سرعان ما قرر أن يضرب بسهم في عالم الاكتشافات وارتياد الأماكن المجهولة ففكر في مرافقة المكتشف المعروف **جرهارد رولفس** في رحلته من **طرابلس** عبر الصحراء إلى **الكاميرون** ، ولكن المشروع لم يخرج إلى النور لأسباب عديدة . وأياً كان الأمر فقد أفاد **ماكس فون أوبنهايم** من مرحلة الاستعداد العلمي إفادة كبيرة ، يشهد عليها كتابه «**رابح ومنطقة تشاد**» الذي طبعه في عام ١٩٠٢ م ، وتشهد عليها إقامته في **القاهرة** بين أواخر عام ١٨٩٢ م ، ومطلع عام ١٨٩٣ م . ولقد ظلت هذه الفترة التي قضاها في القاهرة بين أولاد البلد عالقة في مخيلته ، يعتبرها أجمل فترات حياته ويتمنى أن تعود مرة أخرى ، كما يتمنى الإنسان أن يعود إليه **الحلم الجميل** .

وكأنما دخلت الرحلات في حياة **ماكس فون أوبنهايم** جزءاً منها ، فلم يعد ينتهي من رحلة إلا ليبدأ رحلة أخرى ، ويسجل شيئاً مكتوباً عنها . فها هو ذا يقوم في عام ١٨٩٣ م ، برحلة من **البحر المتوسط** إلى **الخليج العربي** ، ثم يفكر في العام التالي في لقاء **ابن رشيد** ، ويذهب بنفسه في عام ١٨٩٥ م ، لمقابلة **السلطان عبد الحميد** والاستئذان منه في استكمال الرحلة من البحر المتوسط إلى الخليج العربي على النحو الذي تصوره . ودخل **ماكس فون أوبنهايم** السلك الدبلوماسي في عام ١٨٩٦ م ، وتولى منصبه في القاهرة ، وما مضت سنوات قلائل حتى قام برحلة جديدة (في يونيو/حزيران ١٨٩٩ م) وتحركت به القافلة من **دمشق** إلى **ديار بكر** ثم **قونيه** . وخرج من هذه الرحلة بمادة ضخمة منوعة من الكشوف وما اتصل بها من دراسات وبحوث ، ويكفي أن نذكر أنه **أول من عثر على نقش سرياني** ، ثم زار **الجزائر** في عام ١٩٠٥ م . وأخيراً قر رأيه على أن يقتصر على العمل العلمي ، فترك السلك الدبلوماسي في عام ١٩٠٩ م ، بعد أن وصل إلى منصب وزير مقيم ، وبدأ تنفيذ رحلته الكشفية الكبرى التي كان قد بدأ يخطط لها منذ نحو عشرة أعوام : الرحلة إلى **تل حلف** (وهو موقع أثري على الحدود بين سوريا والعراق) . ونجحت الرحلة نجاحاً فائقاً وحققت أهدافها في عامين ونصف عام (١٩١١ ـ ١٩١٣ م) وأخرجت إلى النور الكثير من **الآثار الحيثية** القيمة مما حفز البارون على تأسيس «**هيئة البارون ماكس فون أوبنهايم**» و«**متحف تل حلف**» . واستمر **البارون فون أوبنهايم** يجري البحوث في هذا الموقع الذي ارتبط باسمه ، لا تفتر عزيمته ولا يضعف اهتمامه .

وكان البارون ماكس فون أوبنهايم يجمع في الوقت نفسه ، وفي أثناء رحلاته واشتغاله بكشوفه بيانات عن القبائل البدوية وغير البدوية في سوريا وما بين النهرين **وشمال الجزيرة العربية** ووسطها ، فلما قامت الحرب العالمية الأولى واضطر إلى البقاء في بيته عكف على إخراج هذه المادة في كتاب بعنوان «**القبائل البدوية وغير البدوية في سوريا وما بين النهرين وشمال الجزيرة العربية ووسطها**» ، واهتم كذلك بكتاب آخر عن «**تطور أحوال السلطة في باطن الجزيرة العربية وشمالها**» .

ويبدو أن البارون وجد أن مجالات البحث الكثيرة تفوق طاقة الباحث



الفرد ، فوكل إلى **هوبرت شميت** مهمة العمل في توصيف ودراسة المكتشفات الصغيرة ، ووكل إلى **إيريش بروينليش وفرنر كاسكل** مهمة استكمال كتاب البدو . ولقد عمّر الباحث الألماني حتى بلغ السادسة والثمانين ، لكنه لم يكف عن النشاط ، حتى أنه قام وهو في التاسعة والسبعين من عمره ـ في عام ١٩٣٩ م ـ برحلة إلى **الشرق** ، وسعد بتمضية بضعة أسابيع في خيام **قبيلة شمر** .

كتاب البدو

كتاب « **البدو** » إذن كتاب بدأه **البارون ماكس فون أوبنهايم** ، وأعد جل مادته ، وشارك فيه اثنان من تلاميذه هما **إيريش بروينليش وفرنر كاسكل** . صدر المجلد الأول في عام ١٩٣٩ م ، في مدينة **لايبتسج** ، ويحمل تحت العنوان الرئيسي عنواناً إضافياً هو « **القبائل البدوية في بلاد ما بين النهرين وفي سوريا** » ، وعدد صفحاته ٣٨٧ صفحة من القطع الكبير ، وبه خرائط ولوحات تزيد على العشرين . يقول المؤلف في مقدمته عنه إنه ثمرة دراسات وبحوث خاصة ميدانية استمرت أربعين عاماً ، وإنه أحاط بكل ما كتب ونشر في هذا الموضوع ، وإنه يقدم للقارىء كل ما يستحق المعرفة من معلومات شاملة عن العرب الرحّل أو أشباه الرحّل ، وعن القبائل البدوية العربية وغير العربية في المنطقة الممتدة من الهضبة الآسيوية الصغيرة إلى **المملكة العربية السعودية** . ويرى أن السائحين الأوروبيين والموظفين والضباط العاملين في الشرق سيجدون في الكتاب إجابة على كل الأسئلة التي تخطر ببالهم عن أبناء الصحراء . **ويصف البدو بأنهم أهل أصالة وعزة وحرية وصلابة وجلد وكرم وحرب .**

أما المجلدات التي كان ينوي إخراجها فيعددها على النحو التالي :

- **المجلد الأول** : القبائل البدوية في بلاد ما بين النهرين وسوريا .
- **المجلد الثاني** : القبائل البدوية في فلسطين وشرق الأردن وسيناء والحجاز .
- **المجلد الثالث** : القبائل البدوية في الجزيرة العربية والعراق وفارس .
- **المجلد الرابع** : القبائل البدوية غير الأصيلة والقبائل غير العربية .
- **المجلد الخامس** : حضارة البدو وحياتهم .

وينقسم **المجلد الأول** إلى قسمين كبيرين : بلاد ما بين النهرين وسوريا . ويسبق الحديث عن القبائل في هذه المناطق تمهيد مسهب يتناول الفكرة في الكتاب ، وكيف نشأ وتطور ، ثم يتحدث عن كيان البدو . أما عن علاقته الشخصية بالبدو فيقول عنها : « لقد كنت معروفاً في الصحراء كلها من سوريا ومناطق ما بين النهرين إلى أقصى العراق . وكنت قد عقدت بمضي الوقت علاقات شخصية مع العديد من مشايخ المنطقة . . . وكثيراً ما كان كبار شيوخ البدو يزورونني ويكلفون أنفسهم من أجل زيارتي مشاق أسفار قد تطول عدة أيام ، فيتكرر المشهد الجميل أمام مخيمنا : كان الشيخ الجليل يأتي في حاشيته ، فأذهب لاستقباله ومعي بعض رجالي . فينزل الضيوف صامتين من فوق خيولهم ، ويزرعون الرماح الطوال في الأرض ، ويتركون الخيول وشأنها ، ونتبادل التحية بعناق وقبلتين على الخدين ، ثم أمسك بيد ضيفي الشيخ وأصطحبه إلى الساحة المكشوفة الفسيحة أمام خيمتي أو مقر البعثة ، ونعد الطعام على طريقة البدو ، فنقدم تلالا من الأرز في قصاع ضخمة مبيّضة بالقصدير ، ونضع من فوق الأرز قطعاً من لحم الضأن ، وكنت بطبيعة الحال آكل معهم » .

ويذكر **ماكس فون أوبنهايم** بعض من استعان بهم من العرب : اللبناني **إلياس معلوف** مثلاً الذي كان يعمل مدرساً في مدرسة عربية بلبنان والذي اتخذه ماكس فون أوبنهايم سكرتيراً له في الفترة بين ١٨٩٩ م و ١٩٢٧ م . ويذكر كذلك **طانيوس معلوف** ابن عم إلياس الذي عمل خواصاً ووكيلاً وحارساً . أما الشخصيات البارزة التي أمدته بمعلومات مفيدة عن البدو فيذكر المؤلف منها الشيخ **عجيل بن عبد العزيز الياور ، ومشعل فارس باشا ووالده ، ومحمد بن بسام** .

ويتبع المؤلف في دراسته للبدو التقسيم الجغرافي كنقطة انطلاق ، ثم يبحث في الوضع الحالي للقبائل ، وأخيراً يتتبع التسلسل التاريخي .

أما الفصل الخاص بكيان البدو فنقرأ فيه في البداية بعض التعريفات . البدو الأول رُحّل ، يرعون الإبل ، ويتنقلون بها من موضع للماء والكلأ إلى موضع آخر عندما يجدب وتنضب مياهه . والبدو سكان الصحراء ، وليست الصحراء كلها رملية ، فهناك صحارى صخرية ، أرضها صلبة تنبت فيها في **الربيع** الحشائش والأعشاب المزهرة . وعلى هذه الحشائش والأعشاب القليلة التي تجف بمرور الوقت تعيش قطعان الحيوان . أما المياه فلها مواضع متفرقة قد تباعد بينها مسافات تقدر بالساعات ، وقد تزيد فتقدر بالأيام . وعندما تصعب الحياة في الصحراء ، وهو ما يحدث في المناطق الشمالية من الجزيرة العربية ، يرحل البدو إلى

مشارف الأرض الزراعية، فيضربون فيها خيامهم ويقيمون بين ثلاثة وخمسة أشهر. والبدو يعيشون في قبائل، وقبائل البدو تعشق الصحراء والهضاب الضخمة في قلب بلدان ما بين النهرين وسوريا والجزيرة العربية، ولها مراعيها الصيفية والشتوية المحددة. ويتسبب التجول في حدوث احتكاكات وصدامات وهجمات بين القبائل المختلفة.

هناك البدو الرُّحَّل، وهناك على حافة الصحراء عدد من القبائل، كانت فيما مضى قبائل كلها من الرحّل، ثم زحزحتها القبائل الأقوى تدريجياً من مراعيها القديمة. ومنها قبائل كفت تماماً عن الرعي في قلب الصحراء الكبيرة، وتحولت إلى رعي الأغنام، وبدأت تمارس الزراعة على مشارف الأراضي الزراعية. وقد يعيش جزء من القبيلة دائماً في أكواخ أو خيام في الموطن الجديد، ويعيش جزء آخر من القبيلة نفسها عيشة الترحل، وقد تبقى القبيلة كلها في مقامها في أثناء فترة الحرث والزرع والحصاد، ثم تعيش حياة التجوال بقية العام دون أن تتوغل في الصحراء كما يفعل البدو الأصلاء».

كذلك نقرأ عن أصل البدو:

«والجزيرة العربية هي مهد البدو، ومنها انطلقت حركات التجوال إلى الشمال وإلى الشمال الشرقي حتى داخل بلاد فارس. ولكن هناك في الشمال الإفريقي كله حتى **مراكش** بدو ينحدرون في المقام الأول عن قبيلتين هما **بنو هلال وسليم**، خرجتا من الجزيرة العربية في القرن الحادي عشر الميلادي متجهتين إلى **مصر** ثم غرباً إلى **ليبيا وتونس والجزائر** وجزء من **المغرب**، وامتزجتا إلى حد كبير أو صغير بمرور الزمن بمن قهرتا من العشائر. على أننا لا نزال نجد تراثاً بدوياً أصيلًا إلى حد كبير لدى كل القبائل العربية البدوية في شمالي إفريقيا تقريباً، ولا يزال بعض هذه القبائل يعيش في خيام، ويجوب الصحراء بما لديه من قطعان إبل وإن غلب على هؤلاء البدو التحول إلى رعاية الغنم وكثر فيهم من آثر الاستقرار...».

ويصف **ماكس فون أوبنهايم** تكوين القبيلة فيقول: **إن القبيلة الكبيرة تنقسم إلى قبائل فرعية وإن القبيلة الفرعية تنقسم إلى قبائل أصغر، ولكل قبيلة كبرت أو صغرت شيخ. ولكل قبيلة علامة تدل على الملكية هي الوسم، وتطبع هذه العلامة بطريقة الكي على الحيوانات وبخاصة على الجمال**، ولكل قبيلة عبارة خاصة كالشعار تطلقها، وتنادي بها عندما ينشب صراع بينها وبين غيرها من القبائل.

أما الدوافع التي تسبب في حركات التحول الكبيرة بين البدو والتي صنعت تاريخ البدو العرب، فهي دوافع متنوعة، منها دوافع **طبيعية**، ومنها دوافع **سياسية**، ومنها دوافع **دينية**. ويغلب على تحركات البدو الاتجاه إلى الشمال نحو المناخ الأفضل والمرعى الأوفر. ولقد شهد البدو أهم حركة بينهم على أثر الإسلام، كذلك تسبب قيام دولة **القرامطة** في القرن العاشر الميلادي إلى الشرق من الجزيرة العربية في حركة تجوال كبيرة. أما العصر الحديث فقد تركت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر بصماتها على البدو، حتى أسس **آل سعود** دولتهم التي انتظم فيها بدو الجزيرة العربية كلها، على الرغم من أنها لم تكن دولة خالصة للبدو دون سواهم.

ويتحدث المؤلف عن محاولات بعض قبائل البدو تكوين دول لها، وقد حدث هذا عند اضمحلال سلطة **الدولة العباسية**، وقبل غزو **الأتراك السلاجقة** لسوريا والعراق، وهكذا تكونت دولة بدوية في حلب، وأخرى في **الموصل**. وحاولت قبائل **المللي الكردية** في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أن تقيم لها دولة في داخل الدولة العثمانية، وتزعم هذه المحاولة **إبراهيم باشا** ـ الذي عرفه الكاتب شخصياً ـ وانتهت بموته في عام ١٩٠٩م. ثم يتحدث عن اتجاه الدول التي استقلت عن الدولة العثمانية وإلى تشجيع البدو على ترك حياة البداوة والتجول إلى الاستقرار، وقد بدأت مصر هذه السياسة منذ أيام **محمد علي**، وتحول تسعة أعشار البدو إلى الاستقرار. أما البلاد الأخرى، مثل سوريا والعراق، فما زال البدو متمسكين بالحياة البدوية بنسب متفاوتة، وإذا كانت طرق السيارات والسكك الحديدية قد انتشرت في تلك المناطق، إلا أن الجمل لا يزال وسيلة النقل والانتقال وسط الصحراء.

ونقرأ في فصل خاص بحياة البدو أن البدو يعيشون اليوم بصفة عامة على النحو الذي وصفه شعراء ومؤرخو العرب القدماء. **وكما أن الصحراء بقيت على حالها، كذلك بقي البدو متمسكين بخصالهم، فهم يتميزون بالسيادة والأصالة والفطرية والخشونة والصولة. وهم معتدون بحريتهم اعتداداً كبيراً، كلفون باستقلالهم كل الكلف**. ولهذا فهم ينفرون من المحاولات الساعية إلى نقلهم إلى الحياة المستقرة والعمل المنظم. ويفخر البدو بالأصالة، فيشيد الواحد منهم ـ **كشعراء قبل الإسلام** ـ بعنصره الشريف، لا من ناحية أبيه فحسب، بل من ناحية أمه كذلك. والبدوي الأصيل لا يتزوج امرأة من قبيلة وضيعة، وقد يتزوج شيخ القبيلة العظيمة امرأة من قبيلة قليلة العدد، ضعيفة السطوة، لا لشيء إلا لأصالتها.

ويرتبط بالتمسك بالأصالة إحساس البدوي بالإنتماء القوي إلى أسرته وعشيرته وقبيلته. ويتعلم البدوي منذ نعومة أظفاره ركوب الخيل، وفنون النزال، والصلابة والبأس. ولا يزال الثأر شريعة لها قدسيتها، فإذا سقط قتيل، وجب قتل آخر لقاءه، والثأر واجب تلتزم به القبيلة وبخاصة إذا كان القتيل شيخ القبيلة. وقد تتسع دائرة الثأر فتتحول إلى حروب، وقد يهلك في الثأر أناس كثيرين فتفنى القبيلة أو تكاد. والدية معروفة، ولكن البدو لا يقبلون بها إلا كارهين. على أن النتائج الرهيبة التي تنجم عن الثأر تعلم البدو الحرص وتحاشي سفك الدماء.

ويتمسك البدو بالإنسانية والشهامة، حتى في حالات الغزو، فهم في هذه الحالة لا يقتلون، ولا يعتدون على النساء والضعفاء، بل يقدمون إليهم الطعام والشراب والركائب، ويدلونهم على الطريق إلى أقرب قرية آمنة.

والبدوي كريم معطاء حتى مع عدوه . والبدوي يجير حتى العدو إذا استجاره . وشيخ القبيلة إذا تلق هدية لم يجعلها لنفسه خالصة ، بل وزعها على رهطه ومن حوله . ويتولى القضاء في القبيلة شيخها أو قاضيها ، وعلى من يصدر ضده حكم أن ينضوي للحكم أو أن يترك القبيلة ، ويلتمس له قبيلة أخرى يلوذ بها . **وأخشى ما يخشاه البدوي رأي الجماعة ، أو العرف القائم على التضامن الكامل . فإذا ما ارتكب البدوي شيئاً لا يستقيم مع العرف ، فقد سمعته في قبيلته ، وذلك أسوأ ما يمكن أن يجري عليه .**

ورئيس القبيلة هو الشيخ ، فإذا مات خلفه ابنه . والشيخ هو الذي يمثل قبيلته ، وهو الذي يستقبل الأجانب ، وهو الذي يتلقى « **الخوه** » وهي مال يدفعه من يعيشون على مشارف الصحراء من فلاحين وأنصاف البدو لقاء حمايتهم من السلب والنهب ، كذلك يحصل الشيخ على نصيب كبير من الغنائم . والشيخ يعمل على خير قبيلته ، فهو الذي يوزع المرعى ، وهو الذي يقضي في **الحرب والسلام** ، وفي الأحلاف والهجمات ، وهو الذي يحدد **علاقة القبيلة بالحكومة . والحكومة تلجأ إلى الشيخ في أمور الضرائب أو إذا حدث خروج على القانون .** وينعقد في خيمة الشيخ اجتماع تقليدي يحضره وجهاء القبيلة ، فيحتسي الجميع **القهوة** على النحو المألوف منذ أقدم العصور ، ويجري حديث في الأمور التي تهم القبيلة ، والأمور العامة ، ولكن **الرأي النهائي هو رأي الشيخ** . ويشترط في الشيخ أن يثبت في شبابه شجاعة وجرأة ، ويشترك معه في ذلك أهل بيته ، وكثيراً ما يلقى هؤلاء الموت في ريعان الصبا .

والبدو يفهمون الشعر ويحبونه حباً جماً . والشعراء والمنشدون يتنقلون بين القبائل فينشدون الشعر القديم والملاحم القديمة ويقرضون الشعر تمجيداً للقبيلة وشجاعتها وانتصاراتها ، وإشادة بكرم الشيخ ونَدَاه ، ويحصلون على مكافآت سخية . والبدو يلهجون باسم الله دائماً ، وإن كنا نجد في المواضع التي لم تصل إليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من لا يعرفون كيف تؤدى الصلاة ، وقد نجد بقايا للخرافات القديمة التي بقيت من عصور الجاهلية ، وميلاً للتعصب الديني . **ولكن البدو ، مثلهم في ذلك مثل المسلمين بعامة ، متسامحون مع أهل الأديان الأخرى .**

ويمتاز البدو بالذكاء وبالقدرة على التعلم . ولهم ذاكرة طيبة في حفظ الأسماء حتى أسماء الأماكن النائية ، ولهم قدرة ممتازة على **معرفة الاتجاهات** ، وهي قدرة ترتبط بلون الحياة التي يحيونها ، **والنساء يغزلن وينسجن الأقمشة الخشنة .** ويشتري البدو ما يحتاجون إليه من أدوات منزلية ، وملابس وحلي وأطعمة . والتجار يذهبون إليهم في أعماق الصحراء ويبيعونهم الحبوب والأرز والبن والسكر والطباق ، ويشترون منهم الحيوان والصوف والسمن . **ولا يبيع البدوي فرسه إلا كارهاً ، فهي رأسماله ، وهي التي تلد المهر** ، وهي التي تنطلق هادئة أو مسرعة عند النزال . **والبدوي يحرص على أصالة الخيل ، والخيول الانجليزية الأصيلة تنحدر من أصل عربي بدوي .**

والبدوي لا يحب الترف ، ولا يسعى إليه ، ويرى أن العمل دون قَدْرِه اللهم إلا ركوب الخيل والنزال ، وضرب الخيام والتجوال والرعي . والمرأة البدوية تقوم بأعمال البيت كلها وهي التي تجلب الماء ، وهو عمل شاق عسير ، والمرأة لها حرمتها ، وهي في كثير من القبائل لا تلبس الحجاب . والشيوخ يتزوجون بأكثر من واحدة لأنهم يحرصون على أن يكون لهم أبناء كثيرون .

ويدخل المؤلف في **المجلد الأول** في تفصيلات القبائل : **عنزة وشمر وطي وجحيش وزبيد وآل أبو شعبان والعقيدات وقيس والبوعساف وعدوان والبقارة وحرب والشرابين والنعيم والحديديين والهنادي والموالي وبني خالد والفواعرة والعمور والمهارشة وعرب الجاه وعرب السلوط وعرب الجبل وعرب الصفاح وفضل والسرجية .**

المجلد الثاني

ويتناول **المجلد الثاني** ـ المطبوع في عام ١٩٤٣ م ـ القبائل البدوية في **فلسطين وشرق الأردن وسيناء والحجاز** . ويبدأ المؤلف بفصل عام ، ثم يدخل في تفصيلات القبائل مقسماً حديثه إلى أقسام على أساس جغرافي ، فهناك **قسم خاص بفلسطين** وآخر يتناول **قبائل شرق الأردن** وثالث عن **قبائل سيناء** ورابع عن **قبائل الحجاز** . ويقوم كل قسم على أساس تخطيط واضح ثابت يمهد للموضوع ككل ، ثم يعالج كل قبيلة على حدة بدراسة منوعة الجوانب ، ثم يعرض لوحة مقسمة إلى خانات تضم أسماء القبائل الفرعية وشيوخها وأماكنها وعددها ، وينتهي إلى ملحوظات .

قبائل فلسطين

في القسم الخاص بفلسطين مثلاً يبدأ المؤلف بدراسة جغرافية وتاريخية تفسر أوضاع البدو ، وهو يرى أن البدو لم يلعبوا دوراً رئيسياً في تاريخ فلسطين لأن أهل الحضر كانت لهم الغلبة بما مارسوه من زراعة وتجارة . **وفلسطين معبر بين آسيا وإفريقيا ، ولهذا اشتهرت في العصور القديمة طرقها ، الطريق القادمة من دمشق إلى جسر بنات يعقوب والأردن ويسريل مارة بالخانات التي ترجع إلى العصر المملوكي : جب يوسف ، منية ، وخان التجار** ، وتعود هذه الطريق إلى الجبل غير بعيد عن لجيون ، ثم تصل بمحاذاة الساحل إلى **قلنسوة واللد والرملة وغزة .**

وهناك الطريق الموصلة إلى **القدس** عن طريق **نابلس** ، وهناك في الجنوب مدينة **بير سبع** ملتقى الطرقات . عبر فلسطين كانت تمر الطرق الموصلة إلى سيناء وإلى الجزيرة العربية . ويرى المؤلف أن البدو كانوا قد نزحوا في العصر **الهلليني والبيزنطي** إلى الشرق أو استقروا في المدن وتحولوا عن حال البداوة إلى الحضر . وكان العرب ، سواء منهم

البدو أو غير البدو ، في ربوع فلسطين منذ العصور القديمة ، قبل الإسلام ، ومنهم من دخل الإسلام قبل الفتح الإسلامي لفلسطين وما حولها ، مثل الصحابي **تميم الداري** من قبيلة لخم . ويصل المؤلف في استعراضه التاريخي حتى ثلاثينات القرن العشرين والتغلغل الصهيوني وحركة التحرير الفلسطينية إذ ذاك .

أما قبائل فلسطين فيذكر المؤلف العديد منها ، القبائل الصغيرة والكبيرة ، وأماكن تجمعها . من القبائل الكبيرة مثلاً : **هيب والشهالنة والسمكية والصبيح والهنادي والبشاتوة والصقر والمساعيد والنصيرات والنفيعات وعرب الأمير الحارثي والكشوك والسوالمة والجرامنة والسوطرية والسواحرة والعبيدية والرشايدة والتعامرة والجهالين والكعابنة والجبارات والحناجرة والملالحة والترابين والتياها والعزازمة والظلام والسعيديين .**

قبائل سيناء

ونطالع على النسق نفسه القسم الخاص بسيناء : معلومات جغرافية وتاريخية يتبعها استعراض للقبائل التي يمتد انتشارها إلى خارج سيناء أحياناً ، إلى الشرقية والقليوبية مثلاً ، أو تكون قد انحدرت من مناطق أخرى ، مثل قبيلة **أولاد علي** التي أتت من الغرب ، والتي نجدها في الصحراء الغربية المصرية والصحراء الليبية . يذكر المؤلف قبائل سيناء على النحو التالي : **عربان برقطبا** (الدواغرة والبياضين والمساعنة والسعديين والأخارسة والقطاوية وأولاد علي وبلي البررة والعقايلة والعيايدة والمساعيد) ، **والسواركة** (العردات والدهيمات والجريرات والمحافيظ والفلافلة والخناصرة) ، **والرميلات** (البسوم والشرطيين والعوابدة والسننة والعجالين) ، **والترابين** (الحررة والحسابلة والشبيتات) ، **والتياها** (الصقيرات والبنيات وأبو جرة والدهيني وأبو خليفة والعنازين والشتيات والقديرات والبريكات) ، **والأحيوات** (النجمات والخناطلة والكساسبة والسلاميين والفريقانيين والمطور والكرادمة والحمدات والصفايحة والخواطوة والخلايفة والبدارة) ، **والحويطات** (السريعيين والغناميين والشوامين والطقيقات والسلالمة والعبيات والجرافين والدبور) ، **والطورة** (الصوالحة والعوارمة والقوانسة والرديسات وأولاد شاهين والنواصرة والمحاسنة وأولاد سعيد والعوامرة والزهيرات وأولاد مسلم وأولاد سيف والرزنة والقرارشة والنصيرات وأولاد تيهي وبني سليمان وبني واصل وأولاد سلمى والتليلات والحمايدة والخريسات والحماضة والسواعدة ومزينة والعويصات والعلاونة والشذاذنة وأولاد علي والعزايزة) ، **والجبالية** (الحمايدة والسلايمة والوهيبات وأولاد جندي) .

قبائل الأردن

ويهتم **البارون ماكس فون أوبنهايم** وزميلاه في الفصل الخاص **بالأردن** ـ والمقصود منطقة **شرق نهر الأردن جغرافياً** ـ بالتطور التاريخي وبخاصة في فترة **الحرب العالمية الأولى** وما سبقها من صراع مع الأتراك . ونقرأ أن نسبة البدو مرتفعة ارتفاعاً كبيراً في هذه المنطقة سواء البدو الذين يعيشون على حالة البداوة الكاملة أو على حالة بين البداوة الكاملة أو على حالة بين البداوة والتحضر أو على حالة الاستقرار الحضري . ونأتي بعد ذلك إلى دراسة تفصيلية للقبائل وشيوخها وأماكنها وتقدير لأعدادها ، فنقرأ عن قبائل **العيسى والسرحان وبني خالد وصخور الغور والغزاوية والمشالخة والبلاونة وبني حسن وعدوان وعباد وبني صخر والسلايطة والحمايدة والعمرو والكرك وبني عطية والحجايا والشوبك واللياثنة والسعيديين ومعان والحويطات .**

قبائل الحجاز

ويختص القسم السادس من المجلد الثاني **بالحجاز** . ويبدأ بوصف جغرافي للمنطقة ، ويتحدث مثلاً عن طرق التجارة والحج القديمة ، فيذكر الطريق الشامية التي تمر ببطن الغول جنوبي **معان** ، وتصل إلى **تبوك** ثم إلى المدينة حول العلا ، والطريق المصرية التي تمر **بالعقبة وأيلة** ، وتصل إلى **حقل** ، فتبتعد عن الخليج ثم تقترب من البحر الأحمر . ويشير إلى الطرق المؤدية إلى مكة : **درب السلطان ودرب الفرعي ودرب الغير** . أما الطرق المؤدية إلى **اليمن** فيعد المؤلف طريقين : طريق الساحل وطريق وادي يمنيه عند الطائف . ويختم عرضه الجغرافي بحديث عن الموانيء .

ويبدأ المؤلف دراسته التاريخية بالعصور القديمة التي كانت فيها عرب الجنوب تخترق الجزيرة العربية بقوافلها حاملة بضائع **حضرموت والهند** إلى موانيء البحر المتوسط ، وكانت تتخذ لها مراكز تجارية من أهمها ديدان **(العلا حالياً)** . وينتقل بعد ذلك إلى **تأثير الثقافة الآرامية والنبطية** ، وإلى الوقت الذي أدخلت فيه الدولة الرومانية الأجزاء الشمالية من الدولة النبطية في ملكها (مطلع القرن الثاني الميلادي) ، وقامت فيه **دولة ثمود** التي تتحدث عنها الوثائق الآشورية . **وينتقل سريعاً إلى دور قبيلة قريش في الحفاظ على الأماكن المقدسة ، ورعاية البيت الحرام ، حتى أصبحت مكة مركزاً دينياً وتجارياً للجزيرة العربية** . وينظر إلى خريطة توزيع القبائل في القرن السادس والسابع الميلاديين فيجد قبيلتي **لخم وجذام** في الشمال في أرض مدين الدارسة ثم ثلاث قبائل من مجموعة **قضاعة** : البلي حتى وادي إدم / الحمد ، وعذرة بين حرة العويرد وحرة خيبر ، **وجهينة** من وادي إدم إلى خط ينبع / المدينة . كانت هذه القبائل تمد حدودها فيما وراء طريق الحج إلى قبيلتي **غطفان** والقيسيين ـ المنتسبتين إلى **نزار ومعد** في قلب الجزيرة ـ وإلى **المزينة** وهي قبيلة إلى الجنوب الغربي من المدينة . أما المدينة فكانت تقطنها قبيلتا **الأوس والخزرج** المتصلتان بالغساسنة أمراء الشام . وكانت قبيلة خزاعة تبدأ إلى الجنوب من جهينة . وليست لدينا معلومات مؤكدة عن أصل خزاعة ، وما نعلمه عنها هو أنها

اختلطت بكنانة التي انحدرت منها قريش . وأما **كنانة** (وهي نزار ومعد) ، وتتصل بها قبيلة **هذيل** ، فكانت تسكن الجبال إلى الشمال وإلى الشرق من مكة . وكانت المنطقة الجنوبية من مكة مقراً لقبيلتين قيسيتين قديمتين : **قبيلة فهم وقبيلة عدوان** ، أولاها جنوب سراح والأخرى إلى شمالها . كذلك المنطقة الشرقية بين المدينة ومكة كانت مسكناً لقبائل قيسية : **سليم** إلى الشمال **ونصر وجشم** بعدها . وكان سكان الطائف ، وهم أصلاً من قبيلة **إياد** التي انقرضت هناك ، على صلة قوية بتلك القبائل .

ونقرأ بعد ذلك أن الجزيرة العربية كانت تتعرض سياسياً لمؤثرات خارجية ، فكانت قبائل الشمال تخضع اسمياً للدولة البيزنطية ، وتعرضت مكة في عام ٢٤ قبل مولد المسيح لحرب خاسرة شنها **إيليوس جاللوس** ثم في عام ٥٦٠ بعد ميلاد المسيح لحرب خاسرة أيضاً شنها والي الحبشة . وينتقل المؤلف إلى بداية **الدعوة الإسلامية** ثم عصر **الخلفاء الراشدين** دارساً أوضاع القبائل إذ ذاك ، فقد **أدت الفتوحات الإسلامية إلى تحسن الأحوال في الحجاز واتسعت رقعة الأرض المزروعة ، وأقيمت لها السدود والمنشآت المائية** . وبدأت في **العصر الأموي** تحركات بين القبائل ، فنقرأ أن قبيلتي لخم وجذام تحركتا تجاه **الأردن وفلسطين ومصر** ، ثم تبعتها أجزاء من قبائل بلي وجهينة . وكانت القبائل تتحرك أحياناً من تلقاء نفسها ، وأحياناً بأمر من أصحاب السلطان . وسرعان ما تبددت آثار قبيلتي **عذرة ولخم** ، وتحولت قبائل خزاعة وكنانة إلى الاستقرار إلا من رحل منها إلى المناطق الجديدة في العالم الإسلامي ، ولم يبق من كنانة إلا مجموعة صغيرة على ساحل **عسير** في أيامنا هذه . أما في الشام فكانت قبيلة غطفان قد شاركت في الجيش برجال كثيرين لم يلبثوا أن استقروا في **حوران** ، وتحركت القبيلة فيما بعد تجاههم .

وفي **العراق** عثرنا على بقية من قبيلة سليم . وكان الولاة قد حثوا قبيلة سليم في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي على النزوح إلى مصر فنزح منهم كثيرون ومعهم بعض جيرانهم . ومن بين من نزح إلى مصر في هذه الحركة قبيلة بني هلال وأصلها من الطائف ، وقد دخلت هذه القبيلة التاريخ ، فقد عادت قبيلة بني هلال فاندفعت ومعها قبيلة سليم إلى الشمال الإفريقي واجتاحت **برقة وطرابلس الغرب وتونس** ، ووصلت في القرن الثاني عشر إلى الجزائر والمغرب . **وكان من أثر هذه الحركة أن تحولت شمال إفريقيا إلى أقطار بدوية ، وأقطار عربية حيث برز العنصر العربي على العنصر البربري** . وتحكي الملحمة الشعبية المعروفة **بسيرة بني هلال** في الجزء الثالث منها الأحداث التي جرت على أرض شمال إفريقيا . ولقد ألفها شاعر من أهل الحضر ، وانتقلت إلى البدو فهم يتحاكونها في **جبال كردستان** وحضرموت وفي كل مكان . أما المنطقة التي تخلخل فيها الوجود القبلي بين مكة والمدينة نتيجة حركة النزوح التي أشرنا إليها ، فقد نزلت بها في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي **قبيلة حرب** التي امتصت من بقي من القبائل السابقة ، فهي تمثل الآن وحدها أهل المنطقة حتى قرب مكة .

ويدرس المؤلف أوضاع القبائل وتأثرها بالأحداث التاريخية ، فعندما تحول الحكم من بني أمية إلى بني العباس حدثت اضطرابات بين قبائل **غطفان وسليم وبني هلال** (في أربعينات القرن التاسع الميلادي) ، مما اضطر العباسيين إلى إرسال جيش كبير لمحاربتهم . كذلك أثرت **حركة القرامطة** على الحجاز ، فتدهورت الزراعة ، وتحولت المنطقة من جديد إلى البداوة . وإذا كان **الحسنيون والحسينيون** قد أمسكوا بزمام إمارة مكة والمدينة ، فإن أعمال النهب والسلب التي كانت بعض القبائل البدوية تمارسها لم تتوقف ، لأن الأمراء كانوا يفيدون منها على الأرجح للحصول على منافع مالية ، ولقد كانوا على أية حال يستخدمون البدو كسلاح . وإذا كان المماليك قد حاولوا جاهدين تأمين قوافل الحجاج ، فإنهم لم ينجحوا في ذلك إلا إلى حدٍ معين ، لأن **قبيلة بني عقبة** خاصة - **وكانت في أرض مدين القديمة** - كانت تعاود النهب والسلب ، وهي قبيلة أصلها جذام . وأياً كان الأمر فقد ظهرت قبيلتان شرقاً على خط **مكة / المدينة** ، هما قبيلة **مطير** وقبيلة **عتيبة** .

وإذا كان **الحكم العثماني** قد تمكن في البداية من تأمين القوافل ، فقد عادت بعض القبائل إلى الاعتداء على قبائل الحج في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (**قبيلة بني صخر مثلاً**) ، واعترضت قبيلة حرب طريق القوافل في أثناء الحج . ويلاحظ على تحركات القبائل أن قبيلة **بني لام** هاجرت إلى العراق ، وأن قبيلة **بني عطية** اتخذت مكانها شمال الحجاز . واتخذت **قبيلة الحويطات** - التي تنحدر من بني عطية - مكان بني عقبة على الساحل . ويتابع المؤلف دراسته لموقف القبائل في فترة الحكم العثماني حتى مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الأولى . ويذكر أن موقف القبائل من المحاربين كان متبايناً ، فمنها من أخلص للترك ، ومنها من أخلص للأشراف . ولكن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت قد مكنت لنفسها في أجزاء كثيرة من الجزيرة العربية ، ودخل **الملك عبد العزيز آل سعود** مكة في يناير/كانون الثاني من عام ١٩٢٦ م ، ملكاً على الحجاز أيضاً . وإذا كانت بعض القبائل في الشمال قد حاولت إثارة القلاقل فقد تغلب الجيش السعودي عليها سريعاً . **ويشيد المؤلف بسياسة الملك عبد العزيز الرشيدة التي أمنت القبائل ، وجعلتها مسؤولة عن السلام والأمن ، وألزمت كل شيخ بالإبلاغ عن الحوادث التي تجري في منطقته ، والعقوبة التي نالها المذنبون ، فإذا لم يفعل عرض نفسه لإجراءات حاسمة من قبل الحكومة .**

ويستعرض المؤلف بعد ذلك القبائل وشيوخها وأماكنها وأعدادها ، فيذكر **بني عقبة وبني عطية** (العطيات ، السبوت ، الرواضين ، الجميعانيين ، الربيلات ، العقيلات ، المراقين ، الخمايسة ، السليمات ، السعيدانيين ، الخضرة ، الوكلا ، المصابحة ، العليين) ، **وعنزة** وتتفرع إلى الفقرا (الشفقة ، الجمعات ، المغاصيب ، الزوارعة ، الحمدان ، الحجور ، الخماعلة ، الصقرة) ، **وولد علي** (السند ، المريخان ، الركاب ، العطيفات ، الدعجان ، الخالد ، المشطة ، الطوالعة ،

الربيلات ، الذويبة) ، **وولد سليمان** (الجعافرة ، آل فضيل ، آل عواجبي ، السهول ، الضواوية ، آل مريحم ، السلمات ، الغضاورة ، الخمشة ، الامنة ، المطاردة ، الشملان ، البجايدة ، النوامسة) ، **وهجر عنزة** (خيبر ، بيضا نثيل ، الشملي ، البلازية) . ثم يذكر قبيلة **بلي** (المعاقلة ، الرموث ، الفواضلة ، الزبّالة ، السحما ، الوابصة ، المواهيب ، الهروف ، الوحشة ، العرادات) **وقبيلة جهينة** وتتفرع إلى **بني مالك** (عروة ، رفاعة ، الحصينات ، المساوي ، الصيادلة ، بني كلب ، حمدة ، ثقافة ، القضاة ، الصيادي ، الأساورة ، السناني ، الايبياوي ، بني إبراهيم) ، **وأولاد موسى** (المراوين ، العلاوين ، نزة ، الفوايدة ، العقيبي ، ذبيان ، المحياوي ، العامري ، الزايدي) ، **وقبيلة حرب** وتقسم إلى بني سالم (الأحامدة ، الصميدات ، الصخارنة ، الفضلة ، الذكرة ، الرحلة ، المحاميد ، صبح ، بني عمر ، السرحة ، بني يحيى ، ولد محمد ، تمم ، السعادين ، السواعدة ، الوفيان ، الظواهرة ، الحنيطات ، الحناينة ، المزينة ، الحجلة ، بني محمود ، أولاد أبو الحيا) ، **ومسروح** (اللهبة ، الصواعد) **وبني عمرو** (المناشك ، العطور ، الجهم ، البلادية ، الحمران ، بني جابر ، معبد ، بشر ، العبدة) **وزبيد** (عسوم ، جدعان) . ويذكر من القبائل الصغيرة قرب مكة والطائف **قبيلة هذيل** (لحيان ، مطارفة ، مسعود ، متعان ، كراكبة ، الندوين ، دعد ، العلويين) ، **وقبيلة الجحادلة ، آل مهدي ، بني فهم ، ثقيف** (بني سفيان ، طويرق ، ثمالة ، بني سالم ، بني سعد ، الناصرة ، بني مالك ، عدوان ، بالحارث) . ويذكر **قبيلة قريش ، وقبيلة الأشراف** (العبادلة ، ذوي زيد ، ذوي سرور ، الشنابرة ، المناعمة ، ذوي جازان ، ذوي جود الله ، الحرث ، ذوي حسين ، القعور ، ذوي حسن ، ذوي بركات ، الجعافرة . وفي المنطقة بين الحجاز وعسير يذكر **بلاد زهران** (دوس ، بني حسن ، بالخزمر ، الجوفا ، بني عمر) ، **وبلاد غامد** (بني حثيم ، بني عبد الله ، بني ظبيان ، بالقرن ، بني كبير ، آل زهران ، بني سالم ، بالجرشي ، قذانة ، بني شهر ، بني سيهم) ، **وتهامة** (ذوي حسن ، ذوي بركات ، بني شهاب ، زبيد ، بني زيد ، بالعير ، (النواشرة ، عمر) **بني يعلى ، أهل حلي** (عبيد الأمير ، الغوانمة ، أولاد العلاونة ، كنانة) وداخل البلاد (بالعريان ، العوامر ، بالقرن التهمة ، شمران) .

المجلد الثالث

ويحمل **المجلد الثالث** من الكتاب ، في قسمه الأول عنوان « **القبائل البدوية في شمالي وباطن الجزيرة العربية** » . وقد طبعه في عام ١٩٥٢ م ، بعد وفاة **البارون ماكس فون أوپنهايم الأستاذ الدكتور فرنر كاسكل** . ويتناول كاسكل في تمهيد مفصل المنطقة بالدراسة الجغرافية والتاريخية ، فيما يمكن أن نسميه صياغة جديدة حديثة لما جاء في المجلد الثاني ، ثم يتناول المؤلف القبائل بالحصر والبحث . نقرأ عن **قبيلة شمر** وفروعها الكثيرة ، ثم عن **قبيلة الضفير ، وقبيلة حرب** . ويقول المؤلف عن قبيلة حرب مثلاً إنها جديدة على منطقة نجد ، وإنها شاركت في المعارك التي قامت بين **قوات محمد علي باشا وآل سعود** في عام ١٨١٥ م وعام ١٨١٦ م ، ثم انضوت تحت لواء **آل سعود** منذ أربعينات القرن الماضي وحمت الجناح الأيسر للسعوديين بين **وادي الرما والسلمة** . وأخلصت **للملك عبد العزيز آل سعود** عندما أحدثت قبيلتا مطير وعتيبة في عام ١٩٢٩ م القلاقل . ونقرأ عن **قبيلة البقوم - التي قامت امرأة من نسائها في عام ١٨١٣ م ، بدور بطولي في مناهضة الأتراك** - وقد دخلت القبيلة في عام ١٩١٩ م ، في طاعة آل سعود ، **وقبيلة سبيع** التي لعبت منذ وقت مبكر دوراً كبيراً في دعم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومساكنها وادي سبيع جنوب غربي نجد وفي عرق سبيع إلى الشرق منه . وهناك أيضاً قبيلة **السهول** التي يأتي ذكرها لأول مرة في النصوص في عام ١٧٨٤ / ١٧٨٥ م ، ثم قامت بدور بطولي في عام ١٨٢٢ م ، حيث قضت على حامية تركية (في المجمعة) . **وقبيلة قحطان** التي كانت منذ وقت مبكر على علاقة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب **وقبيلة الدواسر** التي تمتد مساكنها من واحة الدواسر إلى الطريق الجنوبي في اتجاه شرق الجزيرة العربية . ويذكر المؤلف أن **قبيلة الدواسر** كانت في القرن الرابع عشر الميلادي قبيلة هامة في اليمن ، وأنها كانت مرتبطة بالمماليك في القاهرة ، وأن اسمها لم يظهر في كتابات الجغرافيين مرتبطاً بالجزيرة العربية إلا بعد ذلك بثلاثة قرون . أما العلاقة بين الدواسر ودعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فترجع إلى عام ١٧٨٥ م . ويتضمن الفصل الذي يتناول **قبيلة عقيل** دراسة عن تاريخ هذه القبيلة منذ العصر الجاهلي ، فهي تنتسب إلى كعب . ويبدو أنها كانت في **صدر الإسلام** ذات أهمية ووجاهة ، وأنها اشتركت في **الفتوحات الإسلامية** فأقام منها من أقام في سورية أو العراق وديار مضر ، ووصل بعضها إلى **الأندلس وفارس وخراسان** . ويختم كاسكل المجلد بدراسات عن آل عامر ، وبني خالد والعجمان وآل شامر ومطرة وآل عرقا والعوازم والرشايدة وآل مرة وبني تميم .

* * *

وإذا كان كتاب « **البدو** » بمجلداته الثلاثة يعتبر عملاً رائداً وفريداً[1] ، فهو بحاجة إلى جهود متضافرة من العلماء المتخصصين ، وبخاصة من أهل هذه المناطق لتصحيح ما يمكن أن يكون به من أخطاء ، ولاستكمال النقص الذي يعتوره . وقد عدّد **چورج رينتس** في مقاله الذي أشرنا إليه : « **ملاحظات على كتاب « البدو » لأوپنهايم** » بعض الأخطاء : فهو يرى على سبيل المثال أن وادي سبيع الذي ذكره كاسكل ليس وادياً واحداً ، ففي المنطقة واديان هما وادي رنية ووادي الخرمة ، وكثيراً ما يتحدث أهل المنطقة عن وديان سبيع ، ويرى كذلك أن هذه المنطقة ليست في نجد ، بل بين نجد والحجاز . هذه أمثلة من التصويبات اللازمة للكتاب .

---

(١) المجلة : للدكتور عمر رضا كحالة كتاب بعنوان « معجم القبائل العربية القديمة والحديثة » بتألف من عدة أجزاء

موضوع خاص

القط.. وعلاقته بالإنسان



القط .. وعلاقته بالإنسان

عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت امرأة من قبلكم النار في هرة ربطتها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تصيب من خشاش الأرض ، حتى ماتت ، وأدخلت النار .. كلما أقبلت نهشتها ، وكلما أدبرت نهشتها » .



وقال صاحب (الكلب) :

« قالوا : ولما مات عمرو القصبي ، وكان من موالي ربيعة بن حنظلة ، رجم **بالسنانير (القطاط)** . وقالوا : لم نر الناس رموا أحداً بالكلاب الميتة ، والكلاب أكثر من السنانير حية وميتة ، وليس ذلك إلا لأن السنانير أحقر عندهم وأنتن » .

وقالوا : « والهرة تأكل أولادها ، وكفاك بهذه الخصلة لؤماً وشرهاً وعقوقاً وغلظ قلب » .

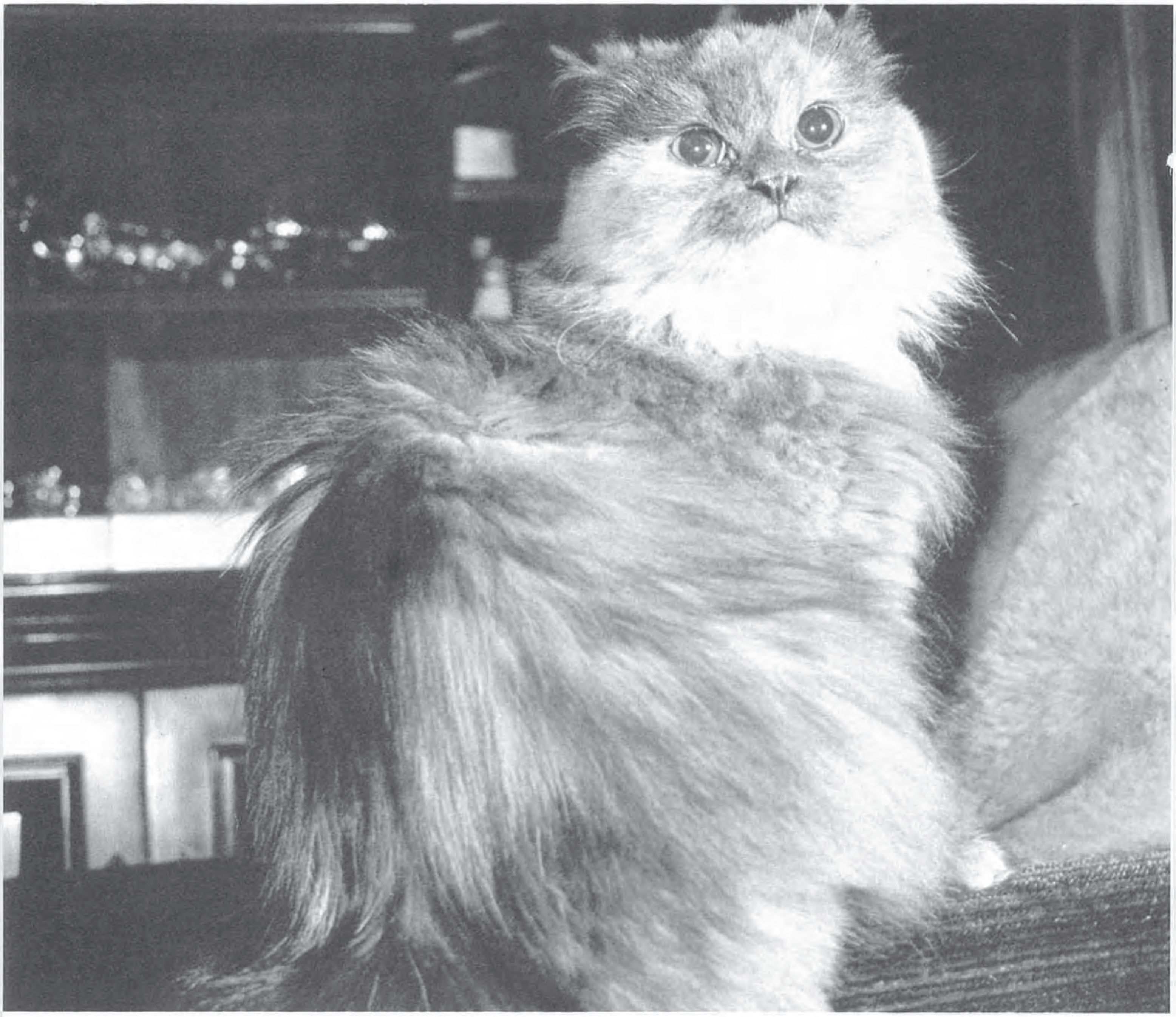
وزعم **(زرادشت)** أن القط إذا بال في البحر قتل عشرة آلاف سمكة .

وزعم بعض **أطباء العرب** أن القطاط إذا قضت حاجتها ، دفنت برازها بالتراب ، ثم تعود إلى موضعه مرة أخرى وتشمه ، فإن وجدت من رائحته شيئاً زادت عليه بالتراب .. ولقد أرجع البعض هذا التصرف من القط إلى تحشم عنده وحسن تصرف ، لكن سبب ذلك أن الفأر جيد الشم ، فإن وجد تلك الريح عرف أن بالمكان قطاً فأمعن في الهرب .

وفي ذلك قيل في المثل : « ليس الكرم وستر القبيح أراد ، وإنما تأنيس الفأر » .

وقال **(الجاحظ)** في كتابه **« الحيوان »** عن القط :

« إن الفأر بلغ من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقف ، فربما فاجأه السنور وهو يريد أن يعبر إلى بيته . والسنور في الأرض ، والفأرة في السقف ، ولو شاءت أن تدخل مبيتها ، لم يكن للسنور عليها سبيل .. فتتحير ، فيقول السنور بيده كالمشير ليساره : ارجع ، فإذا رجعت أشار بيمينه أن عد ، فيعود .. وإنما يطلب أن تعيا وتزلق ، أو يداريها ، ولا يفعل بها ذلك ثلاث مرات ، حتى تسقط على الأرض فيثب عليها .. فإذا وثب عليها لعب بها ساعة ، ثم أكلها .. وربما خلى سبيلها وأظهر التغافل فتمعن في الهرب .. فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها وثبة فأخذها ،



★ قط طويل الشعر متعدد الألوان ★

ولا يزال كذلك كالذي يحب أن يسخر بصاحبه ، وأن يخدعه ، وأن يأخذه أقوى ما كان طمعاً في السلامة ، وأن يورثه الحسرة والأسف ، وأن يلذ بتنغيصه وتعذيبه .. وقد يفعل **(العقاب)** مثل ذلك **بالأرنب** ، ويفعل السنور مثل ذلك في **العقرب** » .

وقال **السندي بن شاهك** : « ما أعياني أحد من أهل الأسواق ومن التجار ومن الباعة والصناع كما أعياني أصحاب السنانير .. يأخذون السنور الذي يأكل الفراخ والحمام » .

وقيل إن رجلاً من أصحابنا ائتمنوه على مال ، فشد عليه فأخذه ، فلما لامه بعض نصحائه قال : « يطرحون اللحم قدام السنور .. فإذا أكله ضربوه » .

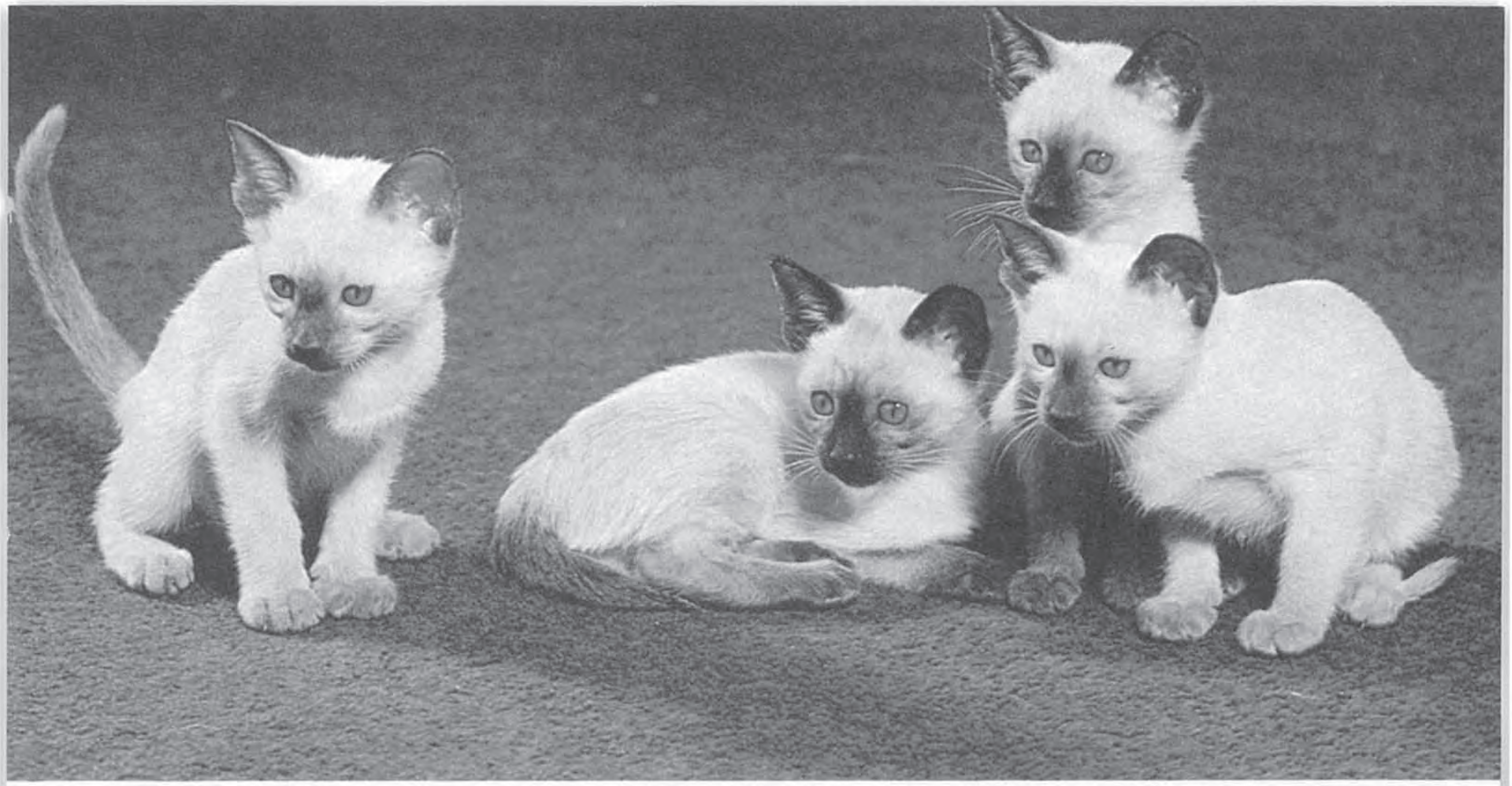
وقالوا .. وقالوا .. وقالوا كثيراً ! !

عن القط ، والهر ، والسنور .. رفيق البيت وأنيس الأطفال ، ثم إنه يكاد يكون الحيوان الوحيد الذي اجتمعت حوله من الصفات المتناقضة ما لم يجتمع لحيوان غيره .. فهو الأنيس ، وبطل قنص الفئران .. وهو دليل الخيانة ورمز الغدر .. وهو لبيب فطن ، وغبي محدود التصرف .

القط .. ما هو ؟

اسم يطلق على فرد من عائلة تشمل الأسد والنمر ، والنمر الأميريكي والوشق والفهد الصياد .. وأشهر أنواعه هو القط المستأنس .

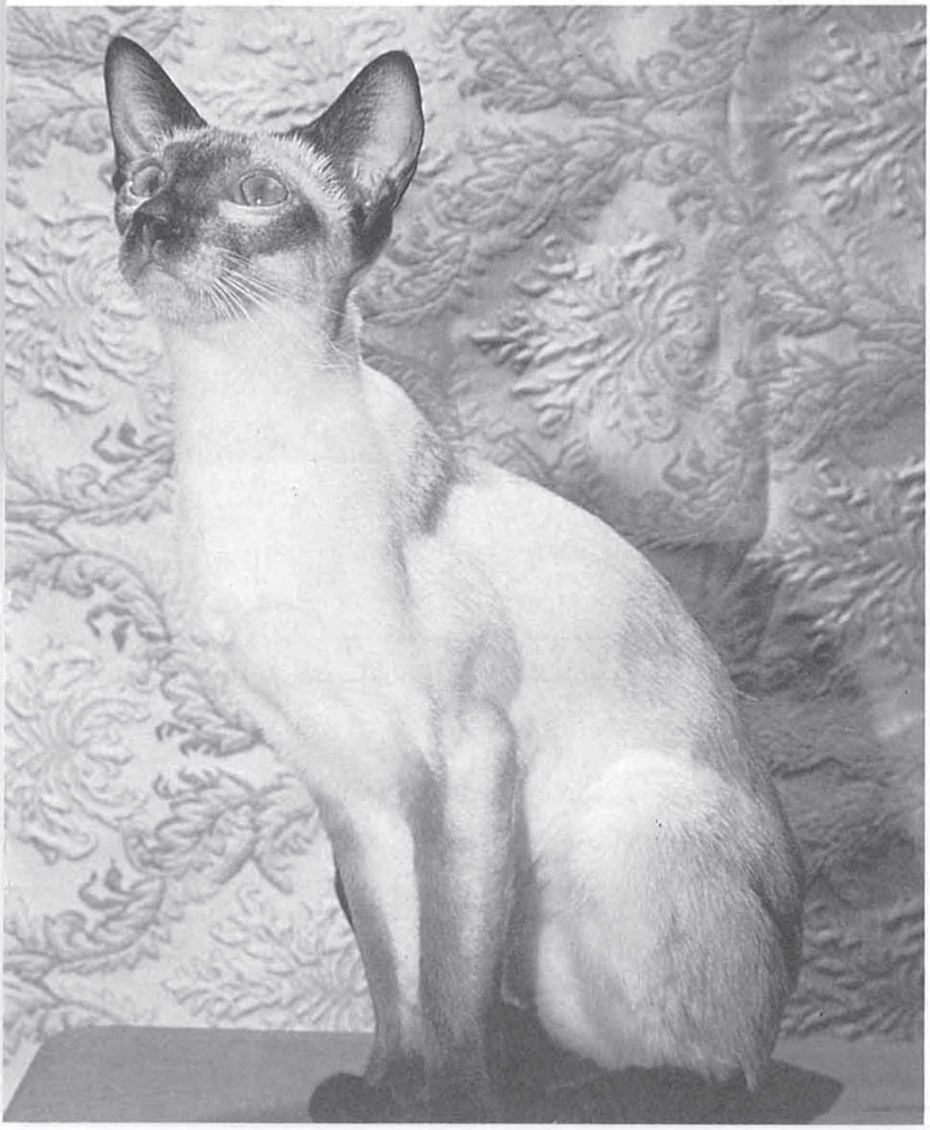
والقط موجود في كافة أرجاء العالم ، **وتوجد منه ، حالياً ، ثماني سلالات هي** : الحبشي ــ البورمي ــ الفارسي ــ الروسي ــ السيامي ــ الأنقري ــ المنك ــ المانيّ .



★ القطاط السيامية من أكثر القطاط التي يقبل الغربيون على تربيتها في المنازل ★

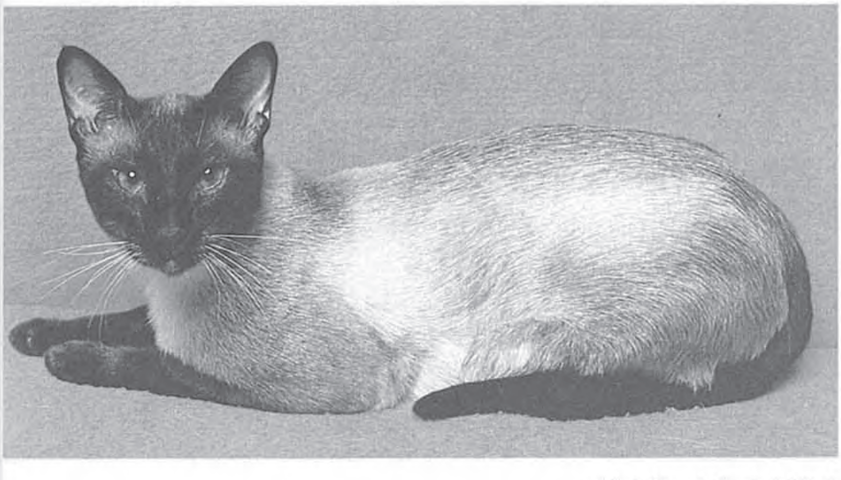


★ قط سيامي من النوع المسمى (أزرق) ★

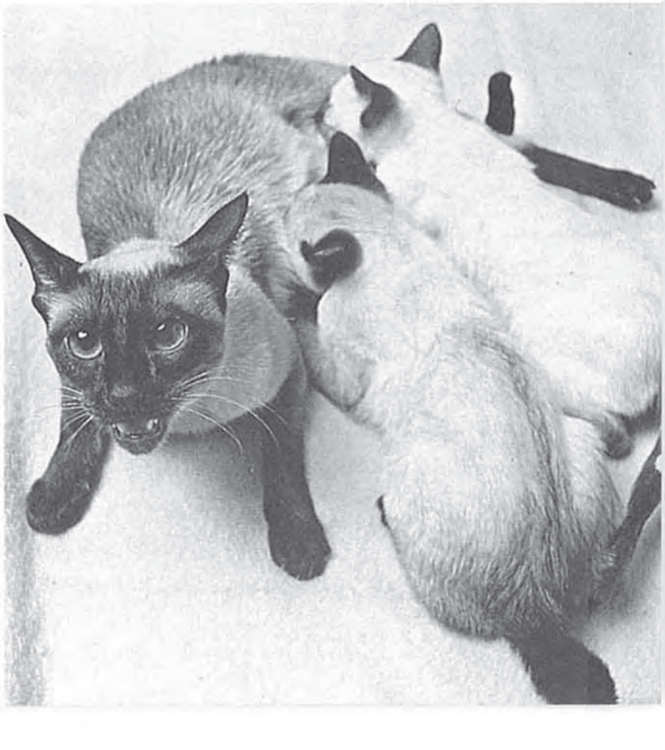


★ قط سيامي أزرق وأشهب ★





★ القط السيامي المنقط هو الأصل الـذي
تحدرت منه الألوان السيامية الأخرى ★



أصـنـــــافـه

يوضح الجدول التالي بعض أصناف القطط، والمناطق التي تعيش بها وبعض صفـاتها :

مسلسل	اسم الصنف	مناطق تواجده	صفـــاته
١	إيـرا	أميركا الجنوبية	يشبه أفراد عائلة ابن عرس . أرجله قصيرة وجسده وذيـله طويـليـن .
٢	القط الأسود الأقدام	جنوب إفريقيا	أصغر من الأصناف المعروفة ، ويعتبر قريباً من القط المستأنس .
٣	قط الأدغال	إفريقيا والهند وغيرهما من المناطق ، بما فيها بورما وفارس وجبال القوقاز	
٤	اليغورندي	اراجواي وجوانا والبرازيل والمكسيك	جسمه نحيل ، وذيله قصير . وأقدامه رمادية .
٥	القط الإفريقي البري	إفريقيا	يعتبر السلف الأول للقط الأوروبي المستأنس .
٦	قط جيوفري	جنوب شرقي آسيا وأميركا الجنوبية	يتميّز بوجود بقع لونية على فروته .
٧	القط الوحشي الأسود	مناطق الغابات والأدغال	قريب الشبه من النمر ، والنمر الأميركي الاستوائي .
٨	قط سميثر الوحشي	مناطق الغابات والأدغال	يتميّز بوجود بقع سوداء غير محدودة ، وإذا اقتنص صغيراً سهل استئناسه . يظهر نشاطاً غير عادي عند اقتناص فريسته .
٩	قط (بالا)	وسط آسيا	رمادي اللون ، غزير الفراء ، قصير الأذنين .
١٠	القط صائد السمك	الهند وسيلان	كبير الحجم ، خشن الفراء ، ذو بقع سوداء على فروته ، يعتمد في غذائه إلى حد كبير على السمك .
١١	القط المبقع الصدئ	جنوب الهند وسيلان	يعتبر من أصغر أنواع القطط حجماً . توجد على فروته الرمادية بقعاً صدئة .
١٢	القط الذهبي	جنوب شرقي آسيا وسومطرة	عيناه كبيرتان ولونهما توبازي ، أنفه قرمزي ، وخداه مخططان بخطوط بيضاء . . الجزء العلوي من ذيله أبيض ناصع .
١٣	القط المسطح الرأس	شرقي الهند	يأكل الفاكهة ، وهو صغير الحجم .
١٤	قط بامباس	سهول أميركا الجنوبية	لونه رمادي . صدره مخطط . شرس جداً . قوي البنية .
١٥	القط الكفيري	منطقة الكاب وإفريقيا	أقوى من القط المستأنس . هو الصنف الذي استأنسه قدماء المصريين وقدسوه .
١٦	قط كراكال	الهند وإفريقيا وبلاد الرافدين	لونه جوزي . أذناه سوداوان ذيله طويل .
١٧	القط النمري	أميركا الجنوبية في المنطقة بين جوانـــا وبراجـــواي	ألوانه زاهية

القـــط .. مـعـلـــومـــات وطـــرائـف

القط نوعان : طويل الشعر .. وقصيره ..

● **القطاط الطويلة الشعر ، كان أول ظهورها في مدينة (أنقـرة)** في تركيا .

● أما القطاط قصيرة الشعر ـ وهـي القـطاط الفـارسية ـ فيقـول البعض إن أصلها من (**سيبريا**) وهضبة التبت ومنغوليا ، لكن لم تتوفر أية أدلة علميـة تـؤكد هذا الظن .

يسكن القط البري في الغابات ، ويبلغ طـول جسـمه اثنتـان وعشرون بـوصة ، وارتفاعه إحدى عشرة بوصة ، وطول ذيله إحدى عشرة بوصة أيضاً . وتلد أنثـاه مـا بين أربعة وخمسة هررة . . أما القط المستأنس : فيعيش بـالمنازل ، ويبلـغ طـول جسمه خمس عشرة بوصة وارتفاعه تسع بوصات وطول ذيله سبع بـوصات . . أمـا عمره فيبلغ خمس عشرة سنة وتلد أنثاه ما بين ثلاثة وخمسة هررة .

أول حفريات تشير إلى ظهور القط على وجه الأرض يقدر عمـرها بأربعين مليون سنة ، وتعود إلى العصر الصخري الأدنى .

القط لا يحب شرب الماء . . ويسهل جداً خروج القط عن استئناسه وعودته إلى بريته الأولى . . لا يشهد له بالذكاء ، خصوصاً عند تعلم ألعاب السيرك . . لكن يجمع الكل على أنها خائنة .

قدرتها على العودة إلى موطنها . . عجيبة . فلو أنها وضـعت في سلة مغلقـة وحملت إلى مكان بعيد ثم أطلقت ، لعادت إلى بيتها مـرة أخـرى . . لـكن هـذه الظاهرة لم تدرس جيداً حتى الآن (١) .

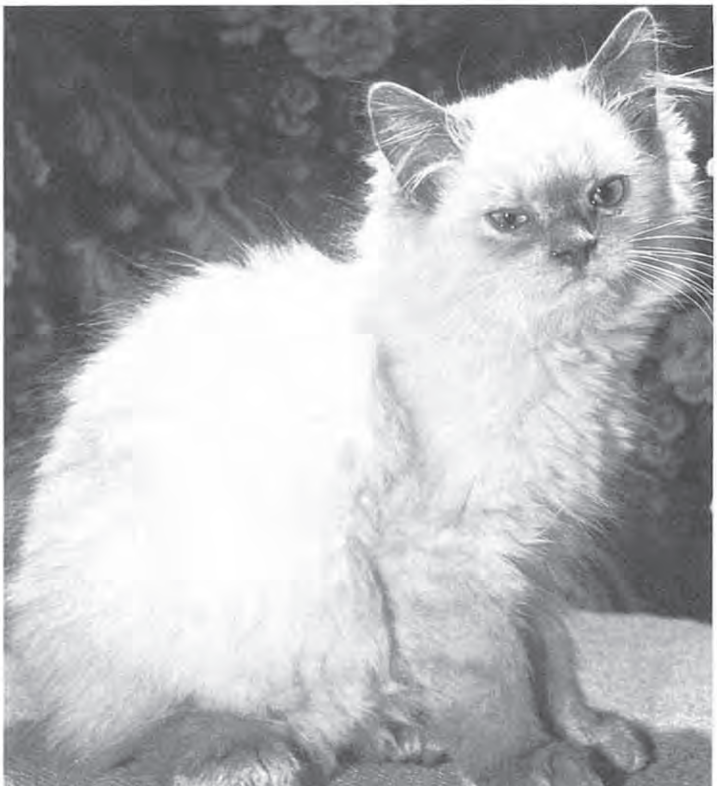
يقال إن لدى القط قدرة فائقة على **الشم** . . لكنك إذا لففت قطعة سمك في ورقة ، ووضعتها تحت أنفه ، فهو لن يشمها أو يتعرف عليها .

● إذا **غضب** ، هز ذيله . وإذا **فرح** أصدر مواء عميقاً من زوره .

● **لون العينين** ـ في معظم الأنواع ـ يكون عند الـولادة أزرقـاً . . فـإذا كبر تحول لونها إلى الأخضر أو الأصفر .

● إذا لم يفسد القط بفرط التدليل ، فهو صائد ماهر للفئران .

● **أكثر أعداد القطاط موجود في جنـوبي شرقي آسيا** ، حيـث تـوجد



★ قط من منطقة جبال الهيملايا في شمالي الهند ★



★ قط طويل الشعر ذو لونين ★

سبعة أنواع هناك .

● تشتهر جزيرة (**مدغشقر**) بأنواع غريبة من القطاط ، مثل القطاط عديمة الذيل والقطاط ذات الذيل المبروم .

● القطاط السيامية ، هي أشهر أنواع القطاط قصيرة الشعر . ويقال إن أول ظهورها كان في المعبد المقدس في (**تايلاند**) . ثم وصلت إلى **إنجلترا** عام ١٨٨٤ م ، **وللولايات المتحدة الأميركية** عام ١٨٩٤ م .

● أثبتت البحوث أن القطاط « البيضاء » ، المولودة حديثاً ، قد تتمتع بحاسة سمع طبيعية .. لكنها ــ عندما تكبر ــ تصاب بالصمم .. دائماً .. وكان « **داروين** » هو أول من قال إن القطاط البيضاء ، ذات العيون الزرقاء ، تكون عادة .. صماء .

● يعود ظهور سلالة القط المستأنس Felis Domestica إلى سلالة Felis Caffra التي عرفها قدماء المصريين ، لكن ليس هناك ما يؤكد أن أصلها يعود إلى سلالة القط الأوروبي .

● بعض الأنواع تصدر مواء عالياً جداً ، وبعضها الآخر صامت تماماً .

● القطاط ــ هذه الأيام ــ أكثر من الكلاب عدداً .. **إذ يبلغ عددها ثلاثون مليونا .**

● ورد ذكر « القط » في كتاب (**طباع الحيوان**) **لأرسطو** بلفظ (اللنقوس) أي (الوشق) في إشارة عابرة عن : « الحيوانات التي تلد حيوانات » .

● ٩٩ ٪ من أفراد القط المستأنس في العالم ، يرجع أصلها إلى القط الإفريقي ، الذي كان قدماء المصريين هم أول من استأنسه ، وكانت أفراده تسكن كهوف « بني حسان » .

● يقول المؤرخ « **هيرودوت** » إن المصريين القدماء كانوا ــ من فرط ولعهم بالقطاط ــ إذا شب النار في منزل أحدهم ، فإن أول ما يقوم بإنقاذه هو (القط) .. وعندما احتل الرومان مصر ، احتقروا القط وسائر الحيوانات التي كانت معروفة عند المصريين ، لذلك لا نجد أي أثر لأي حيوان منها في آثار « بومبي » أو « هيروكيولانيوم » .

لهذا السبب يرجع تأخر ظهور « القط » في **روما القديمة** ، نظراً لحرص المصريين على شراء جمع القطاط التي حملها الرومان إلى روما .. وكانت هذه هي **أول إشارة للقيمة التجارية للقطاط** ، حيث كانت أول إشارة لها عند الرومان في عام ٩٨ م ، عندما ظهرت عندهم كلمة (CTUS) بمعنى .. القط المستأنس .

● انتشر القط من « إيطاليا » شمالا إلى فرنسا .. لكن كاتباً رومانياً واحداً لم يشر للقط البتة .. في حين ترد الإشارة إليه في مؤلفات الإنجليز ، حين كانت إنجلترا رازحة تحت الاحتلال الروماني .

● يقول الكاتب الروماني **شيشرون** إنه « لم يسمع بمصري واحد قتل قطة واحدة ، وإنه إذا تجرأ أحد الحكام الرومان وقتل قطاً أو أصابه بأذى ، فلا مفر من أن يلقى مثل هذا الحاكم حتفه على أيدي جماهير المصريين الغاضبة .. أما إذا مات القط موتاً طبيعياً ، فلا بد لأهل البيت الذي يأويه أن يزيلوا حواجبهم إعلاناً لحدادهم عليه .

ولم يقتصر احترام أهل مصر في تلك العصور للقطاط أثناء حياتها .. بل امتد إلى ما بعد الموت ، فكانوا يحنطون جثة القط ويدفنونها في موكب حافل من الاحترام .. وكان يشارك في تكاليف الجنازة أهل الحي أو القرية أو المدينة التي عاش فيها القط .

ويقول التاريخ إنه حتى في القرن التاسع عشر كانت هناك « **تكية** » للقطاط كان أهل القاهرة بالذات ــ عندما يزيد عدد القطاط التي يعنون بها إلى حد يعجزهم عن الانفاق عليها ــ يضعون الفائض من قطاطهم في سلة ويرسلونها مع واحد من أهل البيت إلى (التكية) حيث يطلقها لتعيش مع بقية القطاط المقيمة » (٢) .



★ منظر عام لمعرض القطاط ★



★ قبل بداية العرض على صاحب القط أن يقوم بتنظيفه بالماء الفاتر والصابون ثم يجفف شعره بالمنشفة أو بواسطة مجفف الشعر ★



● أول ظهور للقط في **الصين** كان في عام ٥٠٠ م .

● أول إشارة إلى «القطاط» كمشروع قومي لمكافحة الفئران كانت عام ٩٣٠ م .

● تعرض «**تشارلز سانت جون**» لهجوم شرس من قط بري اسكتلندي . فقال : «إذا كانوا يقولون بأن للقط المستأنس تسعة أعمار ، فإنني أقول بأن للقط البري اثني عشر عمراً» !

● قرر أمير جنوب «**ويلز**» واسمه «**هاول الطيب**» أن القط حديث الولادة لا يساوي أكثر من جنيه واحد أو اثنين ، فإذا اصطاد فأراً ارتفع سعره فوراً إلى أربعة جنيهات .. كما قرر بأن من يقتل قطاً يقوم على حراسة إحدى شوان الغلال ، فإنه يعاقب بغرامة قدرها نعجة مع حملها ، وجزة صوف من أحد خرافه .. أو يدفع كيلاً من القمح .

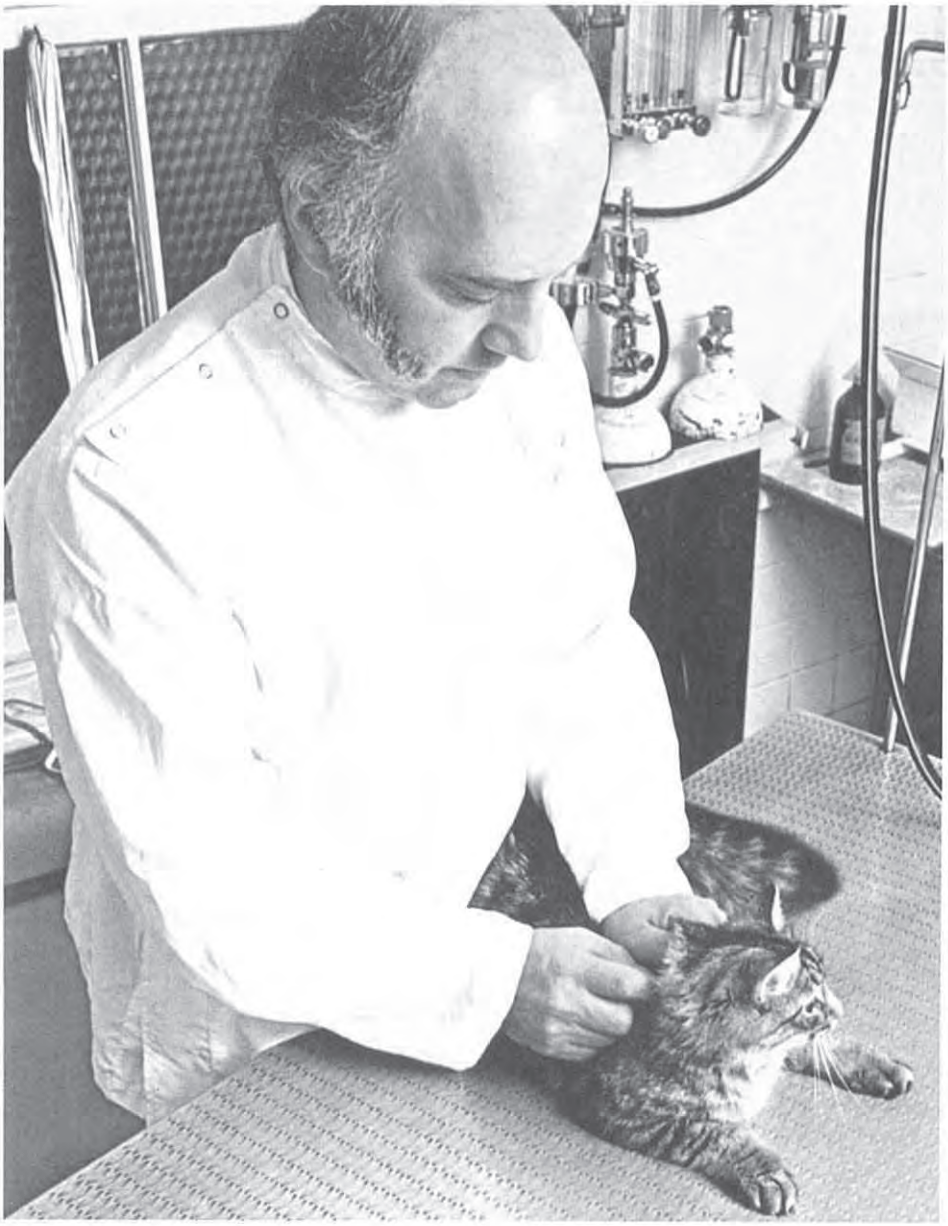
وقد توفرت آثار شعرية وفنية تعكس قرارات «هاول» ، حيث نعثر على لوحات رسم فيها قط يلامس أنفه الأرض (رمزاً لموته) وتحت فمه حزمة قمح ، وتحيطه حبات القمح حتى تكاد تدفن جسمه .

جسم القط

يعتبر القط من أكثر **الحيوانات الثديية** ، آكلة اللحوم تعبيراً عن هاتين الصفتين . رأسه كبير ومتطور . وهو من الحيوانات الأصبعية .. أي إنه يمشي على أصابع أرجله . وإذا سار ـ فهو بعكس الكلب والحصان مثلاً ـ يحرك قدمه اليمنى مع رجله اليمنى ثم يمد قدمه اليسرى مع رجله اليسرى ، ولا يكاد يشبهه في طريقه مشيه هذه إلا الجمل والزرافة . هذا .. **وللقط خمسة أصابع** في كل من قدميه الأماميين ، وأربعة في كل من قدميه الخلفيين .

ويتمتع **جسمه** بمرونة ومطاطية شديدتين ، كما أن **فقرات عموده الفقري** مشدودة إلى بعضها البعض بعضلات ـ وليس بأربطة ـ كما في جسم الإنسان ، وهذا يساعده على تمديد ظهره أو تقليصه إلى أعلى وتحريكه يمنة ويسرة .

وللقط مخالب حادة قوية تتميز بآلية تلقائية في حركتها .. فإذا تسلق شجرة أو جداراً تبرز لتؤدي دورها في التشبث بالشجرة وحمل ثقل الجسم إلى أعلى ، وإذا سار القط على الأرض اختبأت تلك المخالب في وسائد الأقدام فيكاد لا تسمع له



★ العناية الطبية بالقطاط تتضمن التلقيح ضد الأمراض السارية ★





★ من وقت لآخر يجب إعطاء القط ملعقة زيت نباتي ، ويعطى العلاج المناسب له بواسطة القطارة بعد أن يلف الحيوان بمنشفة ★

خطوات . ومما تجدر ملاحظته أن حركة المخالب هذه ، تتم عند قيام القط بتدوير أطراف أصابعه حول محورها ، وبذلك يتضاعف اتساع الأقدام مرتين تقريباً ، كي تصبح سلاحاً مروعاً فعلاً . . .

على أن آلية المخالب ، وقدرة القط على تقويس ظهره ، وإيقاف شعر فرائه قائماً على جسمه ، وصوت المواء المروع الذي يطلقه ، ومرونة جسمه ومطاطيته ، كل هذه الخصائص البدنية توفر للقط طاقة ارهابية وترويعية تمكنه من انزال الرعب في خصمه ولو كان جسمه أضخم من القط بمرات ومرات .

أسنان القط

رغم أن القط لا يملك أسناناً مسطحة التاج يمضغ بها غذاءه ، إلا أنه يستعمل أضراسه لقطع الطعام ، وأنيابه لعمليتي الغرز والتثبيت . . أما الأسنان الجانبية لديه فلا تتلامس إلا إذا أغلق القط فمه . . هذا وللقط ١٦ سناً في الفك العلوي ، و ١٤ في فكه الأسفل .

الحواس

١ ـ حاسة النظر

وحيث إن القط من الحيوانات النشطة **ليلاً** ، فإنه يتمتع بحاسة بصرية تتميز ليلاً ، عنها **بالنهار** . . . وذلك أن حدقة العين تتسع وتستدير ليلاً ، وتنكمش حتى تصبح كالخط العمودي نهاراً . . ولذلك **فهو يستطيع الإبصار وتمييز الألوان بالليل عنه بالنهار** . . وللقط جفن ثالث يعتبر مؤشراً لحالته الصحية العامة . . ورغم ذلك لا يستطيع الرؤية في الظلام الدامس .

٢ ـ حاسة السمع

يتمتع القط بحاسة سمع مرهفة تمكنه من الاتجاه إلى مصدر الصوت بسرعة تفوق سرعة الكلب كثيراً . . ورغم أن البعض قد قال بأن حاسة السمع عند كل من الكلب والقط متساوية ، فقد أثبتت التجارب أن أذن الكلب تستطيع التقاط ٣٥٠٠٠ ذبذبة في الثانية الواحدة بمقارنتها بـ ٢٥٠٠٠ ذبذبة في

أذن القط .

وتحتوي أذن القط على ثلاثين عضلة ، بينما لا تحتوي أذن الإنسان على أكثر من عضلتين .

ولقد أمكن إجراء اختبار دقيق لحاسة السمع عند القطاط ، اتضح منها أن حاسة السمع عندها تشبهها عند الإنسان ، لو كان عدد ذبذبات الصوت أقل من ٢٠٠٠ سيكل في الثانية .. أما إذا زادت الذبذبات عن ذلك فإن أذن القط تكون أكثر حساسية للصوت من أذن الإنسان .. ولذلك تستطيع أن تستجيب لذبذبات صوتية تصل إلى ٦٠٠٠٠ سايكل في الثانية .. وهذا ما لا تستطيعه أذن الإنسان .

٣ ـ حاسة الشم

يتمتع القط ـ خصوصاً إذا كان بالغاً ـ بحاسة شم متطورة وقوية ، ولذلك فهو يعتمد عليها في تحديد طعامه ، إذ ترتبط شهيته للطعام ـ ايجاباً وسلباً ـ بسلامة قنواته الأنفية أو مرضها .. لدرجة أنه يفقد شهيته للطعام تماماً إذا فسدت قنواته الأنفية .. كما يتمتع بحساسية شديدة في شم روائح الخلاصات النتروجينية ، كالسمك ...

٤ ـ حاسة اللمس

كما في الشم ، يتمتع القط بحاسة لمس بالغة الحساسية . فقد وهبه الله تعالى عدداً من الحواس المرهفة ، تتمثل في الحواجب ، وشعرات الشوارب ، والوجنتين وخصلات الشعر الناعم فوق الأذن ، وأصابع الأرجل ، والمخالب .

على أن وظيفة الشوارب لم تكتمل دراستها بعد ، لكن الذي لا شك فيه أنها إذا قطعت فإن كفاءته تنعدم تماماً .

التغذية

القط من الحيوانات آكلة اللحوم ، سواء أكان برياً أو مستأنساً . وقد قام هذا الرأي على أساس فهم شكل قناته الهضمية وطبيعة أسنانه . ذلك أنه يستعمل الأنياب في اقتناص فريسته ثم في قتلها ، أما الأضراس الطواحن فيقطع بها اللحم .

وهو لا يمضغ أكله لعدم وجود أسنان مسطحة على فكيه . وقد يؤدي عدم مضغه الأكل إلى إصابته بالإمساك أو بالاضطرابات المعدية ، ولذلك فقد يلجأ إلى تناول كمية من العشب ـ من وقت لآخر ـ بصفته ملينا وطارداً لأكياس الشعر المتبقية بمعدته من جلود فريسته التي أكلها .

وإذا كنت ـ أيها القارىء الكريم ـ من هواة تربية القطاط ، فإليك الملاحظات التالية لضمان التغذية الصحيحة لقطك المقيم معك في بيتك :

١ ـ يجب أن يتناول وجبتين يومياً ، على أن تشمل الوجبة : اللحم ، أو لحم الأرنب (مطبوخاً أو نيئاً) والسمك المطبوخ ، وشرائح الخبز ، وحده ، أو معجوناً في الحليب ، والخضروات الطازجة ، والجبن ، وصفار البيض ، والزبد .. ويفضل الابتعاد عن اطعامه لبن البقر (المبستر) لأنه يسبب له اضطرابات معوية عسيرة الشفاء .

٢ ـ يراعى تقديم الطعام له دافئاً ، وذلك لتفادي إصابته بالديدان .

٣ ـ يجب مراعاة اخلاء اللحم من قطع العظام الصغيرة .

٤ ـ يجب أن يشرب الحليب مرتين يومياً على الأقل .

التزاوج

يتكامل النمو الجنسي عند القطاط المستأنسة عند بلوغها **عشرة أشهر** من العمر ، إلا أن ثمة بعض الحالات النادرة التي يتحقق فيها هذا النمو عند بلوغها عمر **ثلاثة أشهر ونصف** . أما **فترة التزاوج** فتغطي المدة من أواخر **ديسمبر (كانون الأول)** ، إلى شهر **مارس (آذار)** من كل عام ، غير أن الأنثى قد تكون مهيأة لملاقاة الذكر خلال عدة أيام تتراوح بين الثلاثة والتسعة خلال المدة من شهر ديسمبر (كانون الأول) إلى شهر أغسطس (آب) ، لكن هذه حالات نادرة أيضاً .

على أن مدة **الانجاب** عند الأنثى تبدأ من عمر سنتين إلى عمر ثماني سنوات ، في حين يبلغ الذكر نموه بين عمر ٣ و ٨ سنوات . وقد تستمر فترة التزاوج مدة ٦٥ يوماً عادة ، وقد تتراوح مدته بين ٥٦ إلى ٦٨ يوماً في بعض الحالات .

أما عدد الهررة فقد يصل ـ في البطن الواحدة ـ إلى ثمان هررة ، مع وجود

★ يحب القط الحليب والسمك واللحوم ★







★ قط أشهب ★

بعض الأصناف التي تلد ثلاثة عشر قطاً .. وإذا كانت الأم صغيرة جداً – عند أول حمل لها – فقد تضع واحدة أو اثنتين ، ومع سنوات عمرها يزداد عدد الولدات ، ثم يعود إلى الانخفاض مرة أخرى بعد تعديها ثمان سنوات من العمر .

هذا ، **وتولد الصغار عمياء وصماء** ، ويغطي جسدها زغب بسيط ، ومن ثم تلجأ الأم إلى حمل صغارها في فمها برفق . ثم تفتح الصغار عيونها بين عمر أربعة وعشرة أيام ، ويكون **ظهور الأسنان اللبنية** عندها بعد ولادتها بأربعة أيام ، وقد تطول بها المدة فتصل إلى خمسة أسابيع . أما **الأسنان الدائمة** فتظهر بين عمر ٤ إلى ٧ أشهر .. وبعد شهرين من ولادتها تفطمها أمهاتها .

ومن طرائف ولادة القطة ، أن عملية الولادة تستمر مدة ساعتين ، وتقوم القطة بقطع **الحبل السري** الذي يربطها بهررها ، وأن كل هر يولد في جراب منفصل عن الآخر ، وينفجر لحظة خروج الهر من بطن أمه ، وإلا شقته الأم لإخراج الهر منه . أما **المشيمة** فإن الأم تأكلها بعد انتهاء عملية الولادة ، ولعل هذا يؤدي إلى زيادة إدرار اللبن عندها . وبعد الولادة مباشرة ، تلعق الأم أجساد أطفالها لتنظيفها من آثار الولادة ، وأيضاً لتنشيط الدورة الدموية في أجسادها .. وتضع القطة ثلاثة بطون في السنة .

صفـــات القـــط

يعتبر « **المواء** » واحداً من أهم خصائص القط ، وهو يعكس الحالة المزاجية للقط .. بمعنى أنه إذا كان سعيداً صدر مواؤه منخفضاً ومستمراً .

والجدير بالذكر أنه ليست للمواء أية علاقة بالصوت الفعلي للقط ، لأن تردد



★ قطاط يابانية :

الذبذبات فيه يقل كثيراً عن طاقة ذبذبات الحبال الصوتية . وقد اعتقد البعض أن المواء يصدر عن حبال زائفة ، لكن هذا الرأي لم تتأكد صحته إلى الآن .

كذلك تعتبر أسنان القط ومخالبه من خصائصه المميزة ، إلى جانب الوسائد الدهنية الموجودة بأسفل أقدامه والتي يعتمد عليها القط كثيراً في القفز من الأماكن العالية أو السقوط منها . أما خطواته فهي ــ كما الأسد والنمر ــ رشيقة ، كما أنه يسير على أصابع أقدامه .

أما لسانه ، فتغطيه طبقة خشنة ــ تشبه السنفرة ــ تساعده على (لعق) السوائل .

وعموماً .. فقد وهب الله تعالى للقط جسماً يلائم طرق حياته ويساعده على التواؤم مع البيئة التي يعيش فيها .. وإذا كان جسمه ضعيفاً ــ بمقارنته بالكلب مثلاً ــ فهو رشيق الحركة ، ويتميز بمرونة ومطاطية كبيرتين ، كما أنه **يستطيع تسلق الأشجار والحواجز ، والقفز من الارتفاعات العالية نسبياً دون أن يصيبه ضرر يذكر** . ولعل هذا هو السبب في وصفه بأنه ذو «سبعة أرواح» .

وإذا كان القط والكلب هما الحيوانين الاجتماعيين في تاريخ إنسان العصور الغابرة ، فقد استطاع الكلب تغيير دوره الاجتماعي من مجرد كونه تابعاً للإنسان ، إلى أن أصبح قائده الوحيد في بعض الحالات ، مثل (قيادة العميان وأعمال الحروب والتعرف على المجرمين) .

مثل هذا التغيير لم يعرفه القط أبداً ، وسبب ذلك راجع إلى مزاجه الخاص الذي يستطيع به ــ دائماً وفوراً ــ التحول من حالة الاستئناس إلى حالة التوحش



عظام وجناتها عالية وعيونها كبيرة وآذانها عريضة ★

الأولى ، بالسرعة والنجاح اللذين لا يتوافران لغيره من جميع الحيوانات المستأنسة .

القـــــط .. في الأدب

يكاد يكون القط — ومعه ثلاثة حيوانات أخرى — من أبرز الحيوانات التي استأثرت باهتمام أدب الإنسان **(قصصاً وشعراً)** على امتداد تاريخه .

وإذا كان الأدب قد عني بحيوانات بعينها — دون غيرها — فإنما كان الهدف من ذلك أن الإنسان استشف من طباع هذه الحيوانات وأنماط سلوكها ، بعض المميزات التي رأى الأديب فيها معلماً للإنسان ومهذباً لسلوكه .

ذلك أن **الأسد** يجسد عند الإنسان قيم الكبرياء وعزة النفس والشجاعة ... **والخيل** [٣] تعكس كل معاني الأصالة والرشاقة والجمال ... في حين يصور الكلب مثلاً حياً لقيمة الأمانة والوفاء ...

هذا من جانب . أما في الجانب الآخر ، فهناك **الأرنب** الذي يجسد أحاسيس التوجس والترقب والخوف الرعديد .. وهناك **الفأر** بمكره وطرافة كفاحه هارباً من غدر القط .. ثم ها هي **الأفعى** [٤] تتسلل من بين أعواد العشب وفوق أغصان الشجر كي تلدغ وتملأ جسم فريستها سماً يوصلها إلى الموت الزؤام .. وأمثلة أخرى وأحاسيس وقيماً يجسدها : **الحمل الصغير ، السلحفاة ، البومة ، الغراب ، الصقر** [٥] ... وأخيراً **القط ...**

والقط يُجسد معانٍ .. ويُصور أحاسيس ... لكن هذه المعاني وتلك الأحاسيس — على كثرتها — تتضارب وتتناقض .. فنحن نصادف القط وديعاً ،

رقيقاً ، عطوفاً ، بالغ الحنان مع صغاره .. ورغم ذلك نجده غدّاراً ، خائناً ، لا يقيم للعشرة وزناً ...

وعلى أية حال .. دعونا ــ قدر إمكاننا ــ نتجه بنظرنا إلى الوراء ، بعيداً بعيداً ، حيث التاريخ التليد للإنسان على هذه الأرض .. في محاولة لاكتشاف رؤية الإنسان ــ حكيماً كان أو شاعراً أو قصّاصاً ــ لهذا الحيوان الجميل ، الدقيق الحجم ، الذي ربما لم تختلف الأحكام والرؤى والأحاسيس بقدر اختلافها من حوله ايجاباً وسلباً .

الحكمة والقصص

يكاد يكون **أقدم أثر مكتوب وصل إلى أيدينا** هو ذلك القصص الجميل الذي حقق مزجاً رائعاً بين القصة المحبوكة ــ في فجر تاريخ الإنسان الأدبي ــ والترفيه .. والحكمة الراقية .. هي قصص «**كليلة ودمنة**» ، تلك التي كتبها فيلسوف الهند «**بيدبا**» ، وترجمها إلى العربية (**عبد الله بن المقفع**) والتي جاء في مقدمتها .. أنه «جعله على ألسن البهائم والطير ، صيانة لغرضه فيه من العوام ، وضناً بما ضمنه عن الطغام ، وتنزيهاً للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيوبها ، إذ هي للفيلسوف مندوحة ، ولخاطره مفتوحة ، ولمحبيها تثقيف ، ولطالبيها تشريف» .

وكانت هذه الكلمات هي البداية فيما عرف بعد ذلك بقرون عديدة باسم (**الأدب الرمزي**) .. الذي ساد شرق الدنيا وغربها حتى بداية القرن العشرين ولا يزال .

وهو ذلك الأسلوب الذي يحاول به الكاتب الخروج إلى الناس بأفكار وأحاسيس لا يستطيع الجهر بها في وضح النهار على ألسنة ناطقيها الحقيقيين .. فيجعلها على ألسنة الحيوان والطير وهوام الأرض .. لتكون للناابهين دليلاً ومرشداً ، وتكون للغافلين تسلية وترفيهاً .. وهذه نتيجة نصل إليها مباشرة فور قراءتنا لمقدمة هذه القصص ، وهي أيضاً ، الحقيقة الواقعة التي كانت دافع «بيدبا» إلى كتابتها ، سواء بسبب الظروف الاجتماعية السيئة التي عاشتها الهند على أيدي الغازي «**الاسكندر المقدوني**» أو على يدي «**دبشليم**» من بعده ..

قصة : الجرذ والسنور

وتحكي قصة قط (**سنور**) يقال له (**رومي**) يسكن جحراً في أصل شجرة عظيمة ، يجاوره جرذ (فأر) اسمه «**فريدون**» .. وذات يوم وقع «رومي» في شباك الصياد . فلما خرج «فريدون» من جحره وجد القط أمامه ومن خلفه «**ابن عرس**» يريد أخذه ، وفي الشجرة «بوماً» يريد اختطافه ، فقال لنفسه : «هذا بلاء قد اكتنفني» ، فهداه عقله إلى مصالحة القط .. فتقدم نحوه كي يأمن شر «ابن عرس» و«البوم» ، وعرض عليه تخليصه من أسره قائلاً : «وابن عرس هذا هو كامن لي ، والبوم يرصدني ، وكلاهما لي ولك عدو .. فإن جعلت لي الأمان ، قطعت حبائلك ، وخلصتك من هذه الورطة . فإذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه» .

وجعل الجرذ يقرض خيوط الشباك واحداً تلو الآخر ، دون أن يفارقه حذره من القط ، حتى كان الخيط الأخير .. عندئذ قال للقط : «وأنا قاطع حبالك كلها ، غير أنني تارك عقدة واحدة ارتهنك بها ، ولا أقطعها إلا في الساعة التي أعلم أنك فيها عني مشغول» .

فلما دنا الصياد ، وانشغل القط في مراقبته ، قطع الجرذ الخيط الأخير وقفز بين الأحجار واختبأ .. فهرب القط ، وجمع الصياد حبائله وانصرف خائباً .

ثم إن «رومي» صادف «فريدون» بعد ذلك فقال له : «أيها الصديق الناصح ، ذو البلاء الحسن عندي ، ما منعك من الدنو إليّ ، لاجازيك بأحسن ما



★ قطاط قصيرة الشعر ★

★ قط من تركيا ★

أسديت إليّ» .. عندئذ يلقي «فريدون» علينا دروساً بالغة الفائدة والدلالة في ما يصادفنا في حياتنا في مثل ظروف لقائه مع القط .. يقول :

★ «رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة» .

★ «العاقل إذا رجا نفع العدو ، أظهر له الصداقة ، وإذا خاف ضر الصديق أظهر له العداوة» .

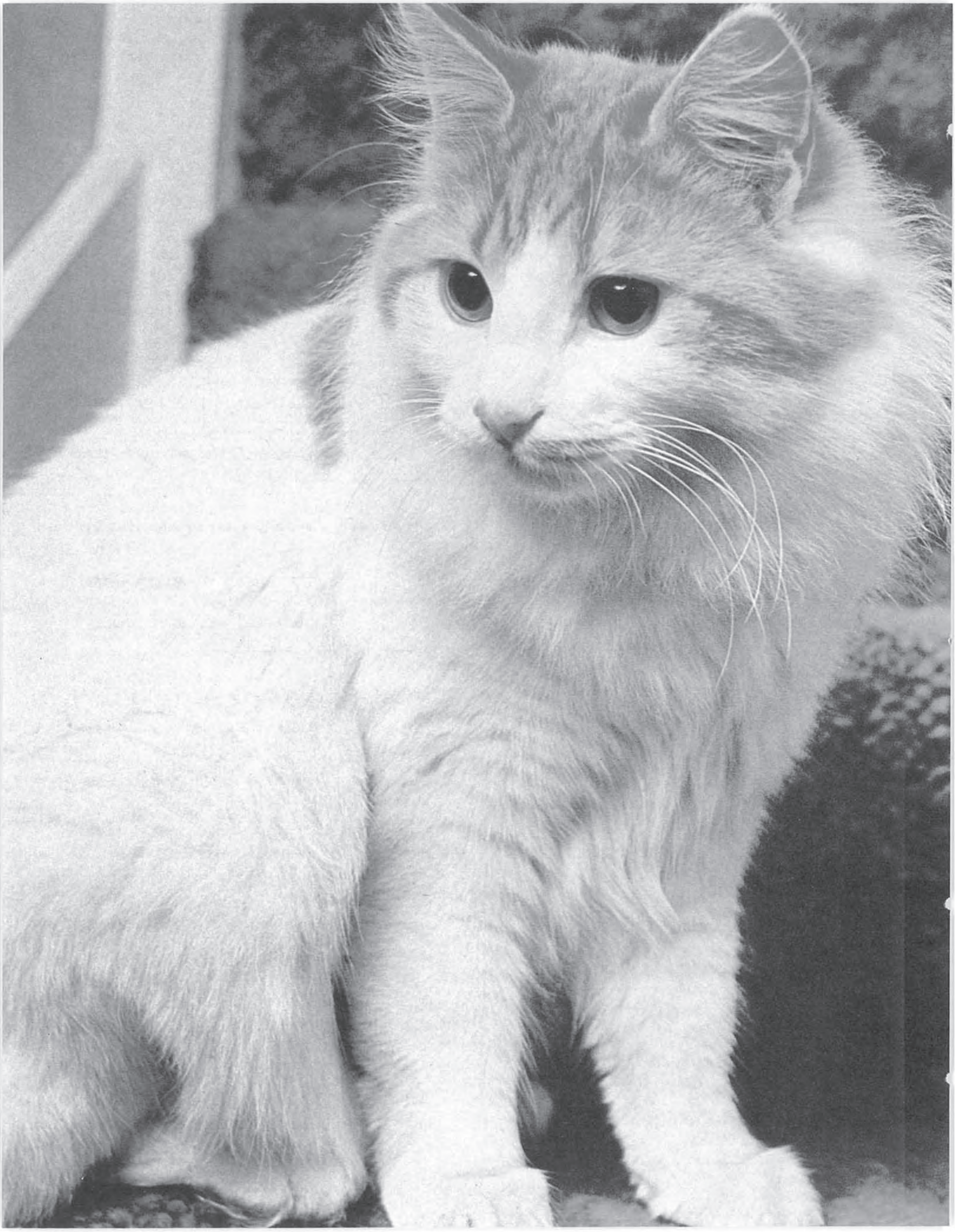
★ «فأما من كان أصل أمره عداوة جوهرية ، ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك ، فإنه إذا زالت الحاجة التي حملته على ذلك ، زالت صداقته ، فتحولت عداوة ، وصار إلى أصل أمره» .

★ «والعاقل يصالح عدوه إذا اضطر إليه ، ويصانعه ، ويظهر له وده ، ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بداً ، ثم يعجل الانصراف عنه ، حين يجد إلى ذلك سبيلاً» .

القط في الشعر العربي

كثيرون هم الشعراء الذين تناولوا القط فيما كتبوا من قصائد .. من ذلك : قال «**أبو الشمقمق**» يصف بيته ، وقد خلا من الخير ، حتى هجرته القطاط والفئران :

وأقام «السنور» فيه بشر
يسأل الله ذا العلا والجلالة
أن يرى فأرة ، فلم ير شيئاً
ناكساً رأسه ، لطول الملالة



قلت لما رأيته ناكس الرأ
س كئيباً ، يمشي على شر حالة
ويك صبراً ، فأنت رأس السنا
نير ، وعللته بحسن مقالة
قال : لا صبر لي ، وكيف مقامي
في قفار بيد تبالة ؟ !
قد أراني أنفض الرأس جوعاً
ثم أمشي في البيت مثي خبالة

ومما يقع في الهجاء ، قول « **عمرو بن عبد الله بن الوليد** » في « أم سعد بنت خالد » :

وما السنور في نفسي خبيثاً
لعوباً بالخمائل والبراق
فطلقها .. فلست لها بأهل
ولو أعطيت هراً في الصداق

وقال « **ابن أحمد** » ، معلقاً على إشارة قالها « امرؤ القيس » عن القط :

إن امرئ القيس على عهده
في أرث ما كان بناه حجر
بنت عليه الملك أطنابها
كأس رويناه وطرف طمر
يلهو بهند فوق أنماطها
وفرتين تسعى إليه وهر

أما « **أحمد شوقي** » فله ثلاث قصائد في « القط » أولها : « ضيافة قطة » ، وثانيتها « الكلب والقط والفأر » ، أما ثالثتها فهي « الفأرة والقط » ، يقول فيها :

سمعت أن فأرة أتاها ... شقيقها ينعي لها فتاها
يصيح يا لي من نحوس بختي ... من سلط القط على ابن أختي ؟
فولولت وعضت الترابا ... وجمعت للمأتم الأترابا
وقالت اليوم انقضت لذاتي ... لا خير لي بعدك في الحياة
من لي بهر مثل ذاك الهر ... يريحني من ذا العذاب المر
وكان بالقرب الذي تريد ... يسمع ما تبدي وما تعيد
فجاءها يقول يا بشراك ... إن الذي دعوت قد لباك
ففزعت لما رأته الفارة ... واعتصمت منه ببيت الجارة
وأشرفت تقول للسفيه ... إن مت بعد ابني ، فمن يبكيه ؟

القط .. في أدب الأطفال

كان القط والفأر دائماً ــ ولا يزالان ــ قاسماً مشتركاً في أغلب **قصص الأطفال** ، سواء المكتوب منها أو المرسوم أو التي تتحول إلى أفلام معروضة عن طريق **السينما أو التلفزيون** .

ومن أشهر من استعمل هذه الوسيلة هو الفنان الأمريكي « **والت ديزني** » الذي انتشرت أفلام « الكارتون » التي أنتجها في كافة أرجاء العالم .

أما **القصص الإنجليزية** ، فنجد فيها قصة « القط الذي سار بنفسه » ، تأليف « **روديارد كيبلنج** » ، كما أن هناك قصصاً عن القط كتبها : « **كوليت** » و « **ت . س . اليوت** » .. كذلك نقرأ بالإنجليزية « القط في الحذاء » ، وهي قصة ذائعة الصيت في عدد من البلدان .

أيضاً .. لا يختلف اثنان على أن موضوع « القط في الأدب » أو « الحيوان في الأدب » من الموضوعات التي تجد لدى القارىء متعة منشودة ونفعاً مطلوباً .

جمعيات هواة القطاط

تنتشر جمعيات هواة القطاط في دول كثيرة ، أشهرها **بريطانيا والولايات المتحدة الأميريكية** ، وتعنى برعاية القطاط والاهتمام بتربيتها وانتخاب سلالات جديدة منها .. أما معايير التمييز بين السلالات والأصناف فتنحصر في اختلافات ألوان الفراء وحسب ، دون أية خصائص أخرى ، وهذا هو السبب في تقسيم القطاط إلى صنفين أساسيين هما : السلالات الطويلة الشعر ، والسلالات قصيرة الشعر .

معارض القطاط

أقيم أول معرض للقطاط بقصر كريستال في **بريطانيا** ، عام ١٨٧١ م . أما في **اسكتلندا** ، فقد أقيم أول معرض عام ١٨٩٤ م ، وكان يقام (في خريف كل عام) في مدينة **أدنبرة أو جلاسجو** .

* * *

وبعد ..

فالموضوع ، متشعب ، وطويل .. وتغطيته في عجالة سريعة كهذه تفرض علينا التنحي عن كثير مما كنا نود التعرض له .. وذلك ما نرجو أن يشفع لنا فيما قد يعتوره من قصور .

الحواشي

١) راجع : الطيور المهاجرة ، العدد الثامن ــ السنة الأولى من **مجلة الفيصل** ، حول تمتع الطيور المهاجرة ببوصلة في رأسها تحدد بها الاتجاهات .

٢) .. من مقال للدكتور رشاد رشدي ، جريدة الأهرام القاهرية يوم ٢٨ / ٣ / ١٩٧٩ م ، غرة ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ .

٣) راجع موضوع (**الخيل**) العدد الأول ــ السنة الأولى من **مجلة الفيصل** .

٤) راجع موضوعنا الخاص عن (**الأفاعي**) .. **مجلة الفيصل** ، العدد العاشر ــ السنة الأولى .

٥) **مجلة الفيصل** ، العدد الأول ــ السنة الثانية ، موضوعنا (**الصقور والقنص**) .

الاتجاه المتعدد العوامل في تفسير الأمراض النفسية

بقلم : د . عبد الرحمن عيسوي

إن مبحث **الايتولوجي** Etiology من المباحث الأساسية في علم الطب وعلم النفس الحديثين ، **ويستهدف الوقوف على علل الأمراض أو أسبابها** . ولا شك أن معرفة أسباب الأمراض تفيد الطبيب المداوي في رسم أساليب العلاج وخططه ، كما تفيد في عمليات التشخيص الطبي ، وفوق ذلك تفيد في الوقاية من الإصابة بتلك الأمراض ، فمعرفة الآباء والأمهات والمعلمين للعوامل التي تؤدي إلى إصابة أبنائهم بالعقد والاضطرابات النفسية تساعدهم في تحاشي هذه العوامل .

وقديماً كانت الأمراض النفسية ، وحتى العصبية **كالصرع** ، ترجع إلى **الجن والشياطين** التي كان يظن أنها تلبس جسد الإنسان ، بل إن الصرع كان يظن أنه « مسحة إلهية » تستوجب أن ينظر المجتمع للشخص المصروع نظرة تقديس واحترام لأنه على صلة خاصة بخالقه .

وأحدث اتجاه في تفسير الأمراض هو **الاتجاه المتعدد العوامل** Multiple factor approach ومؤداه **أن الأمراض النفسية لا ترجع إلى سبب واحد بعينه ، جسميا كان أو نفسيا أو اجتماعيا ، وإنما ترجع إلى تضافر وتفاعل مجموعة من العوامل الجسمية الفطرية الوراثية أو المكتسبة ، والعوامل الاجتماعية والنفسية والتربوية والأسرية والاقتصادية** .. الخ .

وفي هذا الصدد نميز بين مجموعة **العوامل المهيئة والاستعدادية** Predisposing factors وتتضمن خبرات الطفولة والمراهقة والرشد والكبر ، وما يتعرض له الفرد من ضغوط ومؤثرات تتراكم وتترسب حتى تظهر على حيز الوجود بتأثير مجموعة أخرى من العوامل Precipitating factors ، وهي التي تعمل كعمل البارود لاشعال الوقود المهيأ أصلاً للاشتعال ، ولذلك توصف مثل هذه العوامل بأنها « القشة الأخيرة التي قصمت ظهر البعير » أو النقطة أو القطرة التي ملأت البحر . فهي العامل المفاجيء الذي يعجل بظهور المرض أو بحدوث الانهيار .. من ذلك الصدمات المخية الناتجة عن الأعيرة النارية أو الأزمات المالية الحادة أو الشحنات الانفعالية القاسية كاكتشاف المرء خيانة زوجته أو أحد أصدقائه[1] .

ومسألة العوامل المسؤولة عن حدوث الأمراض مسألة نسبية ، إذ يختلف كم ونوع المثير اللازم لحدوث الانهيار باختلاف الأفراد ، فالشخص السليم المتزن يختلف كم ما يلزمه للاضطرابات والمرض عن الشخص المهتز القلق المتوتر والمستعد للاصابة . .

فالمثير الواحد كالفشل في الامتحان مثلاً ، يختلف تأثيره من فرد إلى آخر بحسب ما يتمتع به الفرد من السواء أو الضعف النفسي . فالعوامل المهيئة للمرض تضعف من مقاومة الفرد وتجعله عرضة للاصابة .

أقسام الأمراض النفسية

وعلى أساس من العوامل السببية تقسم الأمراض النفسية والعقلية إلى أمراض عضوية النشأة Organic disorder ، وهي التي ترجع إلى خلل في الجهاز العصبي أو الغدد ، وأمراض وظيفية Functional disorders ، وهي التي لا ترجع إلى عوامل عضوية معروفة حيث يكون جسم المريض سليماً ، ولكن تعتري الأعراض وظائفه العقلية والنفسية والحسية ، كاضطراب التفكير وعجز الاستدلال أو شدة الانفعال وبعده عن التناسب مع كم وكيف من المثيرات أو البلادة الانفعالية والهلاوس السمعية والبصرية والشمية والذوقية .

ولقد كشفت الدراسات الحديثة عن تشابك وتفاعل الأسباب الوظيفية مع الأسباب العضوية ، وكشف دراسة الحالات المصابة في الدفاع عن استمرار الأعراض الهزائية حتى بعد تمام شفاء الجرح أو الاصابة المخية ، كأن يعتقد المريض أن المستشفى عبارة عن « عزبته » الخصوصية « والأطباء خدمه الخصوصيين » .

كذلك وجد أن الاصابات المخية الراهنة تتأثر بالحالة الصحية والنفسية الماضية للمريض ، فقد كشفت دراسة حالة جندي أصيب في رأسه في **الحرب الكورية** الماضية ، أنه أظهر أعراضاً ذهانية Psychotic أي أعراض المرض العقلي ، ولكن الكشف الدقيق عليه أوضح أنه لجأ إلى المرض للاحتماء فيه والهروب من هلع الحرب ، وأنه وجد الاصابة فرصة للتخلص من فزع الحرب وأهوالها ، وأنه عند تجنيده كان يعاني من مرض نفسي أو عصابي Neurotic .

يتمسك البعض بفكرة ارجاع المرض العقلي أو النفسي إلى عوامل عضوية ، وعلى الرغم من أننا لا ننكر أثر هذه العوامل والعلاقة الوثيقة بين المخ والسلوك الإنساني ، إلا أن الاتجاه الكلي الشامل الإجمالي يأخذ بعين الاعتبار كل العوامل مجتمعة ، بل إنه يدخل فكرة الزمن ضمن العوامل المسببة للمرض النفسي ، ذلك لأنه ينمو على امتداد فترة زمنية طويلة ، وعلاوة على ذلك فقد **تبين أن الضغوط الاجتماعية والنفسية تسبب فقدان الشهية وضعف النشاط واختلال إفراز الغدد الصماء** ، وعلى الرغم من تأثير الاصابات التي تحدث في الدماغ أو الجهاز العصبي المركزي أو النخاع الشوكي ، إلا أنه لا تغيب العوامل الاجتماعية حتى في هذه الحالة .

من ذلك قبول المريض للعجز الجديد في حالته ورضاه عن نفسه وقدرته على التعايش السلمي مع حالته ، فقد لوحظ أن المريض إذا عجز عن تحقيق ذلك لجأ إلى ما يعرف باسم الحيل الدفاعية وهي عمليات عقلية لا شعورية يلجأ إليها للاحتماء بها . من ذلك الاحتماء بالمرض أو التقمص أو **الاسقاط** أو **التبرير** أو **العكسية** أو **الازاحة** أو **الكبت** أو **التعويض** .. الخ .

العوامل الوراثية

فيما يختص **بالعوامل الوراثية** Genogenic فالمعروف أن ناقلات الصفات الوراثية Genes تنقل بعض السمات الأساسية كالطول والوزن ولون الشعر والعينين من الآباء والأجداد ـ حسبما يشرحه مانديل ـ إلى الأبناء . وفي ضوء هذه المجموعة من العوامل ، يفسر الكائن الحي بأنه نتاج المعادلة الآتية :

الكائن الحي =(O = F (T × H × E

ومعنى ذلك أن الكائن الحي كما نراه الآن هو Organism محصلة التفاعل والتأثير المتبادل بين عوامل الوراثة Heredity وبيئته Enuironment وسنه Age أو الزمن Time منذ ميلاده ، أما F فتشير إلى أنه وظيفة كل هذا مجتمعاً . والنظرة الموضوعية الشاملة تجعلنا نؤمن بأن كل هذه العوامل الثلاثة عوامل هامة لا ينبغي أن نهمل أحدها بسبب تخصصاتنا أو خلفياتنا العلمية ، فاعتبار أن سمة إنسانية وراثية صرفة أو بيئية صرفة هو اعتبار قاصر ، لأن كل سمة تتأثر بكل من المؤثرات البيئية والوراثية . وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أننا عاجزون عن دراسة أثر

كل من البيئة والوراثة كل على حدة ، إذ الواقع أن الدراسات التي تتناول **التوائم العينية** Identical twins وهي التوائم الناتجة عن بويضة واحدة مخصبة ، وهي ذات وراثة واحدة ، تضمن لنا ثبات عامل الوراثة ، فإذا تربى كل فرد أو أخ من هذه التوائم في بيئة مغايرة ، فإن الفروق التي تلاحظ في سلوكهما وفي سماتهما لابد وأن ترجع إلى المؤثرات البيئية المختلفة التي تعرض لها كل منهما[٢] .

العوامل الكيميائية

وهناك مجموعة **العوامل الكيميائية** حيث يتأثر سلوك الإنسان عن طريق عملية التوازن الذاتي ، أي تنظم النمو والتكاثر وعلاج الأعضاء الحشوية واحتراق الطعام وتمثيله التي تتوقف بدورها على **الأنزيمات** التي تساعد على سرعة الهضم أو بطئه ، **والفيتامينات والهرمونات** التي تفرزها الغدد الصماء ، واختلال هذه الوظائف قد يؤدي إلى السلوك الشاذ . وليست هذه العوامل الداخلية وحدها هي التي تؤثر في سلوك الكائن الحي ، ولكن هناك عوامل كيميائية أيضاً تأتي من الخارج حيث تهاجم الكائن الحي وتهدده بالخطر ، من ذلك **نقص الأكسجين** الذي يؤدي إلى وجود صدمات في المخ ، وهناك بعض المواد السامة **كالكربون والرصاص والمنجنيز والميكروبات** التي تغزو الجسم .

العوامل الهستولوجية .. والتكيف

ويمكن تمييز مجموعة أخرى من **العوامل الهستولوجية** Histogenic وهي التي ترجع إلى اصابة عضو المخ نفسه ، كالتي تحدث من أثر الأعيرة النارية أو حوادث السيارات أو الأورام السرطانية التي تدمر خلايا المخ وتجعله عاجزاً عن القيام بوظائفه . . إلى جانب هذه العوامل النوعية في إحداث المرض النفسي هناك مجموعة **أعراض التكيف العام** General adaptation ، ولقد درس **هانز صايلي** Hans Selye أعراض التكيف العامة عند الحيوان ، بتعريض الحيوان لدرجات عالية من الحرارة أو البرودة أو الإضاءة ، وكذلك الجراحات الخطيرة وحقن الهرمونات بكميات كبيرة ، ووجد أنها تؤدي إلى ثورة الحيوان ، ولاحظ أنه يمكن تقسيم ردود فعل الحيوان لمثل هذه الضغوط الشديدة إلى مراحل ثلاث هي :

أ ـ مرحلة الحذر أو الانتباه مع حدوث تغييرات بيولوجية ضرورية .

ب ـ مرحلة مقاومة مصدر الضغط .

ج ـ مرحلة التعب أو الارهاق وفيها يضعف نظام مقاومة الحيوان وقد تنتهي بزوال المقاومة أو بموت الحيوان .

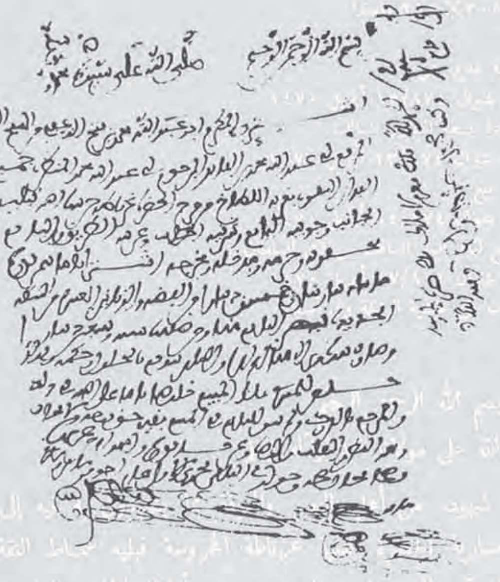
ويلاحظ أن هذا الضاغط قد يكون نفسياً أو اجتماعياً أو فسيولوجياً ، فالقلق المستمر الشديد وكذلك الطيران الحربي في القتال حيث تظهر الأعراض في شكل **أمراض عصابية** Neurotic disorders أو **أمراض سيكوسوماتية كالربو والقرحة وضغط الدم وفقدان الشهية** . ولقد دلت البحوث في هذا المضمار أن الحيوان في أثناء مقاومته لضاغط معين تقل مقاومته للضغوط الأخرى .

العوامل الاجتماعية والنفسية

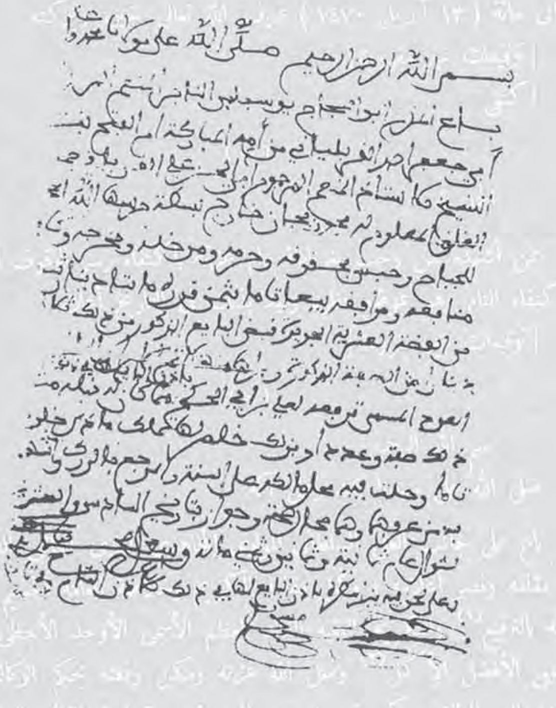
وبالنسبة لمجموعة العوامل الاجتماعية والنفسية فهي كثيرة ومتعددة ، وتتمثل في قدرة الفرد على التصدي لصعوبات الحياة وتحديها ، وأنماط تربية الطفل في الأسرة والمدرسة وسلامة عمليات النمو النفسي والجسمي والعقلي والاجتماعي ، وما يصاحبها من عمليات امتصاص الطفل لقيم المجتمع وعاداته ونجاح **عملية التنشئة الاجتماعية** Socialization ، والتي بواسطتها يصبح الطفل كائناً اجتماعياً ومدى اشباع حاجات الطفل الفسيولوجية والنفسية واشعاره بالحب والقبول وشعوره بالأمان والاستقرار . . الخ .

العلاقات بين فلسطين

بقلم : صلاح محمد جرّار



الوثيقة رقم ٣٤
عقد بيع وشهادة مخالصة مع إضافات على الحاشية
(ص ٦٦ – ٦٧ من النص العربي و ٦٩ – ٧٠ من الترجمة)



الوثيقة رقم ٤٨
عقد بيع
(ص ٩٠ – ٩١ من النص العربي و ٩٦ من الترجمة)

مقدمة

ما كاد العقد الثاني بعد الهجرة النبوية ينقضي حتى كانت فلسطين كلها تحت الحكم الإسلامي (انظر : فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٠ ، ص ١٨٨) ، إذ كانت هناك عدة اعتبارات تقضي بأن يضع المسلمون أيديهم على هذه النواحي ، وأول هذه الاعتبارات أن سكان فلسطين كانوا من القبائل العربية التي ينبغي لها أن تلحق بركب نظيراتها من القبائل العربية التي آمنت بالدين الجديد ، وثاني هذه الاعتبارات المكانة الدينية لمدينة **القدس** لدى المسلمين ، فهي **أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول عليه الصلاة والسلام** . وثالث هذه الاعتبارات حاجة المسلمين لقواعد عسكرية جديدة في الجانب الغربي والشمالي الغربي للدولة الإسلامية لاتخاذها مراكز لانطلاق العساكر الإسلامية نحو الغرب ، كما أن حاجة المسلمين للقواعد البحرية للمساعدة في فتح مصر وما يليها من الغرب ، يعطي سواحل فلسطين أهمية خاصة .

وفي زمن **الدولة الأموية** اكتسبت فلسطين أهمية جديدة ، وذلك بسبب اقترابها من **دمشق حاضرة الخلافة الأموية** ، مما جعلها في منزلة خط الدفاع الأول عن حاضرة الخلافة ، وزاد من استعمالها قاعدة لترتيبات انطلاق الفيالق الإسلامية باتجاه الغرب .

ونظراً لهذه الاعتبارات المتعددة لم يكن غريباً أن نرى سواحل فلسطين تشهد حركة دائبة للسفن الغادية والرائحة تنقل المسلمين وغير المسلمين من الأطراف الغربية للدولة الإسلامية ، أو تنقل الجنود والتجار إلى تلك الأطراف . فمن هذه السواحل كان انطلاق **عمرو بن العاص** لفتح مصر (فتوح مصر والمغرب ٨٢/١) . كما كان **افتتاح الأندلس** سنة ٩٢ هـ وتوسط فلسطين بين عاصمة الخلافة الأموية والبلاد المفتوحة سبباً في جعلها ممراً للراحلين إلى الأندلس والعائدين منها (فتوح مصر والمغرب ٢٧٦/١ ، تاريخ افتتاح الأندلس / ابن القوطية ص ٧) .

وعندما عاد **موسى بن نصير** سنة ٩٥ هـ بعد افتتاح الأندلس مرّ من فلسطين فتلقاه هناك **آل روح بن زنباع الجذامي** ونحروا له خمسين جملاً ، ثم خرج من عندهم ، وترك بعض أصحابه وصغار ولده عندهم ، وأفرغ على آل روح بن زنباع كثيراً من الكسي والوصائف والوصفان وغير ذلك من الأموال (البيان المغرب ١٩/٢) . ومن فلسطين أيضاً كان مرور **عبد الرحمن الداخل** سنة ١٣٨ هـ أثناء توجهه إلى الأندلس (النفح ٣٣٣/١) .

وقد غدت فلسطين بعد افتتاحها مركزاً تجارياً مهماً ، وقد فكر عمرو بن العاص بفتح مصر أثناء وجوده في بيت المقدس في تجارة مع نفر من قريش (فتوح مصر والمغرب ٧٦/١) . وما إنْ عادت فلسطين للحكم العربي حتى أخذ أبناؤها يعملون على تأكيد انتمائهم للعرب ، فانضموا إلى إخوانهم العرب وشاركوهم في حمل رسالة الإسلام وجندوا أنفسهم لنشره ، وخرجوا مع المسلمين لفتح مصر وافريقيا والأندلس ، فعندما دخل عمرو بن العاص مصر كان معه **أجناد قيسارية** (فتوح مصر والمغرب ٨٣/١) .

والأندلس

قوات فلسطينية في الأندلس

كان من بين الطلائع الأولى التي توجهت إلى الأندلس لاستكمال السيطرة الإسلامية عليها ، عناصر عسكرية شامية مختلفة بعضها من **دمشق** وبعضها من **حمص** وبعضها من **الاردن** وبعضها من **فلسطين** . وكان نزول الفلسطينيين أول الأمر في ناحية **باجة في الأندلس** (الروض المعطار ٧٥) .

وعندما ركب **أبو الخطار الكلبي** من إفريقيا إلى الأندلس على إثر احتدام الصراع بين **القبائل القيسية واليمانية** سنة ١٢٥ هـ ، دان له جميع أهل الأندلس ، وكثر أهل الشام عنده في **قرطبة** ، ولم تحملهم قرطبة ففرّقهم في البلاد ، وأنزل كل قوم من الشاميين على شبه منازلهم التي جاءوا منها وتوسّع لهم في البلاد ، فأنزل أهل دمشق مدينة **إلبيرة** لشبهها بها وسمّاها دمشق ، وأنزل أهل حمص **إشبيلية** وسمّاها حمص ، **وأهل قنسرين جيّان** وسمّاها قنسرين ، وأهل الأردن **ريّة ومالقة** وسماها الأردن ، وأهل فلسطين **شذونة** وهي **شريش** وسمّاها فلسطين (تاريخ افتتاح الأندلس ص ٢٠ ، البيان المغرب ٣٥/٢ ، الحلة السيراء ٦١/١ ، الروض المعطار ٣٣٩ ، نفح الطيب ٢٣٧/١) .

وحسب هذه القاعدة التي اعتمدها أبو الخطار الكلبي في توزيع عرب الشام فإن شذونة تكون شبه فلسطين ، وقد جاء في الروض المعطار (ص ٣٣٩) أن شذونة من الكور المجندة التي نزلها جند فلسطين من العرب ، وهي كورة جليلة القدر جامعة لخيرات البر والبحر ، كريمة البقعة ، عذبة التربة ، . . . وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة ١٣٦ وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام . . . الخ .

وقد سميت بعض المدن الأندلسية بأسماء مدن في فلسطين مثل الرملة ، وهي مدينة بوادي آش في الأندلس (نفح الطيب ٢٨٨/٤) .

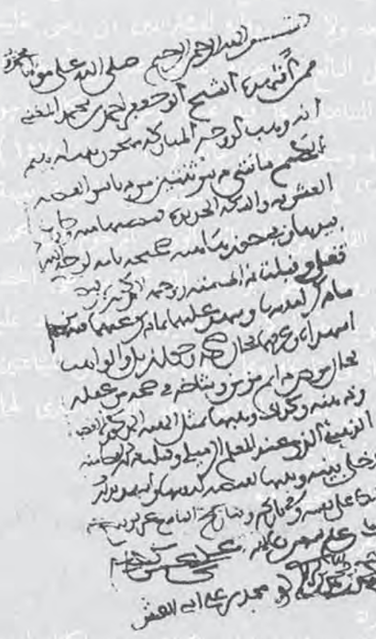
ولاية فلسطينية على الأندلس

وبعد أن دانت له الأندلس تعصّب أبو الخطار لليمانية ، فخشي أهل الأندلس من عواقب هذا الانحياز فاجتمعت القبائل العربية ورأوا تقديم رجل عليهم فكتبوا إلى **ثوابة بن سلامة الجذامي** من جند فلسطين ثم وفدوا عليه فأجابهم وأجابتهم **قبائل لخم وجذام** فبلغ ذلك أبا الخطار فغزاهم ، فلقيه ثوابة فهزمه وأسره وسار به حتى دخل قصر قرطبة وأبو الخطار في القيود ، ثم إنه أفلت . وولي ثوابة الأندلس سنة ١٢٧ هـ حتى سنة ١٢٩ هـ ، وحين ذلك استجاش أبو الخطار اليمانية ودعاهم للنصرة على **المضرية** فاجتمع له إذ ذاك عسكر ضخم وأقبل إلى قرطبة ، فخرج ثوابة بن سلامة إلى لقائه ، فافترق الناس عن أبي الخطار ونفروا عن تلقائه ، وهزم أبو الخطار مرة ثانية ، وقد توفي ثوابة بعد ذلك ، ولما توفي عادت الأندلس إلى ما كانت عليه وظلت الأندلس بعده بلا والٍ لمدة أربعة أشهر (البيان المغرب ٣٤/٢ ، ٣٥) .

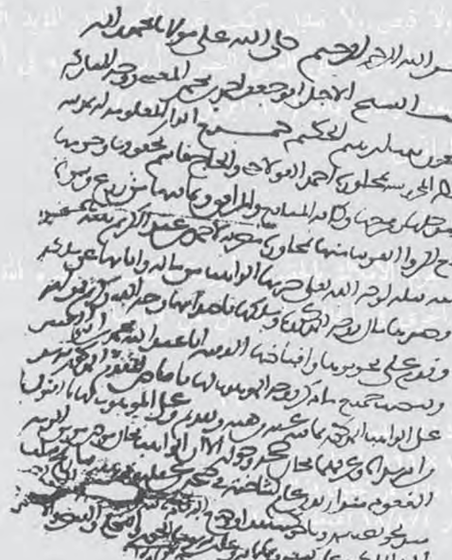
وقد هيأت هذه الخلافات أهل الأندلس لترحيبهم بعبد الرحمن الداخل الذي جاء إلى الأندلس سنة ١٣٨ هـ ، وقد كان جند فلسطين من أوائل المرحّبين بالداخل كما ناصروه في قتاله **ليوسف الفهري** الذي انهزم بعد ذلك أمام جنود الداخل (البيان المغرب ٤٥/٢ ، ٤٦ ، نفح الطيب ٣٢٨/١ ، ٥٠/٣) وكان والي شذونة في هذه الأثناء **عتاب بن علقمة اللخمي** وكان أبوه من رؤساء الشاميين في تلك الناحية ، وكان من رؤساء الشاميين في شذونة أيضاً **أبو علاقة الجذامي وزياد ابن عمرو الجذامي** وغيرهم (تاريخ افتتاح الأندلس ٢٢) .

كثافة عسكرية وبطولات مجيدة

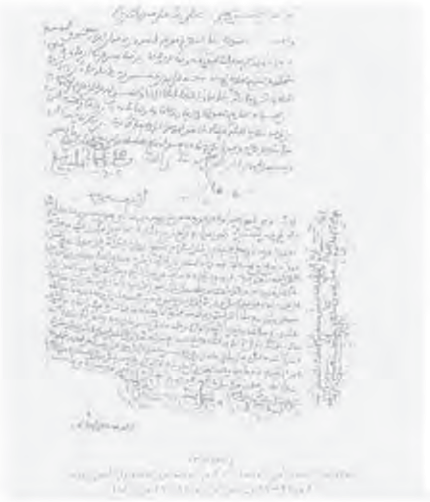
كانت مدينة شذونة في زمن الأمير **هشام بن عبد الرحمن** وابنه الحكم وحفيده **محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام** تشكل أكبر قوة عسكرية في



الوثيقة رقم ٥١
إقرار بهبة
(ص ٩٤ من النص العربي و ١٠٠ من الترجمة)



الوثيقة رقم ٥٣
إقرار بهبة
(ص ٩٦ من النص العربي و ١٠٢ — ١٠٣ من الترجمة)



بلاد الأندلس ، فقد كان عدة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة إلى **جليقية** في زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم تشير إلى أن شذونة جندت ستة آلاف وسبعمائة وتسعين فارساً وهي تمثل أعلى رقم ترسل به إحدى الكور (انظر تفاصيل أعداد الفرسان للكور المختلفة في المقتبس ٢٧١ ، البيان المغرب ١٠٩/٢) .

وفي زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم برز من جند فلسطين قائد صلب هو **القاضي الفرج بن كنانة بن نزار بن عتبان بن مالك الكناني** ، وكان يسكن شذونة ، وقد قام بحملات عديدة في الثغور ، وكان معقوداً له على جند شذونة من الغرب مع **عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث** إلى جليقية ، وقد فضّ جنود الأعداء وقتل منهم قتلاً ذريعاً وأسر فرسانهم وقائدهم ، وخرج في اليوم التالي بعشرة آلاف فارس يتعقب أثر **اذفونش** ، فانهزم عنه اذفونش وأسلم جميع عدته وذخائره ، وغنم المسلمون جميع ذلك ، وكان ذلك سنة ١٧٩ هـ (قضاة قرطبة ص ٤١ ، تاريخ علماء الأندلس ٣٤٩/١ ، البيان المغرب ٦٤/٢) .

وبعد هذه الانتصارات استقدمه الحكم من شذونة ، وولاه قضاء الجماعة في الأندلس ، وظلّ القضاء متردداً في ولده بشذونة في أيام الخلفاء (قضاة قرطبة ٤٠) .

وذكرت المصادر أن عقبه بشذونة كثير ، وكان منهم عالم يدعى **أبا العباس ابن كنانة** كان كثير الطلب للعلم وولاه **أمير المؤمنين الناصر** قضاء شذونة (قضاة قرطبة ٤٣) .

ومنهم أيضاً **خلف بن حامد بن الفرج بن كنانة الكناني** محدث مشهور مذكور بالفضل ولي قضاء شذونة في أيام عبد الرحمن الناصر (بغية الملتمس ٢٨٣) ولهذا الأخير بشذونة عقب (تاريخ علماء الأندلس ١٣٤/١) .

قضاة فلسطينيون في الأندلس

لم يكن الفرج بن كنانة وعقبة الفلسطينيين الوحيدين اللذين تولّيا قضاء الأندلس عامة أو قضاء ناحية من نواحي الأندلس ، بل ذكرت المصادر الأندلسية أسماء كثير من القضاة من أصل فلسطيني ، فمن هؤلاء **القاضي عبيد الله بن موسى بن إبراهيم بن مسلم الغافقي** وكان من جند فلسطين ، سكن ناحية الجزيرة وسكن أبناؤه وعقبه في إشبيلية ، وقد ولاه الحكم بن هشام قضاء الجماعة بقرطبة (قضاة قرطبة ص ٤٤) .

ومنهم **القاضي موسى بن محمد بن زياد الجذامي** وهو من العرب الشاميين من جند فلسطين ، وكان أصله بالأندلس من كورة شذونة ، ولاه الأمير عبد الله بن محمد خطة الشرطة وخطة الردّ ثم نقله إلى الشرطة العليا ، ثم ولاه القضاء وخطط الكتابة والوزارة وغير ذلك من المناصب الإدارية الهامّة (قضاة قرطبة ٩٣) . ومنهم **زياد بن عبد الله بن محمد بن زياد** وهو الداخل إلى الأندلس وأصله من عرب الشام من غزّة ولد سنة ٣٤٧ هـ وتوفي سنة ٤٣٠ هـ ، وقد تولّى القضاء في الفتنة في بعض الكور (الصلة ١٨٨/١) .

الرحلات العلمية الفلسطينية إلى الأندلس

وكان كثير من العلماء الفلسطينيين يفدون إلى الأندلس للأخذ عن علمائها واللقاء بشيوخها وأساتذتها في مختلف فروع المعرفة ، وكانت الإقامة في الأندلس تطيب لكثير منهم فيؤثرون البقاء ، ومن هؤلاء **عبد الله بن محمد بن عثمان بن سعيد ... بن كنانة أبو إسماعيل** ، دخل أيام **عبد الرحمن بن معاوية** ودخل معه أخواه أبو يزيد وأبو خالد ، فعاد الأخيران إلى فلسطين وبقي أبو إسماعيل في الأندلس ، وقد سمع من عدد من العلماء الأندلسيين ، وكان ضابطاً لكتبه صدوقاً في روايته ثقة في نقله وسمع منه كثيرون ، وأصله من **غزة** وأقام في قرطبة وتوفي سنة ٣٦٤ هـ ودفن بمقبرة قريش (تاريخ علماء الأندلس ٢٣٢/١) . ومن العلماء الفلسطينيين الوافدين على الأندلس **عبد الملك بن محمد بن عبد الملك ... ابن أمية بن عبد شمس أبو مروان** من أهل بيت المقدس ، قدم إلى الأندلس سنة ٣٦٠ هـ فتوسع له المستنصر بالله وأجرى عليه العطاء مع قريش ، وكان حليماً أديباً لبيساً للثياب ، يلبس الخزّ ويعتمّ به ، حدّث عن كثير من العلماء وكتب عنه كثيرون (تاريخ علماء الأندلس ٢٧٥/١) . وقد اشتهر بالأندلس عدد من العلماء الفلسطينيين مثل **محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني** حدث عنه **إبراهيم ابن عبد الله بن ميسرة الأندلسي** (بغية الملتمس ٢١٩) . ومنهم **أبو إسحق إبراهيم بن العفيف النابلسي** (النفح ٦٩٥/٢) **وآدم بن أبي إياس العسقلاني** (تاريخ علماء الأندلس ١٤٥/١) **وأحمد بن سيبان الرملي** المتوفي سنة ٣٠٨ هـ وقد سمع منه بعض العلماء بقرطبة (تاريخ علماء الأندلس ١٧٨/١) ، ومنهم **عبد الله بن أحمد الفقيه المقدسي** (تاريخ علماء الأندلس ١٧٥/٢) .

ونلاحظ أن هؤلاء العلماء قد التصقت بهم أسماء البلاد التي جاءوا منها ، وأنه كانت لهم نشاطات علمية كثيرة من سماع ورواية وأخذ وتحديث .

تجارة وعلم واستقرار

وقد ورد على الأندلس بعض التجار من أهل فلسطين ، فاستقروا في الأندلس وشاركوا في الحركة العلمية من أمثال **أيوب بن نصر بن علي بن المبارك الشامي المقدسي** يكنى أبا العلاء ، قدم الأندلس تاجراً سنة ٤٢٤ هـ ، وكانت له رواية بالشام وغيرها ، وكان ثقة حافظاً شافعيّ المذهب (الصلة ١١٣/١) . ومنهم : **علي بن أحمد بن علي بن عبد الله الربعي المقدسي الشافعي** التاجر يكنى أبا الحسن المتوفى سنة ٥٣١ هـ سكن المرية ، وله سماع من **نصر بن إبراهيم المقدسي** (الصلة ٤٣٣/٢) .

الرحلات الأندلسية إلى فلسطين

كان الطريق البحري الذي يصل سواحل فلسطين بسواحل الأندلس يشهد تحركات قبيل الفتح الإسلامي للأندلس ، فهو الطريق نفسه الذي سلكه **القائد الروماني إشبان بن طيطش** لدى خروجه من إشبيلية لمهاجمة القدس الشريف ونهب كثير من آثاره ومحتوياته (البيان المغرب ١٧/٢ ، نفح الطيب ١٣٥/١ ، ١٣٨ ، ١٦١) .

أما بعد الفتح الإسلامي فإن الموانئ التي كانت تقذف بالفاتحين العرب نحو جزر **البحر المتوسط** وبلدان حوض البحر المتوسط كانت مستعدة لاستقبال الوافدين إليها من أهل البلدان المفتوحة وكان **ميناء عكا** من أشهر هذه الموانئ وأحفلها حركة ، ففي سنة ٤١ هـ أقام معاوية فيها داراً لبناء السفن (الملاحة وعلوم البحار عند العرب ٨٩) ، وفي سنة ٢٥٤ هـ بنى فيها **أحمد بن طولون** استحكامات بحرية قوية (المصدر نفسه ٩٠) . وكانت **عسقلان** أيضاً من أشهر الموانئ الساحلية كان ينزلها تجار الأندلس ورحّالتها وعلماؤها وحجّاجها .

ففي أول أيام افتتاح الأندلس وقع ظلمٌ على **سارة القوطية** وأخويها من قبل عمهم أرطباس الذي استولى على تركتهم ، فجاءت تشكو ظلم عمها إلى هشام بن عبد الملك في دمشق ، فنزلت مع أخويها بالمراكب في عسقلان ، ثم مضت بعد ذلك إلى الخليفة هشام (تاريخ افتتاح الأندلس /ابن القوطية ص ٥) .

وكان أهل الأندلس يفدون إلى فلسطين لغايات كثيرة إما للتجارة أو زيارة القدس الشريف ، أو للقاء العلماء أو غير ذلك ، ولم يكن غريباً على أهل الأندلس الذين اشتهروا بالتجارة أن يأتوا إلى فلسطين لتسويق بضائعهم أو استبدالها ببضائع جديدة ، لأن مدينة عكا كانت ملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق (الروض المعطار ٤١٠) ، وقد كان **ذو النون الأخميمي** يسافر كل عام إلى بيت المقدس ، وكان يمرّ في كل مرة على مدينة الرملة ويتجر بها (الصلة ٣٧٨/٢) ، وكان بعض هؤلاء التجار يأتون إلى فلسطين لنقل أدوات الزينة والبناء من فلسطين إلى الأندلس ، ومن هؤلاء **ربيع الاسقف وأحمد اليوناني** (نفح الطيب ٥٦٨/١) .

وكان كثير من أهل الأندلس بحكم حرصهم على العلوم وعنايتهم بها واعتدادهم بعلوم أهل المشرق يأتون إلى فلسطين للرواية والسماع ونقل الكتب والدراسة على مشايخ الشام مما جعل من مدن فلسطين المختلفة **القدس والخليل ونابلس وعكا والرملة وعسقلان وغزة وطبرية واللّد وغيرها مراكز اشعاع علمي وثقافي يجتمع إليها العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية** ، وقد ذكر ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس (١٢٩/٢) أن **مسلمة بن القاسم بن إبراهيم الأندلسي** المتوفى سنة ٣٥٣ هـ كتب بالرملة عن يحيى بن موسى ويعقوب بن حجر العسقلاني في جماعة كثيرة من المصريين والمكيين والبغداديين والشاميين واليمانيين .

وقد فاضت كتب التراث الأندلسي بأسماء العلماء الأندلسيين الذين جاءوا إلى فلسطين لهذه الغاية ، منهم **عمرو بن حفص القرطبي** الذي رحل إلى المشرق سنة ٢٦٠ هـ والتقى بأحمد بن الفضل العسقلاني (تاريخ علماء الأندلس ٣٢١/١) . ومنهم **عبدوس بن محمد بن عبدوس الطليطلي** المتوفى سنة ٣٩٠ هـ جاء إلى فلسطين وكتب عن أحمد بن صالح الرملي وأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم المقدسي (نفسه ٣٤١/١) . ومنهم محمد بن موسى بن هاشم القرطبي سمع بقيسارية (نفسه ٢٩/٢) . ومنهم **محمد بن وضّاح القرطبي** سمع من آدم بن أبي إياس العسقلاني ومحمد بن عمرو الغزّي (نفسه ١٥/٢) ومنهم **عبيد الله بن عمر** المتوفى سنة ٣٦٠ هـ سمع بالرملة من كثير من العلماء (نفسه ٢٥٤/٢) . ومنهم **محمد بن عبد الحميد القرطبي** سمع بالرملة من عدة علماء (نفسه ٥٣/٢) .

ومن هؤلاء العلماء أيضاً **أحمد بن محمد بن عبادل القرطبي** سمع بفلسطين من **أبي زكريا النخاس (نفسه ٤٦/١) . ومنهم خلف بن قاسم بن سهل الأزدي القرطبي** المعروف **بابن الدبّاغ** رحل سنة ٣٤٥ هـ وسمع من علماء الرملة وعسقلان والقدس (نفسه ١٣٧/١) ومنهم **أبو علي الحسن بن خلف الداني** سمع ببيت المقدس من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي وبعسقلان من أبي عبد الله محمد بن الحسن التجيبي (نفح الطيب ٥٠٨/٢) وهذا يدل على أن الأندلسيين كانوا يأخذون عن بعضهم بعضاً في فلسطين .

ومنهم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرّج القرطبي** المولود سنة ٣١٥ هـ سمع بغزة وعسقلان وطبرية والرملة وقيسارية من علماء كثيرين (انظر أسماء العلماء الفلسطينيين الذين أخذ عنهم ابن مفرج في نفح الطيب ٢١٨/٢ ، وتاريخ علماء الأندلس ٩١/٢) . ومنهم **محمد بن علي بن الحسن القرطبي** المتوفى سنة ٣٧٢ هـ سمع بالرملة وبيت المقدس (النفح ٥٧/٢) ومنهم **أبو إسحق إبراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم الغافقي** الأندلسي المتوفى سنة ٤٠٤ هـ وله سماع بالرملة (النفح ٦٠٥/٢) . ومنهم **عبيد الله بن محمد بن أحمد القيسي القرطبي** سمع ببيت المقدس وعسقلان والرملة (تاريخ علماء الأندلس ٣٤١/١) .

وكان هؤلاء العلماء ينقلون كتب أهل المشرق معهم إلى الأندلس ، فهذا **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المالقي** المتوفى سنة ٦٤٥ هـ يلقى أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي ويأخذ عنه كتابه «تحقيق الجواب عمن أجيز له ما فاته من الكتاب» ويرجع به إلى الأندلس (النفح ٥٢/٢) ؛ وهذا **هاشم بن يحيى بن حجاج البطليوسي** يسمع ببيت المقدس من **الفضل بن عبيد الله الهاشمي وابن السرّاج ومحمد بن إبراهيم المقدسي وأحمد بن محمود الشمعي** ، ويسمع بغزة من **أبي الحسن علي بن العباس الغزي** ويكتب عنه تفسير عبد الرزاق حدث به عن الظهراني . (تاريخ علماء الأندلس ١٧٣/٢) .

وكان من مشايخ لسان الدين بن الخطيب بعض العلماء من أهل فلسطين منهم بالقدس **علاء الدين أبو الحسن علي بن أيوب** ، وخطيب القدس **النور بن صائغ المقدسي ومحمد بن علي بن مثبت الأندلسي ، والبرهان الجعبري إمام الخليل** (النفح ٣٩٤/٥ ، ٣٩٥) .

وكان كثير من هؤلاء العلماء الأندلسيين يلقون حتفهم في فلسطين مثل **محمد ابن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبون الخولاني** خرج من إشبيلية وتوفي بعسقلان (الصلة ٥٠٤/٢) .

وكانت الأهمية الدينية لمدينة القدس من أقوى العوامل في استقطاب المسلمين بمن فيهم مسلمو الأندلس ، فكانوا يأتون إليها زواراً ومجاورين ومستهلين حجّهم بالصلاة فيها وعلماء ومقيمين وذلك عملاً بالأحاديث النبوية الشريفة حول فضل الصلاة في بيت المقدس وشدّ الرحال إليه وزيارته والحج إليه من مثل قوله عليه الصلاة والسلام : «من أهلّ بحج أو عمرة من المسجد الأقصى الشريف إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة» (الأنس الجليل ٢٣٠/١) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «من زار بيت المقدس محتسباً حرّم الله لحمه وجسده على النار» (نفسه ٢٢٩/١) وقوله عليه الصلاة والسلام : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» (نفسه ٢٣٠/١) .

ومن الأندلسيين الذين جاوروا مسرى الرسول عليه الصلاة والسلام علي بن أحمد القادسي الكناني (النفح ١٢٤/٢) وإسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري الأبّذي الأندلسي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

وعندما استولى الفرنج على القدس سنة ٤٩٢ هـ قتل في المسجد الأقصى أعداد كبيرة من أئمة المسلمين ممن جاوروا في هذا الموضع الشريف (الأنس الجليل ٣٠٧/١) . وكان كثير من هؤلاء الحجّاج الذين يزورون القدس ينتهزون فرصة لقائهم فيتبادلون المعارف والعلوم ، فمن هؤلاء **الفقية أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي** المتوفى سنة ٥٢٠ هـ صاحب سراج الملوك رحل إلى فلسطين ٤٧٦ هـ وكان ينام في بيت المقدس والتقى بالإمام **أبي بكر بن العربي الاشبيلي** وحجّ على نفقة **الإمام أبي بكر الشاشي** (خريدة القصر ق٤ ج١ ص٤٠٢) (النفح ٨٦/٢)



(الأنس الجليل ١/٣٠١) . أما **أبو بكر ابن العربي** فقد دخل المشرق سنة ٤٨٥ هـ وصحب **الشاشي والغزالي** وقدم بيت المقدس وروى عنه خلق كثير من العلماء وتوفي سنة ٥٤٣ هـ (الأنس الجليل ١/٣٠٢) .

ومن الأندلسيين الذين رحلوا إلى القدس **محمد بن ميسور القرطبي** وقد سمع في القدس أحاديث (تاريخ علماء الأندلس ٢/٦٠) **وحبيب بن نسيب التميمي القرطبي** وقد سمع ببيت المقدس من أبي إسحق إبراهيم بن أحمد (نفسه ١/١١٢) ، ومنهم أيضاً **إبراهيم بن حارث بن عبد الملك المقري** من أهل قرطبة دخل بيت المقدس وكتب عنه نفر من العلماء وتوفي سنة ٣٩١ هـ (نفسه ١/٢٠) .

وكان بعض الأندلسيين يتخذ من زيارة القدس عادة يقوم بها بين الحين والحين فقد كان **ذو النون الإخميمي** يسافر كل عام إلى بيت المقدس (الصلة ٢/٣٧٨) وكان **محمد بن أبي الحسام بن طاهر القيسي التدميري** يرحل إلى بيت المقدس ويلق العلماء وتوفي سنة ٣٧٩ هـ (بغية الملتمس ٨٣) .

وكان أهل الأندلس يستهلّون حجّهم إلى مكة المكرمة بزيارة بيت المقدس ، وجعلوا من ذلك سُنّة للفضل الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام لهذا الاستهلال ، وقد سهل عليهم ذلك وقوع فلسطين في طريقهم بين الأندلس وبلاد الحجاز ، **فقد كانت فلسطين إحدى الممرات الرئيسية لحجاج الأندلس ، إذ كانت المراكب الأندلسية تخرج من موانىء الأندلس الشرقية وتمرّ بجزيرة قبرص وكريت وتنتهي إلى عكا** ، وكانت الرحلة بين الأندلس وعكا تستغرق حوالي ستة عشر يوماً (انظر التفصيلات حول هذا الطريق البحري ، في ترجمة محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي ، في الذيل والتكملة ق٢ سفره ص ٦٩٠) (النفح ٢/٥١٥) .

ومن الأندلسيين الذين عرجوا على بيت المقدس في طريقهم إلى الحج **علي بن خلف بن ذي النون بن عياض العبسي** المتوفى سنة ٤٩٨ هـ ، فقد حج ودخل الشام وتسمع ببيت المقدس من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (الصلة ٢/٤٢٣) ، ومنهم **سعيد بن مرشد العكي** من أهل شذونة يكنى أبا عثمان رحل حاجاً في آخر عمره فتمّ حجّه ودخل بيت المقدس وتوفي سنة ٣٧٣ هـ (تاريخ علماء الأندلس ١/١٧٢) .

وقد أقام بعض أهل الأندلس في فلسطين وتولوا فيها مناصب جليلة فمن هؤلاء **أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي** المتوفى سنة ٦٨٥ هـ فقد انتقل إلى القدس الشريف فأقام بها وتولى مشيخة الحرم ومشيخة المدرسة الفاضلية (النفح ٢/١٣١ ، ٦٢٧) .

ومنهم **ابن غصن الإشبيلي** المتوفى بالقدس سنة ٧٣٣ هـ فقد أقرأ القرآن ببيت المقدس (النفح ٢/٢٠٧) ومنهم **قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد الأنصاري المغربي الأندلسي المالكي** المتوفى سنة ٨٨٥ هـ فقد أقام في القدس وتولّى فيها قضاء المالكية (الأنس الجليل ٢/٢٥٣) .

وبعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٦ هـ ، يخرج قاضي غرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق ، يستنفر ملوك الأرض فلم يستجب له أحد ، فيأتي إلى القدس ويوليه السلطان الملك الأشرف قضاء المالكية في القدس (الأنس الجليل ٢/٢٥٥) .

وقد دفن كثير من العلماء الأندلسيين في القدس منهم أبو عبد الله القرشي الهاشمي الأندلسي خرج إلى فلسطين فزار مدينة الخليل وأتى القدس وأقام بها إلى حين وفاته سنة ٥٩٩ هـ ودفن فيها وقبره هناك (النفح ٢/٥٤) ، ومنهم محمد بن عبد الله بن تمام من أهل طليطلة توفي ببيت المقدس سنة ٣٤١ هـ (تاريخ علماء الأندلس ٢/٦١) .

* * *

ولا أستطيع الجزم بقدوم بعض أهل الأندلس متطوعين للدفاع عن بيت المقدس لدى تعرضه للغزوات الصليبية ، ولكن هناك بعض الإشارات التي توحي بتوفر الاستعداد لهذا الدفاع ، ولا أستبعد أن يكون هذا الاستعداد قد ترجم إلى عمل فعلي خاصة في الوقت الذي كان فيه كثير من أهل الأندلس يتواجدون في بلاد الشام وبالقرب من دائرة الأحداث ، وأبرز هذه الدلائل على وجود هذا الاستعداد ، ذلك الشعور الغاضب إزاء استيلاء الصليبيين على مدينة القدس سنة ٤٩٢ هـ .

فقد عبّر مسلمو الأندلس عن سخطهم لما حلّ بالقدس بأن قاموا بهجمات مضادة على جيرانهم من القشتاليين (الملاحة وعلوم البحار عند العرب ص ١٠٢) .

كما أنني لا أستبعد وجود عناصر أندلسية بين القوات المغربية التي كانت تحارب إلى جانب قوات صلاح الدين ، لأنه لم يكن هناك حواجز بين الأندلس والمغرب خاصة بعد أن خضعت الأندلس للمرابطين والموحدين من أهل المغرب .

كما نلاحظ في حالات كثيرة أن بعض الأندلسيين يعبرون عن مشاعر التأييد لصلاح الدين من خلال المدائح التي أزجوها له ، فحين فتح صلاح الدين القدس تحرك **ابن جبير** من غرناطة في رحلته الثانية وجاء إلى القدس مهنئاً (الذيل والتكملة ق٢ سفره ص ٦٠٥) . وكان ابن جبير في رحلته الأولى قد مدح صلاح الدين وهجا الصليبيين بقصيدة طويلة منها :

كسرتَ صليبَهم عنوةً ... فلله درّك من كاسر
وغيّرتَ آثارهم كلَّها ... فليس لها الدهر من جابر
وأمضيتَ جدّك في غزوهم ... فتعساً لجدّهم العاثر
فأدبر ملكهم بالشآم ... وولّى كأمسهم الدابر
جنودك بالرعب منصورةٌ ... فناجزْ متى شئتَ أو صابر

. . . .

فتحتَ المقدس من أرضه ... فعادتْ إلى وصفها الطاهر
وجئتَ إلى قدسه المرتضى ... فخلّصته من يد الكافر

(النفح ٢/٤٨٨) (الذيل والتكملة ق٢ سفره ص ٥٩٩)

وهذا الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني الغرناطي يأتي إلى عسكر صلاح الدين سنة ٥٨٦ هـ بظاهر عكا وقد

جرحت فرسه فيشكو ذلك إلى صلاح الدين ويمدحه بقصيدة منها :

أيا ملكاً أفنى العداة حسامُهُ ومنتجعاً أغنى العفاة ابتسامه
لقاؤك يوماً في الزمان سعادةٌ فكيف بشاوٍ في حماك خمامه
. . . .
ولي فرسٌ أصماه سهمٌ فردّه أثافيّ ربع بالثلاث قيامه
تعمّر بالجراحة ساحةٌ وعطّل منه سرجه ولجامه

. . . الخ . (النفح ٦٣٥/٢)

وكان بعض الأندلسيين الذين استقروا في بلاد الشام مقربين من صلاح الدين الأيوبي ، فهذا **علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري** من مالقة يستوطن بلاد الشام ويعيّنه صلاح الدين خطيباً لبيت المقدس وصاحب الصلاة فيه (الذيل والتكملة ق١ سفره ص ٣١٥ ، ٣١٦) .

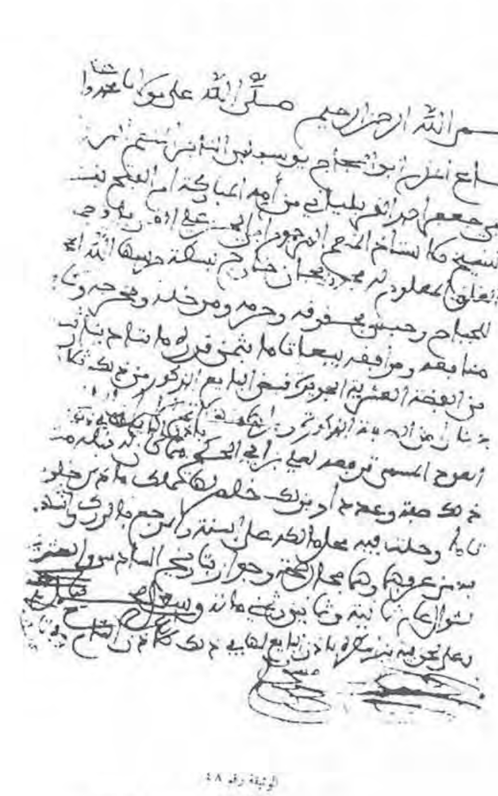
خاتمة

وبعد فالطريق بين فلسطين والأندلس كانت نابضة بالحياة قبل بعثة نبيّنا عليه الصلاة والسلام وبعد بعثتها ، كانت عامرة مأهولة بالناس والأقوام والكتائب والقوافل ، فأهل فلسطين سلكوا هذا الطريق لمساندة إخوانهم المجاهدين الفاتحين المرابطين في الثغور الغربية مثلما سلكوها لترويج بضائعهم وكسب معاشهم ، مثلما سلكوها منقّبين عن رواية أو حديث أو خبر أو بيت من الشعر أو كتاب ساعين للقاء شيخ أو عالم هنا أو هناك . وفي الأندلس أقاموا واستوطنوا وتناسلوا وتكاثروا وانتشروا في أرجاء الأندلس واحتلوا المناصب وقادوا الجيوش .

وجاء أهل الأندلس إلى فلسطين زواراً إلى مسرى الرسول ﷺ وعلماء باحثين منقبين ، فاجتمعوا بعلماء فلسطين وتبادلوا معهم ما جدّ وما قدّم من إبداع علميّ وحضاري ، وجاءوا تجاراً وباحثين عن رزقهم مثلما وفدوا للحضّ على صدّ الغزاة عن مسرى الرسول ﷺ ، وكثيراً ما كانت تطيب لهم الإقامة في فلسطين فلا يفارقونها إلى حين وفاتهم . . وقد نشطت هذه الطريق أثناء المدّ الإسلامي وأثناء استقرار العرب في الأندلس ، إذْ كان من الطبيعي أن لا ينقطع الاتصال الثقافي والعسكري والتجاري ، الديني بين هذين الجزءين من جسم العالم الإسلامي اللذين حلّ بهما فيما بعد مصير مشترك .



الوثيقة رقم ٣٤
عقد بيع وشهادة مخالصة مع إضافات على الحاشية
(ص ٦٦ – ٦٧ من النص العربي و ٦٩ – ٧٠ من الترجمة)



الوثيقة رقم ٤٨
عقد بيع
(ص ٩٠ – ٩١ من النص العربي و ٩٦ من الترجمة)

المصادر والمراجع

١ – الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢ج ، مجير الدين الحنبلي ، عمان ١٩٧٣م .
٢ – بغية الملتمس ، الضبّي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ١٩٦٧م .
٣ – البيان المغرب ٤ج ، ابن عذاري المراكشي ، تحقيق كولان وبروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت .
٤ – تاريخ افتتاح الأندلس ، ابن القوطية القرطبي ، مدريد ١٨٦٨م .
٥ – تاريخ علماء الأندلس ٢ج ، ابن الفرضي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
٦ – الحلة السيراء ٢ج ، ابن الأبار ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣م .
٧ – خريدة القصر ، ق٤ ٢ج ، العماد الأصفهاني ، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، دار نهضة مصر ١٩٦٤م .
٨ – الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (السفر الخامس ٢ق) لابن عبد الملك المراكشي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥م .
٩ – الروض المعطار ، محمد بن عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠م .
١٠ – الصلة ٢ج ، ابن بشكوال ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
١١ – فتوح البلدان ، للبلاذري ، تحقيق الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٥٧م .
١٢ – فتوح مصر والمغرب ، ابن عبد الحكم ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ١٩٦١م .
١٣ – قضاة قرطبة ، الخشني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
١٤ – المقتبس في أنباء أهل الأندلس ، لابن حيان ، تحقيق محمود مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٣م .
١٥ – الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، الدكتور أنور عبد العظيم ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ١٩٧٩م .
١٦ – نفح الطيب ٨ج ، للمقّري ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨م .

جيل ١٩٢٧ في الأدب الإسباني

بقلم : محمد القاضي



★ رفائيل البرتي ★

عرف التاريخ الأدبي في إسبانيا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى موجة من الحركات الأدبية ، كان أبرزها تلك التي عرفت «بجيل ٢٧» . **إنهم مجموعة من الشعراء كانت تجمعهم صداقة متينة ويؤلف بينهم أسلوب مشترك . وقد أطلق عليهم الناقد أرتيجا إي كاسيت «أحفاد جيل ٩٨»[1] .**

وسنة ١٩٢٧ م ، التي أطلق اسمها على هذا الجيل مهمة لسببين ففيها **أولا** ظهرت هذه المجموعة من الشعراء الشبان أمام الجمهور لأول مرة **في معهد اشبيلية** : بفضل سخاء «**إجنائيو سانشيث**» مصارع الثيران والكاتب المشهور والصديق المخلص لكل أعضاء المجموعة . وفيها **ثانياً** كون هؤلاء الشبان مجموعة متراصة ، فواجهوا أمام الملأ عنف النقد الرسمي الأكاديمي ، جاعلين أساس المعركة الشاعر «**غونغورا**» (١٥٦١ ـ ١٦٢٧ م) ، وذلك بسبب الاحتفال بمرور المئة الثالثة على وفاته .

فقد كان هذا الاحتفال أشبه بمظاهرة أدبية ضخمة ألفت ما بين شعراء الاتجاهات الطليعية الجديدة ، ونظمت عقدهم في مسلك واحد إن لم يكن في مذهب متسق متجانس .

وإذا كان هذا الجيل من الشعراء المعطاء قد تبارى في ميدان التجديد مع الحفاظ على روح الأصالة فليس معنى ذلك أن رواده قد انطلقوا من تجربة فنية وتخيلية واحدة ومتشابهة ، بل إن كل واحد منهم قد تميز عن الآخر لغة وفناً وموضوعاً ، بحيث يمكن أن يقال بأن **جيل العشرينات كان في عطائه الشعري نغمات وتطلعات تتكامل ولا تتكرر . وما زال الإنتاج الشعري لهذا الجيل هو الذي يغذي قراء الشعر ومحبيه في العالم الناطق بالإسبانية حتى اليوم .**

وليس هناك من يشك في أن نسيم هذا الجيل يمكن أن يكون قد ساعد على منح جائزة «نوبل» للآداب لسنة ١٩٧٧ م ، «لفيسنتي اليكسندري» أحد أعضاء الجيل ، هذا الشاعر الباقي على قيد الحياة من مجموعة قاست كوارث الحرب وأهوال السلم[2] .

ورغم الظروف الصعبة ، والحوادث التاريخية التي وقعت أثناء سنوات الحرب ، **الحرب الأهلية ١٩٣٦ م ، والاضطهاد النازي ، والحرب العالمية الثانية ،** وتفجير القنبلة الذرية الأولى ، لم تستطع أن تمر على جيل السابع والعشرين دون أن تترك تأثيرها واضحاً على حياته وعلى أشعاره . زيادة على المشاكل الكثيرة التي تعرضوا لها في حياتهم لم تكن قادرة لتقضي على صلة الصداقة التي جمعت هؤلاء ، ويقول : «فيسنتي اليكسندري» : «إن جيلي ، لحسن الحظ ، كان قبل كل شيء جماعة من الأصدقاء الذين رغم مجاهرتهم بمذاهب مختلفة ، كانوا يتمتعون بامتياز غير عادي : المحبة بين الأصدقاء التي حوفظ عليها عبر كل الأعوام وكل الظروف ، نحن ـ الباقين على قيد الحياة ـ ما زلنا نحافظ على هذا التضامن ، وإننا فخورون به . إنه أول شيء نعلنه دائماً»[3] ، زيادة على أن المجموعة استمرت جيدة في عطائها الشعري . ويقول الناقد الإسباني «**خوسي لويس كانو**»[4] : «إنه منذ سنة ١٩٣٦ م ، كان شعر الجيل قاسياً ومؤلماً بسبب مأساة الحرب والنفي عن الوطن وإهدار الحريات والتفكير في المشاكل الإنسانية للحظة التاريخية التي كان على كل شاعر أن يعيشها» .

إن «جيل ٢٧» كان جيلاً جمهورياً ، ولا عجب في ذلك ، فكل أعضائه أيد جانب الجمهورية حين ابتدأت الحركة العسكرية . كما أن أغلبهم ـ **البيرتي ـ اليكسندري ـ ثيرنودا ـ برادوس ـ الطولاكيري** ـ تعاونوا مع المجلات الأدبية التي كانت الجمهورية تشرف عليها طيلة أيام الحرب ، مثل «**ساعة إسبانيا**» و«**البذلة الزرقاء**» .

واليوم وقد مر نصف قرن على بدايات هذا الجيل وبعد انتهاء مأساة الحرب الأهلية وما تمخضت عنه من نفي بعض أفراد المجموعة طيلة عدة سنوات ، فإن الباقين منهم على قيد الحياة هم خمسة : **خورخي جيجين ـ داماسو الونسو ـ خيرار دو دييكو ـ رفائيل البيرتي ـ فيسنتي اليكسندري .**



★ فيسنتي اليكسندري ★

أبرز شعراء الجيل

١ ـ فديريكو غارسيا لوركا
FEDERICO GARCIA LORCA
(١٨٩٨ ـ ١٩٣٦ م)

يعتبر هذا الأديب **الغرناطي** ـ علاوة على كونه **كاتباً مسرحياً نابهاً، وموسيقياً بارعاً، ورساماً قديراً ـ يعتبر من أكبر الشعراء الإسبان في القرن العشرين .**

ولد فديريكو عام ١٨٩٨ م، ببلدة «**فوينتي باكيروس**» الواقعة على نهر **شنيل**، من أعمال غرناطة، ودرس في **كليتي الآداب والحقوق بجامعة غرناطة**، حيث اتجهت ميول الشاعر إلى القراءات الأدبية والفنية، وكان الفنان الإسباني «**مانويل دي فايا**» أحد أساتذته في الفن الموسيقي الذي أثر في نفسه تأثيراً عميقاً ساعده على اكتساب الروح الرومانطيقية الرفيعة التي ظل متمسكاً بها في حياته .

وفي سنة ١٩٢٢ م، نشر أول دواوينه الشعرية «**القصائد**»، ثم «**قصيدة الغناء الأندلسي**»، ويليه ديوان «**أغاني**» . وفي سنة ١٩٢٨ م، نشر «**الديوان الغجري**» الذي وطد شهرته في عالم الشعر . والديوان عبارة عن مجموعة من القصائد الشعبية المتعلقة بحياة الغجر وعاداتهم وأخلاقهم وتقاليدهم .

وفي سنة ١٩٢٩ م، سافر إلى **الولايات المتحدة**، فقضى نحو سنة ونصف في **نيويورك** دارساً في **جامعة كولومبيا**، ومنها عرج على **كوبا** حيث قضى شهوراً من سنة ١٩٣٠ م، قبل أن يعود إلى إسبانيا، وكان ثمرة تجربته في الولايات المتحدة ديوان «**شاعر في نيويورك**» الذي يصف فيه انطباعاته عن الجو الذي كان يسود في ذلك العهد العاصمة الاقتصادية الأمريكية، كما وصف حياة **الهنود الحمر** الذين يعيشون في **حي هارلم** بهذه المدينة العملاقة .

وفي عام ١٩٣٥ م، نشر مرثيته لمصارع الثيران «**اجناثيو سانشيث ميخياس**» وفي السنة التالية ينشر آخر ما طبع من دواوينه في حياته وهو «**ست قصائد جليقية**»، ثم نشرت بعد وفاته مجموعته الشعرية الأخيرة «**ديوان التماريت**» .

واشتغل لوركا بالمسرح أيضاً منذ شبابه المبكر، فنشر في سنة ١٩١٩ م، روايته «**شؤم الفراشة**»، ثم «**ماريانا بينيدا**» ١٩٢٥ م، و«**الاسكافية العجيبة**» ١٩٣٠ م، و«**زفاف الدم**» ١٩٣٣ م، و«**يرما**» ١٩٣٤ م، و«**السيدة روسيتا العازبة**» ١٩٣٥ م، وأخيراً «**بيت برنارد ألبا**» ١٩٣٦ م .

وبعد هذا المجد الأدبي الذي أدركه لوركا، وفي اليوم التاسع عشر من شهر أغسطس (آب) عام ١٩٣٦ م، وقبل أن تطلع شمس ذلك اليوم سقط الشاعر على الأرض وهو يتخبط بدمه، ضحية رصاص أطلق عليه بعد اختطافه . وكانت لموته بهذه الطريقة رنة حزن وألم في الأوساط الأدبية العالمية .

شعـره

لوركا شاعر غنى الحياة ورسم أبعاد صورها الكبرى : **الموت والحب والكراهية** . . . وكل ما يحيط بالإنسان من أشياء وموجودات : من **سماء وشمس وقمر، إلى جبل ووعر وشجر** . . . غنى **الطفولة والموت والعالم بألوان زاهية**، ساطعة عتمة، هادئة مضطربة أو صافية .

ثمة تضاد يضطرم في شعر لوركا المتوتر النابض، من الصعب تحديده بأسلوب معين عند القراءة الخاطفة الأولى . وثمة غنى زاخر بالحركة المتوهجة والألوان الصارخة والصور اللاواقعية المكتسبة من الواقع يتصل بصميم الحياة التي يحياها بكل اكتئاب وفرح وتفجر . . . حياة لا منطقية وليست معقولة تخالف كل ما هو طبيعي وعقلي . إن صناع الحياة يتجرعون غصص الموت .

وما من صورة من صوره المفزعة والمدهشة الصارخة المتحضرة، المتوترة المطمئنة إلا ولها اتصال ولو عبر خيط خفيف بصور الحياة الإسبانية المفجعة . **وشخصيات لوركا هي دائماً منبوذة وملقاة خارج النظام الاجتماعي القائم وهي في الوقت ذاته مطاردة من قبل الجور والطغيان**، الذي كان يمثله التمثيل كله «**الحرس المدني**» هذه القوة العمياء المخربة التي لعبت دوراً مهماً في حياة الشعب الإسباني النبيل سواء كان ذلك قبل الحرب الأهلية أو خلالها .

كان لوركا يريد أن يجدد كل التقاليد الشعرية لإسبانيا ويكيفها مع الأسلوب الحديث، في الوقت الذي كانت فيه غالبية الشعراء المعاصرين له يخضعون للتأثيرات الأجنبية الفرنسية على الأخص يستوحون «**فاليري**» وشعراء **السريالية**، ويحاولون أن يزرعوا في **الجزيرة الايبيرية** عصرية مشابهة للحركة الفكرية التي لم يعد أحد يذكرها في **باريس** .

كانت الكلمة الشاعرة الحرة وحدها تستقل بقلبه وتستأثر باهتمامه، وقد تلونت هذه الكلمة بأماني وطنه وسحر طبيعته وتأتى له أن يعبر عنها في شعره ومسرحه ومحاضراته أصدق تعبير .

هل تأثر لوركا بالثقافة العربية ؟

يقول الدكتور محمود صبح : «لقد تأثر لوركا كثيراً بالثقافة العربية وهذا التأثير يبدو واضحاً في أعماله الشعرية، فقد استعمل الاستعارات والمجازات، متأثراً بابن خفاجة وابن الزقاق كما استعمل كثيراً من المفردات العربية، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك إذ جاهر بعروبته، كان عندما يسأل : من أين أنت ؟ يجيب : أنا من مملكة غرناطة . ويقول أيضاً : «في كل زاوية من زوايا إسبانيا ثمة دواع وذكريات عربية، إن العربي نحمله في ذواتنا» بعد زوال الحكم العربي

كان العرب الباقون يستعملون « **الخميانو** » وهي اللغة الإسبانية المكتوبة بالحرف العربي ، **وكان لوركا يقول إنه (خميانو) أي عربي مجبر على التكلم باللغة الإسبانية ، وللتدليل على عروبته كان لوركا يرتدي الملابس العربية ويجلس القرفصاء كالعرب ، ومن أقوال «بابلو نيرودا» فيه : «إن لوركا نتاج عربي أندلسي»**(٥) .

ولا بد من الاشارة هنا ، أن لوركا كان رابع وآخر الشعراء الذين أحبوا الحضارة العربية وأخذوا على عاتقهم انشاد مجدها والذين أطلق عليهم الشاعر « ذي موغير » لقب « **الحمرائيون** » .

ومهما يكن فإن التحول العربي في شعر لوركا ليس مفاجئاً فهو قد غنى دائماً **بروج الحمراء القديمة** وشبهها بنجوم ذات ضوء أحمر . فقد صرح لجريدة « **الشمس** » في **مدريد** في العاشر من يونيو/ حزيران عام ١٩٣٦ م ، عن **الحضارة العربية : «حضارة رائعة ، شعر ، علم فلك ، هندسة ، ورقة فريدة في التعالم ، اختفت لتحل محلها مدنية بائسة خائفة وأرض بؤساء ، حيث تتحرك اليوم أسوأ برجوازية إسبانيا»** .

وعلى الرغم من حياة لوركا القصيرة إذ توفي وهو دون الأربعين ، فإنه سرعان ما أصبح أشهر شعراء الطليعة في إسبانيا وخارجها وأكثرهم أصالة ، وإذا كان ممن أوتوا ثقافة عالية أتاحتها له دراسته الجامعية فإنه لا يدين بصيته الذائع في ميدان الشعر والأدب المسرحي لتلك الدراسة بقدر ما يدين لموهبته الفطرية وقدرته العبقرية الملهمة على الغوص إلى القيم الشعرية الحقة في كل ما يحيط به من مظاهر الطبيعة أو ظواهر الحياة .

٢ ـ رفائيل البرتي
RAFAEL ALBERTI
(١٩٠٢م ـ ...)

ولد رفائيل البرتي في بلدة « **بويرتودي سانتا ماريا** » من أعمال **قادس في جنوبي إسبانيا** عام ١٩٠٢ م ، وقد واصل دراسته في **مدرسة الجزويت** ببلدته حتى السنة الثالثة من الثانوي ، هجر بعدها الدراسة كلية ، وكرس نفسه **للرسم** منذ عام ١٩١٧ م ، حين انتقلت أسرته إلى **مدريد** . وقد وصل به الأمر إلى حد إقامة معرض للوحاته في قاعة « **أتونيو** » بمدريد عام ١٩٢٢ م .

اكتشف موهبته الشعرية عندما كتب أول أشعاره في عام ١٩٢٣ م ، وبدأ يهجر الرسم محاولا تنمية موهبته الشعرية ، فعكف على قراءة أشعار « **كارتيلاشو** » و« **غونغورا** » و« **لوبي** » و« **بيكر** » و« **بودلير** » و« **خوان دامون خيمينث** » و« **أنطونيو ماتشادو** » .

في سنة ١٩٢٥ م ، حصل على **الجائزة الوطنية للآداب** بالاشتراك مع الشاعر « خيراردو دييكو » عن أول دواوينه الشعرية « **ملاح على الأرض** » .

وعند انتهاء الحرب الأهلية وسقوط الجمهورية على يد قوات **فرانكو** عام ١٩٣٩ م ، غادر البرتي إسبانيا في اتجاه **الأرجنتين** التي استقر فيها إلى غاية ١٩٦٣ م ، حيث انتقل إلى **إيطاليا** ، ولم يعد إلى بلاده إلا في عام ١٩٧٧ م ، وشارك في الانتخابات ، وفاز بمقعد إقليم « قادس » ، ولكنه تنازل عن مقعده في البرلمان الإسباني بعد مرور أقل من ثلاثة أشهر على انتخابه .

شعره

يعتبر رفائيل البرتي من أشهر الشعراء الأندلسيين بعد لوركا ، وحاول أن يقارن بينه وبين الشاعر الغرناطي الكبير فيقول : **إنني شاعر الأندلس الأسفل ، ولوركا شاعر الأندلس الأعلى** .



* خيراردو دييكو *

وقد بدأ عمله الشعري ضمن إطار الغنائية الشعبية بديوانه ملاح على الأرض ، الذي خلعت عليه المسحة الأندلسية الشعبية الرقيقة أصالة عميقة . وتوالت بعد ذلك دواوينه : « **الحبيبة** » ١٩٢٦ م ، « **الفجر والأزهار** » ١٩٢٧ م ، ضمن نفس الإطار .

وفي سنة ١٩٢٩ م ، كتب « مراث مدنية » واعتبر صدورها أول إرهاص بميلاد **الشعر السياسي الاجتماعي** . وفي سنة ١٩٣٢ م ، نشر ديوانيه الشعريين الأولين « **تعلهات** » و« **الشبح يذرع أوروبا** » ، « هذا شعر البرتي الجديد الذي ما كان ليستسيغه بعض رفاق الجيل ، دل على أن بعضاً آخر منهم يقبله بشكل صريح . وكان أن سأل أحد الصحفيين لوركا عن الشعر الألبرتي ، فأجاب محتجاً بهذه الكلمات : « أعرف أن شعره الحالي صريح . وبقطع النظر عن الاعجاب الذي يكنه بعض الناس للشاعر ، فإن شعره هذا يوحي إلي باحترام كبير »(٦) .

« وفي سبتمبر / أيلول سنة ١٩٣٤ م ، أصدر البرتي الطبعة الأولى لديوانه : « شعر ١٩٢٤ ـ ١٩٣٠ م » « طبع هذا الديوان في دار النشر (الشجرة) التي كان خويسي بيرجامين يديرها » ، بهذه التصريحات : « إن مجلة (صليب وخط) حين تبنت سلسلة من الأعمال الكاملة أو المختارات الشعرية لشعراء من جيلي ، في دار النشر (الشجرة) أرادت أن تتفق معي على نشر أغلب أعمالي الشعرية التي تقدر بما بين الألف وتسعمئة وأربعة وعشرين بيتاً ، وألف وتسعمئة وثلاثين ، لأنها اعتبرتها دائرة مغلقة . (هذه هي مساهمتي التي لا تعوض في الشعر البورجوازي) ، ويبدو أن المجلد الذي طبعت فيه أعمالي ، ضم الديوان الذي لم يطبع : « **وصايا وإقامات** » (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ م) ، إلى « **مرات مدنية** » ، تلك كانت فترة أزمات فوضوية وانتقالية في تفكيري الشعري . على أنه منذ سنة ١٩٣١ م ، جعلت حياتي وأعمالي في خدمة إسبانيا والعالم »(٧) .

يعتبر بعض النقاد ديوانه « **حول الملائكة** » أفضل دواوينه ، وواحد من أهم المنجزات في السريالية الإسبانية ، إذ قدم فيه للقارىء عالماً مضطرباً آتياً صادراً عن اللاوعي ، تظهر فيه أشباح أطياف ، وهي تمثل تجسيداً لبعض الصفات مثل

★ خورخي جيجين ★



الصلاح ، الغضب ، الولاء ، النسيان ، الموت . . الخ . والديوان هو تكريم للشاعر ، الكبير «بيكر»[٨] ، الذي نال تقديراً كبيراً من طرف شعراء الجيل كله ، وذلك لصفاء شعره الجميل .

أما أشعار البرقي بعد خروجه من بلاده إلى المنفى ، فتتميز أكثر من غيرها بثراء في نواحي العاطفة الإنسانية ، وكانت آخر دواوينه هي «**بين القرنفلة والسيف**» (١٩٤٨ م) ، و«**إلى فن الرسم**» (١٩٤٦ م) . و«**ساعة البحر**» (١٩٥٣ م) ، وقد مزج فيها بين الشعر الغنائي الشعبي وشعر الأفكار . وأحسن ما كتبه النقاد في أدب البرقي ما يأتي : «إن البرقي ، هو كاتب مجيد ، يعرف المشكلات المحيطة بعصره ، يحللها ، ويدرسها بصورة لا تخلو من الفكاهة التي اشتهر بها أهل الأندلس ، إلا أن أغرب ما فيه ، هو أن كل كتاب يكتبه ، إنما يمحو الكتاب السابق له ، فهو متجدد التفكير ، وهذا ما يجعله شاباً على الرغم من بلوغه السادسة والسبعين»[٩] .

وللبرقي مع المسرح روابط عميقة جداً . . كدرامي ، كمؤلف ، وكمخرج ـ عام ١٩٣٧ م ، في «مسرح الدولة للفن والدعاية» وفي الواقع ، يبدو عطاء البرقي في المسرح باهتاً أمام كثافة شعره .

وتقع أولى محاولات البرقي الدرامية بين عامي ١٩٢١ ـ ١٩٣٠ م ، وتتألف هذه الفترة التجريبية من أعمال أكثرها ناقصة أو ضائعة . . وإذا استثنينا بالطبع ، «العصور المبرقعة» وهي **عمل مكرس لمسرح الأطفال** كتب عام ١٩٢٥ م ،



★ غارسيا
لوركا ★

وعرضت في حدائق «**ساحة العربي**» في مدريد حوالي سنة ١٩٣١ أو ١٩٣٢ م .

وفي يونيو / حزيران سنة ١٩٣١ م ، كان قد أعلن قيام الجمهورية ، قدم العرض الأول لمسرحية «**فيرمين الأنيقة**» تلك المسرحية التي أثارت ضجة في الأوساط اليمينية . والتي تؤكد علناً هجر المؤلف للفن الطليعي .

أشهر أعماله المسرحية «ليلة حرب في متحف البرادو» التي طبعت بمقدمة وفصل واحد عام ١٩٥٦ م[١٠] .

٣ ـ فيسنتي اليكسندري
VICENTE ALEIXANDRE
(١٨٩٨ م ـ . . .)

ولد الشاعر **فيسنتي اليكسندري**[١١] **باشبيلية** يوم ٢٧ أبريل / نيسان سنة ١٨٩٨ م ، قضى طفولته وبداية شبابه في مدينة **(مالقا)** ، ثم انتقل إلى **مدريد** مع عائلته حيث ما زال مقيماً حتى الآن . ويقول اليكسندري عن نفسه : «**أنا مالقي في اشبيلية ، أو اشبيلي نشأت في مالقا ، وأعتبر نفسي أندلسياً من البحر الأبيض المتوسط**» .

حين جاء إلى مدريد في أواخر العقد الثاني من هذا القرن ، كانت العاصمة الإسبانية تخضع لقلاقل سياسية لا تهدأ ، فقد بلغ الصراع أشده بين **الاقطاعيين** والفلاحين ، وبين العمال وأصحاب رأس المال ، وبين الكنيسة والمثقفين ، وأناخت الأزمة الاقتصادية بكلكلها على الدولة فطحنت الفقراء في قسوة ، كما تكبدت الجيوش الإسبانية هزائم فادحة من طرف المقاومة المغربية في الشمال ، وكانت **معركة أنوال**[١٢] أكبر هزيمة تتكبدها إسبانيا في المغرب على يد **البطل المغربي عبد الكريم الخطابي** .

وبين هذا الركام من الخرائب المادية والمعنوية ، كان المثقفون وحدهم يمثلون شيئاً جديداً ، ويحاولون أن يصنعوا شيئاً نافعاً .

بدأ فيسنتي يكتب الشعر في الثامنة عشرة من عمره ، وفي أغسطس / آب سنة ١٩٢٦ م ، ظهر اسمه لأول مرة في مجلة « **الغرب** » ، حين نشر سلسلة من قصائده الشعرية . وفي سنة ١٩٢٨ م ، طبع كتابه الأول « **دائرة** » وفي سنة ١٩٣٢ م ، أصدر ديوانه « **سيوف كالشفاه** » والذي اشتهر به . وقد كتب الناقد الإسباني الكبير **داماسو الونسو** ، حين صدر الكتاب : « إن ديوان سيوف كالشفاه هو أكثر الدواوين التي نشرت في السنوات الأخيرة ثورية من الناحية الأدبية » . لقد أثار الكتاب صراعاً حوله ، فرآه بعض القراء مزعجاً ، وقدر فيه آخرون الخيال الجامح ، والبعد عن الواقع ، والتجاوز عن الوسائط التي تربط بين الفكرة والتعبير عنها ، وفيه يتضح تماماً كشاعر آثر أن يختار « **ما فوق الواقعية** » قالباً تجري من خلاله مشاعره وأفكاره .

وفي ديسمبر / كانون الأول سنة ١٩٣٣ م ، حصل على **الجائزة الأولى للدولة في مجال الأدب** ، وذلك عن كتابه (**الهدم أو الحب**) ، وفي سنة ١٩٤٤ م ، أصدر ديوان (**ظل الجنة**) ، وفي سنة ١٩٥٣ م ، (**الولادة الأخيرة**) ، وفي سنة ١٩٥٤ م ، (**تاريخ القلب**) ، وفي سنة ١٩٦٢ م ، (**مجال واسع**) ، وفي سنة ١٩٦٨ م ، (**شعر الاتقان**) ، وفي سنة ١٩٧٤ م ، (**حوار المعرفة**) ، كما أنه **عضو في المجمع الملكي** منذ سنة ١٩٤٩ م ، **حصل على جائزة (نوبل) للآداب سنة ١٩٧٧ م**[١٣] .

شعره

فيسنتي اليكسندري الذي كان فرداً بارزاً في جيل السابع والعشرين ومؤثراً فيه بنشاط أدبي لا يفتر وسلوك مستقيم لا يجارى ، ذاق بسببه حلاوة المنفى وعذوبة الإهمال من طرف من كانت بيده الفولاذية مصائر الناس في البلد . وكانت تربطه « **بميغيل اروانديت** » صداقة حميمة[١٤] ، استمرت حتى موت هذا الأخير . ولقد جرؤ على حضور دفنه ، وقدم طوال أعوام عديدة المساعدة السرية المتضامنة لعائلة ميغيل .

لقد عاش حياة جد صعبة بسبب ظروف مختلفة ، وخصوصاً الظروف الصحية ، وموهبته التي كانت ولادتها مبكرة ، ظلت راسخة ضد كل المعوقات ، ظلت راسخة مستمرة ، شاعر بدأ يكتب ولم يتوقف عن ذلك ، ببطء لأنه ليس مستعجلاً في العمل الفني ، ببطء ولكن باستمرار .

لقد كان هناك منبعان لشعره : الشعر الإسباني التقليدي والحديث ، وبوضوح أكثر حاول أن يخلق هذا التراث الشعري من جديد بعد هضمه جيداً ، ولكن دون أن ينفصل عن التراث . فقد قرأ الشعر الإسباني الكلاسيكي طويلاً وبأناة . ويذكر الشعراء الذين احبهم أكثر : « أولا **سان خوان دي لاكروث** ، الذي لم يتغير قط في ذوقي ، **بيكر** الذي لم يتغير أيضاً ، ثم **لوبي دي فيغا**[١٥] ، **وكيفيدو**[١٦] . بدأت متأثراً **بروبين داريو**[١٧] ، إن معلمي في مرحلة الشباب كانوا : **خوان رامون خيمينث**[١٨] ، **وانطونيو ماتشادو**[١٩] . لذلك اعترف وأعلن بشرف أنني في هؤلاء شربت من عيون الشعر الحديث » .

لعب اليكسندري دوراً شبيهاً بالدور الذي لعبه خوان رامون خيمينث ، بين شباب الشعراء من معاصريه ، واعتبر صوته أشد الأصوات دفئاً وإنسانية في الأعوام الأخيرة ، ووجد فيه الشباب الشاعر الذي عرف كيف يعبر بقوة عن دوافع الحب والحياة ، ومع ذلك وبالرغم من نجاحه الكبير ، ومن دواوينه التي لم تتوقف ، وبالرغم من استقباله عضواً بالمجمع اللغوي الإسباني العتيد عام ١٩٤٩ م ، فهناك من يتهمه بالغلو في تشابك الصور ، وأنه يذوب فيها فيفقد القوة والتوتر والعاطفة الشعرية . ويقول اليكسندري : « **هناك مدلولان اثنان ، أن يقرأ أغلبية الناس الشاعر هذا شيء مستحيل حرفياً . لسوء الحظ ما زال في العالم أمية وجهل ، لذلك لا يوجد شاعر أكثريات حرفياً ، ولكن بالمدلول الضيق التصوري للفظ ، شاعر الأكثريات هو الذي يدعو في الناس ذلك الشيء الذي يمكن أن يعني الجميع أو الأكثرية . أنا رفضت دائماً ألفاظ الأكثريات والأقليات هذه ، لأقول إنني شاعر للجميع وليس لواحد ، لأنني أتوجه في الناس إلى ما يجمع لا إلى ما يفرق**[٢٠] » .

ويجب أن نعترف بأن اليكسندري من أكثر الشعراء الإسبان أصالة في عصرنا ، أصالة تنهض على نظرته الرومانسية والديناميكية للعالم ، وفي قدرته على اختيار أنغامه وألفاظه في تناقض ظاهري يجمع بين البساطة والتعقيد ، بين السهولة والصعوبة في الوقت نفسه . فهو حقيقة شعرية واضحة وخالدة ، وأمثلة قليلة يمكن أن يقدمها الشعر الإسباني المعاصر في مستواه .

٤ ـ خورخي جيجين
JORGE GEUILLEN
(١٨٩٣ م ـ ...)

ولد الشاعر الإسباني الكبير « **خورخي جيجين** » في مدينة « **بلدالوليد** » يوم ١٣ يناير / كانون الثاني ١٨٩٣ م ، درس **الفلسفة والأدب في جامعتي مدريد وغرناطة** ، حصل على **الدكتوراه في الأدب من جامعة مدريد** سنة ١٩٢٤ م ، اشتغل أستاذاً للآداب في جامعات مورسية واشبيلية ومدريد ، كما قام بتدريس اللغة الإسبانية في جامعتي أكسفورد وسرفنا .

غادر إسبانيا أثناء الحرب الأهلية متوجهاً إلى **الولايات المتحدة الأميريكية** ، حيث قام بتدريس اللغة الإسبانية في « **ويليسلي كوليج** » ، ولم يعد إلى بلاده إلا بعد عودة الأحزاب وبدء الحكم الديمقراطي .

حرر خورخي جيجين ونشر إنتاجه في صحف ومجلات رفيعة مثل : « **الحرية** » « **إسبانيا** » « **القلم** » « **الشرق** » « **الشعر** » .

ترجمت أشعاره إلى لغات كثيرة كما أنجزت عنه دراسات كثيرة في أوروبا وأميريكا . وقام بدوره بترجمة أشعار « **لبول فاليري** » و « **بول كلاوديل** » و « **جوليس سوبيربي** » .

كما سبق له أن نال عدة جوائز في مناسبات مختلفة ، فقد نال **جائزة** « **بيني** » ، التي تمنحها مجلة « **هدسون دفيو** » اعترافاً بجودة مؤلفاته الشعرية ، ونال **جائزة** « **سرفنتيس** » **وجائزة** « **لينسي** » ، **وجائزة** « **الفونسو ريجيس** » **من المكسيك** . وخلال ديسمبر / كانون الأول سنة ١٩٧٧ م ، نال **الجائزة الإيطالية الكبرى** « **أنطونيو فلترنيللي** » **وهي تعادل جائزة نويل في إيطاليا** .

كتب أول دواوينه « **أنشودة** » سنة ١٩٢٨ م ، وفي سنة ١٩٣١ م ، أصدر ديوان « **خطوة نحو الفجر** » كما أصدر دواوين أخرى ، منها : « **شكوى** » و « **زمن التاريخ** » و « **أزهار** » ، ومجموعة من **الأنطولوجات** .

شعره

يقول خورخي جيجين عن تجربته الشعرية : « لقد كتبت أول أشعاري عندما كنت في فرنسا ، وذلك في شهر مايو / أيار سنة ١٩١٨ م ، كانت بداية متأخرة ، ربما لعامل الخوف ، ولكن كانت سراً شديد الرغبة » .

جيجين أكبر ممثل للشعر الخالص في إسبانيا ، وهي فكرة جاهر بها في فرنسا « بول فاليري » ، وفي إسبانيا « خوان رامون خيمينث » ، ويذكر جيجين في كتاب « الشعر الإسباني المعاصر » لخيراردو دييكو[٢١] .

« **إن الشعر الخالص هو ما يبقى من الشعر بعد أن يشذب منه كل**

الذي ليس بشعر ، وحين يفسر هذا القول كيميائياً ، **يصبح الخالص مرادفاً للبسيط**» ، وهذا يعني أن الخالصية عند رامون خيمينث وعند شعراء **جيل ١٧** ، تدل على احتقار المزيف والبلاغي والمبتذل والعاطفي ، وكل شعر حكائي يقوم على سرد وقائع بشرية . «**إن الجمال والمتعة الجمالية كانا ولا يزالان أساس الأهمية عند الشعراء الخالصين ، وعليه فكل شعر انفعالي ينقل عاطفة بشرية أو تجربة حياتية ، لا ينال عندهم حظاً من الأهمية**»[٢٢] .

إن جيجين يمنح الشعر قليلاً من الأنسية والشوق في حين أن هذا المناخ الإنساني الجديد ، هذا الاندفاع نحو الحياة اندفاعاً بذره في السنوات الأولى من حياة الجيل شعراء لم يكونوا واضحين بالقدر الكافي ، لم يلبث أن تحقق ، غير أن الوعي به كان غير جلي ، وذلك ابتداء من سنة ١٩٢٨ م .

لقد أردف خورخي جيجين ديوانه «**زمن التاريخ**» بالقسم الثاني من ديوانه : «شكوى» ، وكان هذا الأخير مكملاً لديوان آخر من دواوينه ، هو «أنشودة» ، في حين أنه سمى أحد أقسام ديوانه شكوى باسم «**ماتشادي**»[٢٣] ، هو : «في مستوى الظروف» ، حيث إن بطله لم يكن سوى الإنسان المعاصر - وأحياناً لم يكن سوى الإسباني المعاصر - الذي تجرع ألم الحرب والظلم والسجن ، وذاق مرارة العنصرية والتعذيب والنفي .

لقد أتيح لجيجين كما أتيح لغيره من الذين رحلوا حرية الحركة ، وسهولة النشر ، وسلطت عليهم الأضواء ، لأنهم يستحقونها وأهل لها ، ما في ذلك شك ، ولكن من الحق أيضاً أن جانباً منه كان مبعثه الاساءة إلى **الجنرال فرانكو** ، والتشنيع على حكومته وأيامه ، وما أكثر الذين كانوا يكرهونه . من أشهر النقاد الذين اهتموا بشعر خورخي جيجين : **داماسو الونسو (رئيس المجمع اللغوي الإسباني) ، وبدرو ساليناس (أحد أعضاء الجيل)** ، والناقد الإسباني الكبير **خوسي لويس كانو - كلود بيجيي - خوسي أنخيل فالينطي - فيسنتي كاووس - جورج رودولف ليند .**

٥ - خيراردو دييكو

GERARDO DIEGO

(١٨٩٦م - ...)

ولد الشاعر الكبير **خيراردو دييكو سنة ١٨٩٦ م ، في مدينة سانتندير** ، درس **الأدب والفلسفة** في «ديوستو» **(مقاطعة بلباو)** ، حصل على **الاجازة في الآداب من جامعة «سالمنكا» والدكتوراه من جامعة مدريد** . زاول التدريس منذ سنة ١٩٢٠ م ، في **صوريا وخيخون وسانتندير ومدريد** ، قضى فترات من حياته في **فرنسا والأرجنتين والأوركواي** ، وألقى محاضرات في **الأدب والموسيقى** ، في مدن إسبانيا وأمريكا . وهو **عضو في الأكاديمية الملكية الإسبانية** منذ سنة ١٩٤٨ م ، نشر أول أشعاره في مجلة «**العام**» . من أشهر دواوينه : «**أغنية الزوجة**» ١٩١٨ م ، وديوان «**خيال**» ١٩٢٢ م ، وديوان «**أشعار إنسانية**» ١٩٢٥ م .

حصل على الجائزة الوطنية للآداب سنة ١٩٢٥ م ، كما حصل على جوائز أدبية مهمة منها **جائزة «مارش»** .

تعددت جوانب شخصية خيراردو دييكو الفنية ، فهو شاعر ، وناثر ، ومحاضر ، وعازف للبيان بارع ، وناقد في الأدب ، والموسيقى ، والفن التصويري . ويعتبر من أشهر الباحثين في **تاريخ الموسيقى** ، وقد ألف كتاباً مهماً عن الموسيقى الإسبانية بتعاون مع «فيديريكو سوبيبا» و«خواكين دودريكو» . أطلق عليه «**عشر سنوات من الموسيقى الإسبانية**» .

شعره

يقول خيراردو دييكو عن بدايته الأدبية : «لم أكن كاتباً مبكراً ، بدايتي لم تستطع أن تكون مشرقة ، وكان لي الشرف أن أظهر ، لأول مرة ، ككاتب نائر على صفحات مجلة «العام» سنة ١٩١٨ م ، وفي نفس السنة بدأت أحاول ارتياد الآفاق الشعرية» .

ويقول عن الذين تأثر بهم في أدبه وعن روافد شعره : «أعتقد أن بعض الكلاسكيين مثل «لوبي دي ميغا»[٢٤] ، قد أثر كثيراً في ذوقي وشعري ، ومن المحدثين الشاعر التشيلي «**فيسنتي إويد روبرو**» و«**خوان لاريا**» الذي تربطني بهم علاقة صداقة منذ أعوام بلباو . كما أثر في تكويني الشعري تعلقي **بالطبيعة والرسم** ، وفوق كل شيء تعلقي **بالموسيقى** .

يعتبر دييكو أكثر الشعراء الإسبان الذين حافظوا على الأوزان الشعرية الكلاسيكية ، ويتجلى هذا الحفاظ في تحفته الرائعة «**قنبرة**» . كما يعتبر من الشعراء الإسبان البارزين باطلاعه الواسع وقراءاته المستمرة للشعر ومعايشته المستمرة له جعله مدرسة قائمة بذاتها في هذا الفن الأدبي . قال عنه النقاد : «إن خيراردو دييكو قطعة أساسية في تاريخ الشعر المعاصر»[٢٥] .

كما حدا بهم إلى الاعتراف بأن تأثير شعر دييكو كان عظيماً في المجموعة الإبداعية الإسبانية وفي بعض الشعراء الذين ظهروا قبل سنة ١٩٣٩ م ، ترجمت أشعاره إلى لغات كثيرة .

هوامش

١ - ANTOLOGIA DEL GRUPO POETICO DE 1927 EDICION DE VICENTE GAOS – CATEDRA P : 13.

٢ - السلم تحت الحكم الدكتاتوري لفرانكو .

٣ - في استجواب أجرته معه مجلة : BLANCOY NEGRO وتوجد ترجمة الاستجواب في الملحق الثقافي لجريدة «العلم» المغربية عدد ٤١٦ سنة ١٩٧٧ م - ص ٣-٤ .

٤ - خوسي لويس كانو ناقد إسباني مشهور ولد بمدينة الجزيرة الخضراء سنة ١٩١٢ م ، له دراسات كثيرة في الشعر الإسباني المعاصر .

٥ - بابلو نيرودا شاعر من التشيلي ولد سنة ١٩٠٤ م ، وتوفي سنة ١٩٧٣ م ، حصل على جائزة نوبل في الآداب سنة ١٩٧١م ، كان نيرودا صديقاً حميماً للشاعر الإسباني لوركا وأحد المهتمين بشعره .

٦ - مجلة آفاق عربية - العدد ٣ - سنة ١٩٧٦ م - ص ٥٤ ، دراسة تحت عنوان «مغامرة إسبانية» شعر جيل ١٩٢٧م ، «خوسي لويس كانو» ترجمة : د . محمد السرغيني .

٧ - نفس المصدر .

٨ - شاعر رومانسي ولد في اشبيلية سنة ١٨٣٦ م ، ومات في مدريد سنة ١٨٧٠ م .

٩ - مجلة الأقلام العراقية - العدد التاسع - حزيران / يونيو ١٩٧٧ م ، مراسلة مدريد - ص ١٤٧ .

١٠ - انظر مجلة الأقلام العراقية - العدد الثامن - أيار / مايو ١٩٧٨ م ، دراسة حول : «مدخل إلى مسرح رفائيل البرتي» ص ٥-٢٠ .

١١ - انظر دراستنا عنه في مجلة (الفيصل) - العدد التاسع - السنة الأولى - ص ٥٩- ٦٠- ٦١- ٦٢ .

١٢ - منطقة بجبال الريف - انهزم فيها الجيش الإسباني على يد البطل المجاهد عبد الكريم الخطابي في أوائل العشرينات .

١٣ - انظر مجلة (الفيصل) - العدد التاسع - السنة الأولى ربيع الأول ٩٨هـ ، فبراير - مارس / شباط - آذار ١٩٧٨م .

١٤ - شاعر إسباني ينتمي إلى جيل ١٩٣٦ م ، ولد في أوريلا سنة ١٩١٠ م ، وتوفي في سجن اليكانطي سنة ١٩٤١م .

١٥ - شاعر وكاتب مسرحي إسباني ولد بمدريد سنة ١٥٦٢م ، وتوفي بها سنة ١٦٣٥م .

١٦ - شاعر إسباني ولد بمدريد سنة ١٥٨٠م ، ومات سنة ١٦٤٥م .

١٧ - شاعر من نيكاراغو ولد سنة ١٨٦٧م ، ومات سنة ١٩١٦م .

١٨ - شاعر إسباني ولد في موغير سنة ١٨٨١م ، ومات سنة ١٩٥٨م ، فاز بجائزة نوبل سنة ١٩٥٦م .

١٩ - شاعر إسباني ولد في اشبيلية سنة ١٨٧٥م ، ومات في كوليور - المنفى - (فرنسا) سنة ١٩٣٩م .

٢٠ - الملحق الثقافي لجريدة (العلم) المغربية ، عدد ٤١٦ ، سنة ١٩٧٧م ، ص ٣- ٤ .

٢١ - الشعر الإسباني المعاصر - بالإسبانية - تأليف خيراردو دييكو - ص ٣٢٦- ٣٢٧ .

٢٢ - مجلة آفاق عربية - العدد ٣ - سنة ١٩٧٦م ، ص ٥٣ ، خوسي لويس كانو - مغامرة إسبانية - ترجمة : د . محمد السرغيني .

٢٣ - نسبة إلى الشاعر الكبير أنطونيو ماتشادو الذي رفع شعار : «الشعر هو الكلمة في الزمن» .

٢٤ - سبقت الإشارة إليه .

٢٥ - انظر كتاب :

ANTOLOGIA DEL GRUPO POETICO DE 1927 EDICION DE VICENTE GAOS – CATEDRA Ps : 34–35–93–94–95.

صمت النهر

شعر: عبد السلام الرافعي

سَألوا النهـرَ ، وهـو يجري غـزيرا ، لِمَ تجـري . . أليس ذاك مُثيرا ؟
الطريقُ الـطويلُ يـا نهـرُ يُـدمي قـدميْ سـائر يجـدّ المسـيرا
مـا عهـدنا الأبيَّ يحمـلُ ضيماً كيف تـرضى الأشـجارَ فـوقك نـيرا ؟
هي عبءٌ عليـك لـو كنـتَ تـدري حـارساً صرت عنـدها أمْ أجـيرا ؟
ركبـتْ شـاطئيك حـتى تـدلّتْ من غـرور ، والـذلُ يحـدو الغـرورا
مـا عهـدنا الـكريمَ إلا عَيـوفاً آمـراً في الـوُجُود . . لا مـأمورا
كيف تحني مـن هـامة . . كيف تصغي للـدهورِ الـطوال تسـتقي الـدهورا ؟
خُلـقَ الحـرُّ للـوثابِ فـإنْ لـمْ يَثبِ الحـرُّ . . صـار فـأراً حقـيرا
هبةٌ أنـت أيهـا النهـر . . لـكنْ لسـتَ تحيـا كالـواهبين كبـيرا
تتخـفّى في الشـاطئين وضـيعاً قـابعاً في الجـذور تـروي الجـذورا
أيهـا الصـامتُ السـخيُّ ! تكلـمْ وارفض الـواقعَ الألـيمَ المريـرا
إنَّ في الموج قـدرةً لـو أرادتْ دمَّـرتْ كل شـامخ تـدميرا
يهـدمُ الموجُ غـابةً قـد تمـادتْ في السماوات . . أو . . يُهـدُّ الجسـورا
أيهـا النهـرُ ! في حنـاياك نسرٌ كلُّ نسر مـن شـأنه أنْ يـطيرا
أنت ليـث . فـكيف يصـمُتُ ليـثُ تتحـامى الافـاقُ منـه زئـيرا ؟

* * *

صَمَتَ النهـرُ . وهـو أبلـغُ حـكماً حـين يُصْـغي الى الغبـاء مُشـيرا
ورأى مـوجَهُ العـظيمَ مُعـبراً للحقـول الخضراءِ . . لا مُسْـتعيرا
ورأى الـواردين أنـدى وجـوهاً ورأى الـواردات أشْـهى صـدورا
تعـظُمُ الغـابةُ الـكثيفةُ دوحـاً أوَ ليسـتْ أدواحُهـا تعبـيرا ؟
وتغـنّي الـطيورُ فـوق ضـفافٍ أوَ ليس الغناءُ يُحيي الـطيورا !
الـربيعُ البـديعُ أسمـى بيـاناً حـين يُفشي سرَّ الـوجود الخـطيرا
والليـالي في مـوكب البـدْر عُـرْسٌ صـفحةُ الماءِ تحتويه سـطورا
ما الشموسُ الـوضاءُ مـن غـير مـاءٍ ؟ فهـي لـولاهُ تسْـتحيلُ سـعيرا
يُطفىءُ النـار . يبعـثُ النـار . يبـني حُلُمَ العيش للعـذارى خـدورا
. . رُبَّ كوخ ثـوى على سِـيف نهْـرٍ أيقـظ الفـنَّ أو أثـار الشـعورا
. . رُبَّ قصر فـوق الضـفاف تحـدّى همماً فـاستلهمتْه قصـورا
. . الحضـاراتُ فـوق نهـرٍ . أليسـتْ هـذه الأرضُ قـريةً أو دُورا ؟
يحصُـدُ الـزارعون منـه طعـاماً أو كسـاءً إذْ يلبسـون الحـريرا
أحمـرُ الـورد في البسـاتين يُصـغي أبيض الـورد نفحـةً أو عبـيرا
صَمَتَ النهـرُ . وهـو أبلـغُ حـكماً حينما اخضرَّ مُـطْعِماً أو مُجـيرا

قصة الأطباق الطائرة

بقلم : د . مظفر صلاح الدين شعبان / مهندس . سمير صلاح الدين شعبان

★ يقول « هانيك » لقد تفحصت هذه الصورة بنفسي ، وتفحصت مسوداتها ، وآلة التصوير التي التقطت بها ، ولم أجد أي أثر للتلاعب ★



بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أخذ الناس في **بريطانيا وأميريكا واستراليا وجنوب آسيا** وأماكن أخرى من العالم يتحدثون عن « **أجسام طائرة مجهولة** » شاهدوها .

وقد اهتمت السلطات في مختلف أنحاء العالم بهذه الظاهرة ، فرصدتها وخصصت لها العلماء لدراستها ، وأصبحت لها ملفات ضخمة في **البنتاغون** الأميريكي ، ومكتب وزير الحربية البريطاني ، **وقاعدة كيب كينيدي** الفضائية وغيرهـــا .

في البدء جاء الحدث غريباً .. مجرد إشاعة تقول : « لقد ظهرت الأطباق الطائرة وحطت على الأرض آتية من الكواكب الأخرى » ... ثم تواردت الأنباء وتكاثرت شيئاً فشيئاً .

إذن .. **ما هي حقيقة تلك الأجسام ؟ هل لها وجود حقيقي ؟** أم أن ذلك مجرد « افتراض » علمي غذته المخيلة الإنسانية ... وإذا كانت موجودة فعلاً ، فهل هي مركبات سرية من صنع الإنسان ، أم من صنع عالم آخر يستكشف سكانه المتفوقون كوكبنا ويحاولون الاتصال بأهل الأرض ؟



★ صورتان لجسم طائر ، أخذتا من نافذة طائرة على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم .. يقول ج . هانيك : إنه لم يستطع التعرف على هذا الجسم ★

من قديم الأزمنة كان التساؤل حول وجود حياة عاقلة في الفضاء الخارجي يثير لدى الإنسان شعوراً جذاباً . ولذلك فقد عبَّر الإنسان عن تصوراته المثيرة هذه بأشكال مختلفة . وعلى سبيل المثال ، في عام ١٨٩٨ م ، فاجأ المؤلف الإنكليزي المعروف **هربرت جورج ويلز** قومه بكتابه « حرب العلوم » ، حيث وصف فيه الهجوم المفاجىء على إنكلترا الذي شنه سكان المريخ المتفوقون تكنولوجياً .

في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ، كان كثير من الناس في العديد من دول العالم ، على ثقة من وجود كائنات حية متطورة وذكية قادمة من الفضاء تراقب الأرض باستمرار . ويرجع السبب في ذلك إلى عدد كبير من التقارير والافادات التي أشارت إلى رؤية أجسام غامضة في السماء . وقد استعمل للدلالة عليها اصطلاح **يوفو** .U.F.O ، وهي الأحرف الأولى من الكلمات الانكليزية : UNIDENTIFIED FLYING OBJECTS أي **الأجسام الطائرة مجهولة الهوية** . وقد ورد هذا الرمز في الأوساط العلمية للمرة الأولى عام ١٩٤٧ م . ففي ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٧ م ، تراءى **للطيار الأميريكي كينيث أرنولد** أثناء تحليقه فوق **جبل راينيير في ولاية واشنطن** تسعة أجسام طائرة لها لمعان مشابه لبريق الفضة ، وقد ذكر في المؤتمر الصحفي الذي عقده أن شكلها الخارجي يشبه الصحون .

كانت تلك الحادثة بداية اصابة البشرية بهلوسة « **الصحون الطائرة** » ... وقد استغلت الأوساط العسكرية الأميريكية الحالة النفسية

التي أوجدتها اليوفو في الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفياتي ، فعمدت على سبيل المثال ، إلى نشر شائعة مفادها أن الأمر يتعلق بأسلحة سوفياتية سرية تهدد أمن الولايات المتحدة الأميركية . لكن « موجة » اليوفو انحرفت بسرعة كبيرة عن الخط الذي رسمه لها العسكريون ، وسلكت طريقاً خاصاً ، حيث امتلأت الصحف بأخبار غريبة لشهود عيان . وقد بلغ الأمر حد توزيع صور لأجسام طائرة غريبة وبطياريها « سكان الكواكب » ، كما تنظم أنصار اليوفو أنفسهم في منظمات خاصة ، بحجة إعداد « البحوث » حول هذا الموضوع . وقد أنشئت صحف عديدة خاصة لمتابعة أخبار هذه الظاهرة ، كما تم عقد مؤتمرات محلية وعالمية حول **اليوفو** . كذلك فقد أغرقت الأسواق بكتب تبحث في « الصحون الطائرة » و « سكان الكواكب » . وفجأة ظهرت مجموعة من « الوسطاء » في مختلف أنحاء العالم ، حاولوا اقناع البشر برسالة « سكان الكواكب » عن طريق ترتيب اجتماعات بين سكان الأرض وطياري الأجسام الغريبة الطائرة .

وكان الأميركي **جورج أوامسكي** أول مندوب لليوفو عندما ادعى عام ١٩٥٢ م أنه أول إنسان تحدث مع « **سكان الزهرة** » ، وأنه سافر معهم في صحن طائر وشاهد الجانب المظلم من القمر . كما ادعى هؤلاء الوسطاء أن سكان الكواكب الأخرى يحذرون أهل الأرض من أخطار الحرب الباردة ومن تسابق التسلح النووي ، ويقدمون النصائح المخلصة الكفيلة بتجنب تدمير الكوكب الأرضي .

وحسب الأرقام التي أوردتها **دائرة المعارف البريطانية** ، فقد بلغ عدد مشاهدات اليوفو (١٥٠١) مشاهدة في عام ١٩٥٢ م ، و (١١٧٨) مشاهدة في عام ١٩٥٧ م ، و (١٠٦٠) مشاهدة في عام ١٩٦٩ م . علماً أن هذه الأرقام خاصة بالمشاهدات التي تم تسجيلها في الولايات المتحدة الأميركية وحدها .

وقد قوي موقف أنصار اليوفو في الآونة الأخيرة ، بعد أن اجتاحت العالم موجة من الكتب المثيرة التي حاول مؤلفوها تفسير بعض الأسرار الغامضة المشاهدة على الأرض (كأهرامات الجيزة ، ومعبد بعلبك وغيرها كثير) بالفرضية التي تقول إن كائنات عاقلة من كواكب أخرى ساعدت أهل الأرض خلال تطور البشرية . ويورد هؤلاء المؤلفون وغيرهم آلاف الأسئلة المحيرة من أنحاء الأرض كلها والتي لم توجد حتى اليوم إجابة شافية عليها ، ويرون في نظرية قدوم رواد الفضاء من كواكب أخرى الجواب الوحيد البسيط والشافي . ويستشهد مؤيدو هذه النظرية بظاهرة « الصحون أو الأطباق الطائرة » للتأكيد على صحة افتراضاتهم .

ولا بد لنا ، لاستكمال الحديث عن الأطباق الطائرة ، من الإشارة إلى ظاهرة أخرى شغلت ، ولا تزال ، الرأي العام العالمي وهي **لغز مثلث برمودا** . ومثلث برمودا هو عبارة عن مثلث وهمي ، رأسه الشمالي في **برمودا** ، ورأسه الشرقي في **جزر المارتينيك** ، أما رأسه الغربي فيقع في **فلوريدا** . وفي هذا المثلث تقع حوادث مريعة لم نتمكن من تفسيرها بعد . ولقد أكدت الصحف والمجلات العلمية المختصة ، أنه فقد في الثلاثين سنة الماضية ، ضمن المنطقة التي يحصرها مثلث برمودا ، حوالي مئة طائرة وسفينة ، وأن آلاف البحارة والطيارين والمسافرين قد فقدوا إلى الأبد دون أن يعثر على أثر لهم [1] .

ويحاول بعض أنصار اليوفو تفسير هذه الألغاز بوجود كائنات تأتي من مجرات أخرى ، تأخذ من وقت إلى آخر بعض « العينات » من تقنية الإنسان لتحلل تطورها . وقطعاً هي التي تمكنت من امتصاص الطائرات والمراكب المختفية . . . !!!

وحتى الآن لا يمكن القطع بصحة أي من الآراء التي يتبناها العلماء ، فكل منها يستند إلى أفكار مقنعة . لذلك فإن رصد حركة هذه الأطباق الطائرة هو الشيء الوحيد الذي يمكننا عمله في محاولة لجمع الأدلة الكافية التي تسمح لنا بالوصول إلى الجواب الشافي .

الكتاب الأزرق

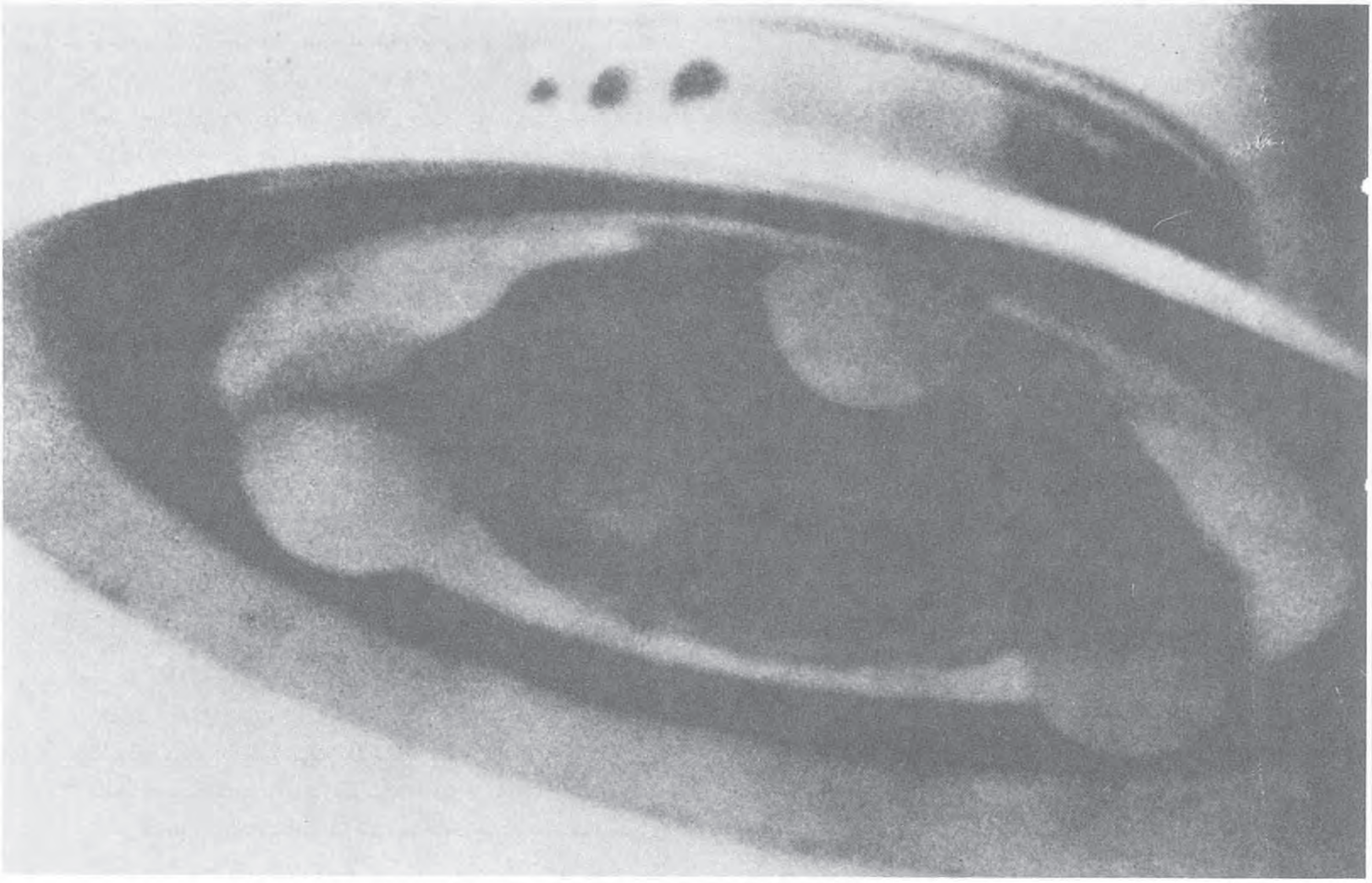
في عام ١٩٦٩ م ، جمع **سلاح الجو الأميركي** في تقرير ضم ٨٤٠٠ صفحة أكثر من ١٢ ألف مشاهدة ، استغرق تسجيلها أكثر من ٢٠ سنة في ما يسمى بالكتاب الأزرق .

في هذه الدراسة التي أجراها فريق من علماء **جامعة كولورادو** بقيادة **كوندون** ، وبتكليف من قيادة سلاح الجو الأميركي ، تم تقييم عدد كبير من أجسام اليوفو على أنها واقعة في نطاق التفسيرات المغلوطة للظواهر الطبيعية المختلفة ، شهب أو نيازك ، ارتداد الضوء الصادر عن الكواشف الضوئية الكبيرة ، بالونات الطقس والتجارب والصواريخ . . . وغيرها . إن القراءة الغنية لصور اليوفو المقدمة بينت أنها تزوير صنعه السخفاء عن طريق الحيل الفوتوغرافية المختلفة . ولعل أكثر المشاهدات تضليلاً وخداعاً هي المشاهدات الصادرة عن ما يسمى بظاهرة الشمس المزيفة ، والتي هي انعكاس للشمس على السحب ، وتكون على شكل حلقات لامعة ذات لون رمادي معدني وتبث بريقاً ذهبياً مماثلاً للغازات المنطلقة من طائرة نفاثة .

وقد تبين للفكلي الشهير **هانيك** J.A. Hynek (الذي أشرف على مشروع الكتاب الأزرق مدة عشرين عاماً) والملقب بغاليلي الأطباق الطائرة ، أن هنالك على الرغم من ذلك بضع عشرات من المشاهدات الموثوقة ، إلا أنها مع ذلك غامضة تماماً ، وقد استعصت على جميع محاولات التفسير . وقد تعرض هانيك لثمانين من هذه الحالات في كتابه « **اكتشاف الأجسام الطائرة مجهولة الهوية** » الذي نشر عام ١٩٧٢ م . وفيما يلي سنتعرض لبعض الحوادث المحيرة التي جمعت من مصادر مختلفة :

١ ـ في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٣ م ، شوهد على لوحة الرادار في **قاعدة كين روس الجوية في ولاية ميشيغان** جسم طائر غريب . وقد صدرت الأوامر إلى الملازم الطيار **ر . ويلسون** الذي كان يقوم بدورية اعتيادية على طائرة نفاثة من طراز (ف ٨٦ F - 86) بمطاردة الجسم الغريب . وقد تمت متابعة هذه المطاردة على شاشات الرادار مسافة ١٦٠ ميلاً . وفجأة ذاب الجسمان الطائران في بعضهما البعض . ولم تحظ النداءات اللاسلكية الموجهة إلى الملازم ويلسون بأية إجابة . وفي الأيام التالية لوقوع هذه الحادثة الغامضة تم تمشيط المنطقة بأسرها بحثاً عن حطام الطائرة المفقودة أو بقايا وقودها أو زيتها المتناثر ، لكن لم يعثر على شيء ، فقد اختفى الملازم ويلسون وطائرته دون أن يترك أي أثر .

٢ ـ في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٣ م ، قابل الرقيب **أويفن برتراند** أثناء مروره في طريق فرعي في مدينة اكسيتر بولاية نيو هامبشاير الأميركية في حوالي الساعة الواحدة ليلاً سيدة مضطربة خلف مقود سيارتها . وقد رفضت السيدة متابعة سفرها بحجة أن جسماً طائراً ضخماً ، يشع باللون الأحمر ، قد قام بمطاردتها مسافة ١٠ أميال ثم اختفى بعدها في الغابة ، لم يأبه الشرطي



★ «جائزة مغرية لمن يضع نظرية قادرة على تفسير ظاهرة (اليوفو) لتزيد من معرفتنا بها». الإعلان الذي نشرته مجلة «نيو سايانتيست» البريطانية ★

لاضطراب السيدة ظناً منه أنها مضطربة التفكير، ولكنه سمع خلال جهاز اللاسلكي الموجود في سيارته من دورية أخرى تفاصيل حادثة مماثلة. وقد صدرت إليه الأوامر من رئيسه في المخفر المركزي **جين تولاند** بالعودة فوراً إلى المركز. وهناك سمع القصة نفسها من رجل شاب اضطر إلى النزول في خندق الطريق هرباً من جسم يشع بنور أحمر.

وقد قام الرجال، مكرهين، بدورية خارج حدود المدينة وهم مقتنعون تماماً أن هذا الهراء كله لا بد أن يجد تعليلاً منطقياً. وقد بحثوا في المنطقة مدة ساعتين كاملتين، ثم قفلوا عائدين. وبينما هم في طريق العودة صاح أحدهم: «هناك ... انظروا هناك» ... وفوق الأشجار كان يتهاوى جسم ناري أحمر وهو يتجه ببطء وبدون صوت نحو المشاهدين. وقد أعلم برتراند زميله تولاند هاتفياً وهو مضطرب بأنه يشاهد حالياً هذا الجسم بأم عينيه. وفي أثناء ذلك كانت المزرعة القريبة من الشارع والتلال المجاورة مغمورة كلها بالضوء الأحمر.

وقد أجريت تحريات واسعة عن هذه الحادثة، وأخذت إفادات ٥٨ شخصاً من شهود العيان، كان بينهم علماء أرصاد، وعناصر من خفر السواحل وغيرهم. ومع أن التقرير المقدم عن الحادثة قد احتوى معطيات موضوعية، إلا أن أحداً لم يستطع أن يقدم تفسيراً مقنعاً للجسم الطائر الغريب.

وعلى الرغم من الاعتراضات التي قدمها هاتيك على النتيجة التي تم التوصل إليها في الكتاب الأزرق، فقد اعتبر هذا التقرير المرجع الرئيسي في تقييم ظاهرة اليوفو، إذ كان الضربة القاضية لها. وبذلك هدأت حمى اليوفو إلى حين. وإذا كانت هذه الأبحاث قد توقفت، إلا أن المشاهدات نفسها لم تتوقف في بلدان العالم المختلفة ... وقصة الجسم الطائر الغريب الذي هبط منذ فترة قصيرة على بعد ٥٠ كم من مدينة **الكويت** بالقرب من إحدى محطات ضخ البترول، لا تزال لغزاً يحاول المسؤولون الكويتيون حل رموزه.

وقد بدأت القصة عندما اكتشف الفنيون العاملون في المركز الرئيسي لضخ النفط بشركة نفط الكويت توقف إحدى محطات الضخ عن عملها. وعلى الفور توجه سبعة من المهندسين والفنيين بينهم خبير أمريكي إلى موقع المحطة في **منطقة أم العيش** لتحري أسباب العطل، وهناك فوجئوا بوجود جسم غريب يجثم على الأرض على بعد ٢٥٠ متراً عن المحطة ... كان الجسم أسطواني الشكل يفوق حجمه حجم طائرة الجمبوجيت، كان باب المحطة مفتوحاً وجميع أجهزتها متوقفة عن العمل ... أصيب الجميع بالذهول والقلق، وبعد سبع دقائق بدأ الطبق الطائر يرتفع تدريجياً عن الأرض في هدوء مثير للدهشة حتى غاب عن الأنظار. وبمزيد من الدهشة لاحظ الفنيون أن أجهزة المحطة قد عادت تلقائياً إلى العمل بمجرد مغادرة الطبق الطائر لسماء المنطقة. والجدير بالذكر أن جميع شهود الحادث هم من المهندسين والفنيين الذين يتمتعون بمقدرة علمية واطلاع واسعين. وقد أجمعوا على أن الجسم الغريب شديد الشبه بالأطباق الطائرة.

وبعد !!

تكاد كافة المراجع التي تبحث في ظاهرة اليوفو تجمع على عدم وجود أدلة

قاطعة تثبت أن اليوفو تتعلق بسفن فضائية قادمة من كواكب أخرى . وهناك أمر واقع لا مفر من الاعتراف به وهو أننا لم نجد حتى الآن أي دليل حسي يدل عليها . فلا أداة ، ولا عدة ، ولا قطع غيار أو بقايا مستهلكة قد تركت ، كما أننا لم نصادف أي هارب من تلك السفن ، وليس بحوزتنا صور فوتوغرافية تستحق ثقتنا . ومن المثير أن نشير إلى أن الآلاف المؤلفة من الصور التي تم التقاطها ضمن برامج مراقبة الشهب لم تنجح في التقاط صورة واحدة «للصحون الطائرة» ، كما أنه لا توجد ، حتى الآن ، أية تقارير موثوقة عن اقلاعها أو هبوطها ، ولم يحصل أن اتصل أحد «سكان الكواكب» بعالم أو بسياسي .

ويقصد تفسير هذه الأوضاع ، المحاطة بهالة من الغموض ، فقد أطلق أنصار اليوفو آراء شاذة جداً «فسكان الكواكب» قادرون على **التحكم بالوزن كما يشاؤون** ، وهم يطيرون ضمن «**حقول ذاتية**» لا يقدر أحد غيرهم على توليدها ، وباستطاعتهم كذلك «افناء المادة» والطيران بسرعة تفوق سرعة الضوء ... الخ . ومن البديهي أن هذه الأمور مرفوضة من الناحية الفيزيائية .

أما العلماء المهتمون بتمحيص ظاهرة الأطباق الطائرة ، فيتهمون أنصار اليوفو باخفاء الأدلة التي تثبت أقوالهم . ففي المؤتمر السابع لبحوث اليوفو الذي عقد في ١٩٦٧م في مركز اليوفو في **فيزبادن** بألمانيا الاتحادية ، تم مرة أخرى استعراض الحكاية المسلية التي تزعم أنه استناداً إلى تعليمات البنتاغون الأمريكي ، فقد تم اخفاء جثث «**الأقزام الخضر**» وعددهم ١٦ والذين سقطوا مع صحنهم الطائر في صحراء **نيفادا** عام ١٩٤٦م ، وذلك بقصد طمس التحقيق في الحادث . كذلك فقد تردد أن مواطن الزهرة **فال ثور** الذي هبط في الولايات المتحدة هبوطاً اضطرارياً ، بسبب نفاد وقود مركبته ، موجود رهن اعتقال السلطات الأميركية .

ولتحري مجموعة الظواهر الغامضة التي اجتاحت العالم في الآونة الأخيرة (كمثلث برمودا والأطباق الطائرة) ، فقد أعلن في الولايات المتحدة الأمريكية عن تشكيل جمعية خاصة لإعطاء القول العلمي فيها . وقد صرح **فيليب كلاس** أحد أعضاء الجمعية : «خلال ١٢ سنة من دراسة أشهر تقارير اليوفو وأهمها لم أجد حتى ولا تقريراً واحداً يمكن تفسيره بشكل علمي» .

ولعل أهم أنصار اليوفو هو ج . **هاينك** الذي يعترض بشدة على طريقة مناقشة تقارير اليوفو كما تمت في الكتاب الأزرق ، كما أنه يقدم العديد من الحوادث المثبتة ، موثوقة الاستدلال ، لكنها مع ذلك غامضة تماماً لاستعصائها على جميع محاولات التفسير . ويمضي هاينك إلى أبعد من ذلك في طعنه لتقرير كوندون إذ يقول : «إن التقرير قد تجنب الإشارة إلى أنه لم يتمكن من تقديم تفسير مناسب لأكثر من ربع الحوادث المدروسة . كما يعترض هاينك بشدة على النتيجة التي أوردها التقرير المذكور بأن «ظاهرة اليوفو» غير جديرة بالدراسة والاهتمام بأن يشير إلى :

١ ــ أن الدراسة التي أجرتها مجموعة كوندون قد أخطأت تعريف المشكلة .

٢ ــ أنها بالتالي قد درست موضوعاً مغايراً ، لأن الموضوع درس بتكليف من قيادة سلاح الجو الأميركي ، انطلاقاً من : «هل تشكل ظاهرة اليوفو خطراً على الأمن القومي» ، وليس من وجهة نظر علمية لظاهرة غامضة محيرة .

ومما يزيد الطين بلة الملابسات التي وقعت أثناء قيام لجنة كوندون بعملها والتي أدت إلى استقالة ثلاثة من العاملين في المشروع المذكور .

وقبل نشر تقرير كوندون كلف **المعهد الأميريكي للطيران** لجنة فرعية برئاسة **الدكتور جواشيم كويتز** لدراسة موضوع اليوفو . وقد أبدت هذه اللجنة في تقريرها الذي قدمته بعد سنتين تقريباً من نشر تقرير كوندون اعتراضات حادة على نتائج مجموعة كوندون ، كما أنها أعربت عن استغرابها لتجاهل قسم كبير وهام من الحالات الموثوقة والمدعمة بالثبوتيات الكافية وتقرير النتائج دون التعرض إلى محاولة تفسيرها .

ويرفض أنصار اليوفو الاتهامات الموجهة إليهم وهم يقررون ما يلي :

١ ــ ليس صحيحاً أن معظم مشاهدات اليوفو قد وردت من قبل أنصار اليوفو فقط .. وهناك تقارير كثيرة قدمها أناس لم يكترثوا في السابق لهذه الظاهرة . وأكثر من ذلك ، فقد أدت هذه التجربة إلى اصابتهم بصدمة نفسية قوية .

٢ ــ ليس صحيحاً أن معظم مشاهدات اليوفو قد سجلت من قبل أناس عاديين . فمن بين الذين أدلوا بإفاداتهم عدد كبير من الأشخاص من الذين لا يشك بحواسهم وبقدراتهم العلمية كالطيارين وعلماء الأرصاد ، وضباط الجيش ورجال الدين وغيرهم .

٣ ــ لقد شاب التقارير المقدمة من اليوفو الكثير من الدس والاختلاق والتزييف .. إلا أن هذه الشوائب سهلة الكشف ، ولا يصعب على الإنسان الواعي تحديدها وحذفها من جملة المشاهدات الموثوقة .

٤ ــ إن أسطورة الصحون الطائرة منتشرة في الفضاء الخارجي أكثر ، وتشهد على ذلك شهادات رواد الفضاء عن مشاهداتهم .

ويؤكد الدكتور **كلود يوهار مدير أبحاث الفضاء الفرنسية** على وجود الأطباق الطائرة . ويستند في تأكيده هذا على الدراسة التي أجراها على ٣٥٠٠٠ تقرير عن الأجسام المضيئة ، جمعها من بلدان مختلفة بدقة متناهية اختار من بينها ألف حالة من تلك التي تتوفر فيها الشروط العلمية اليقينية باستعمال حاسب الالكتروني متطور ، وقد خرج من هذه الدراسة بالنتيجة التالية :

الأجسام الطائرة المجهولة برتقالية اللون عادة أثناء الليل ، أما أثناء النهار فتبدو معدنية وهاجة عندما تعكس أشعة الشمس . شكلها إما دائري أو أسطواني أو كروي . ومما يثير الدهشة أن الأوصاف التي ذكرها المشاهدون متطابقة رغم تباعد الروايات وتعدد مصادرها .

لا توجد حتى الآن أدلة قاطعة تثبت أن اليوفو هي مركبات فضائية عائدة لحضارات كونية إذ لم يثبت حتى الآن نزول مثل هذه الكائنات على أرضنا . ولكن هناك من ناحية أخرى مشاهدات غامضة لم نتمكن من تفسيرها بعد تضفي على الموضوع هالة من إشارات الاستفهام والتعجب .

لقد وقعت الإنسانية في مطبات من هذا النوع في السابق . فقد ظل الشك سائداً في المصدر غير الأرضي للشهب حتى بداية القرن التاسع عشر . ومن الذين شكوا في ذلك أكاديمية العلوم الفرنسية على الرغم من تعدد التقارير الواقعية . كذلك فقد وصم بالجنون كل من اعتقد أن الشهب سماوية المصدر . وقد جاءت الاكتشافات العلمية فيما بعد لتؤكد مصدر الشهب السماوي .


السعودية
الخطوط الجوية العربية السعودية
يسر السعودية
أن تستضيفك على أحدث
طائراتها النفاثة حيث تنقلك
إلى معظم أنحاء العالم
saudia
TriStar

تحافظ على قد متناسق وقوام جميل

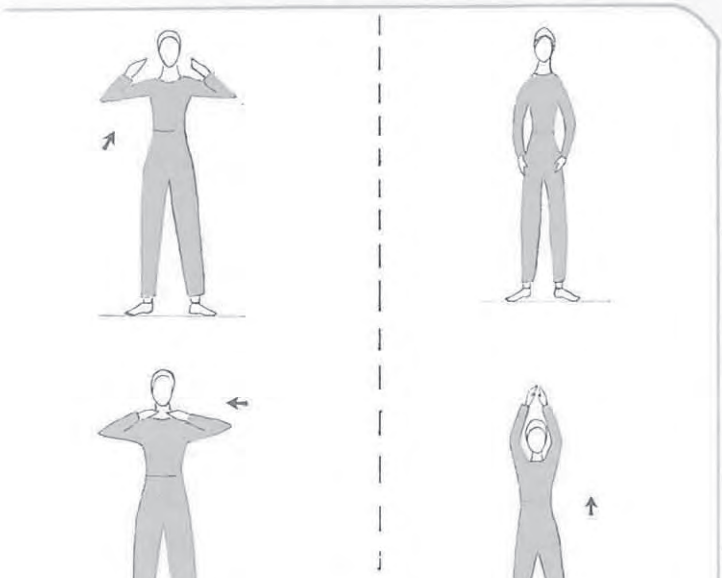
بقلم: د. محمد نزار الدقر

التمرين الأول

وضعية البدء وقوفاً ، الذراعان ممتدتان بحذاء الفخذين والقدمان مفتوحتان للأمام بزاوية منفرجة **(الشكل ـ ١)** ، ارفع ذراعيك نحو الأعلى وإلى الخلف قليلاً ، وفي نفس الوقت ارفع جسمك بحيث يستند فقط على أصابع قدميك مع شهيق عميق ، انزل ذراعيك وجسمك مع زفير كامل ، أعد هذه الحركة ٣ ـ ٥ مرات .

التمرين الثاني

وضعية البدء وقوفاً ، الذراعان منثنيتان عند المرفقين ومتوضعتان أمام الصدر بحيث تتجه الراحتان إلى الأسفل . ارفع مرفقيك إلى الخلف قدر استطاعتك بحيث ينفتح المنكبان جيداً ، ثم عد إلى وضعية البدء **(الشكل ـ ٢)** ، تكرر الحركة ٣ ـ ٥ مرات .



★ إن الوضعية الصحية للجسم والقيافة الجميلة تكون بدون شك بالجذع القويم ، الذي لا يغوص بافراط في منطقة الحوض ، وأن تكون عظام اللوح فيه غير بارزة ، الجذع ذو المنكبين العريضين الحرين ، المفترقين من غير حدود واضحة ، اللذين يهبطان باعتدال على طرفي الجذع دون أن تكون الرقبة غائصة فيهما ، الرأس المرفوع من غير كبر ولا إسراف ، وأخيراً البطن الململم الذي يبدو وكأنه مسحوب من الداخل ★

في مثل هذه الوضعية الصحيحة للجسم لا تتعرقل **الدورة الدموية** ويكون **التنفس** دوماً حراً طليقاً ، وتكون أفعال الاستقلاب الخلوي في أقصى مداها .

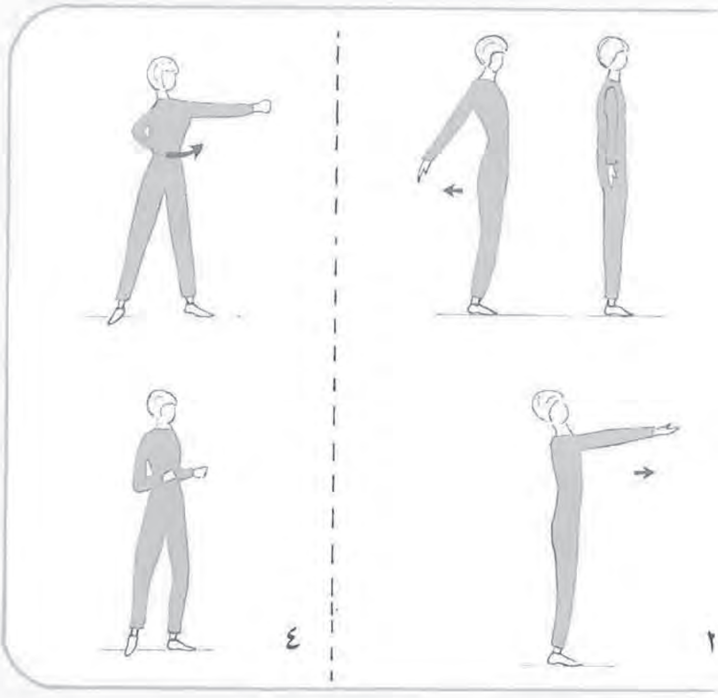
إن التحكم بالجسد المتمرن أسهل بكثير من التحكم بجسد بليد ، ولذلك **لا بد من أجل الحصول على الجسم المتناسق الجميل من صرف بعض الوقت للتمارين البدنية التي تنشط الجهاز العصبي وتقضي على القلق والتوتر النفسي وتساعد الجسم على التخلص من زيادة وزنه** ، كما وتزيد من القوة العضلية وتقوي من مقاومة العضوية للأمراض الانتانية وتحسن الدورة الدموية والاستقلاب الأساسي والوضع الصحي العام للجسم .

وبعبارة أدق ، فإن الرياضة بشكل عام ، والتمارين البدنية بشكل خاص تساعد ـ ولفترة طويلة جداً ـ على المحافظة على جمال الجسم وشبابه وصحته ، وبهذا تحافظ على قدّ متناسق وقوام رشيق . وهنا حقيقة الجمال : جسد خفيف الحركة ، لين العريكة مع حركة موصوفة بالمهارة والمرونة والثقة .

أكثر من **المشي** سيراً على الأقدام ، فهذا أيضاً تمرين جيد للبدن . وحاول أثناء المشي أن يكون تنفسك عميقاً ومنتظماً ، ولا تتأرجح بقدميك أو تهز بيديك فهذا غير لائق ولا مستحسن . وأهم شيء على الاطلاق أن يكون سيرك طبيعياً لا متصنعاً ولا متكلفاً ولا أن تمشي متباطئاً بكسل .

أما حين تجلس فحاول أن يكون جذعك ورأسك بحالة قويمة ، ذلك لأن وضعية الجلوس مع الانحناء وتقعير الصدر ، ليست فقط غير لائقة ، لكنها يمكن أن تؤدي إلى العديد من التشوهات والعلل المزمنة .

ومن المفيد خلال **ساعات العمل** القيام ببعض التمارين الرياضية أو المشي قليلاً مع شهيق وزفير عميقين ، ومن هنا نفهم الفائدة العظيمة التي نجنيها من إدخال الرياضة المهنية في جميع المعامل والمصانع . ونحن نقترح المجموعة التالية من التمارين البدنية البسيطة التي يمكن لكل منا أن يمارسها بسهولة سواء في المعامل أو في ظروف المنزل :



التمرين الثالث

وضعية البدء وقوفاً ، أمدد يديك إلى الأمام وعلى مستوى الصدر مع التصفيق ، ثم أخفض يديك بسرعة إلى الأسفل والخلف مع التصفيق أيضاً خلف الجذع وبشرط ألا تحني جذعك **(الشكل ـ ٣)** ، تعاد الحركة ٣ ـ ٤ مرات .

التمرين الرابع

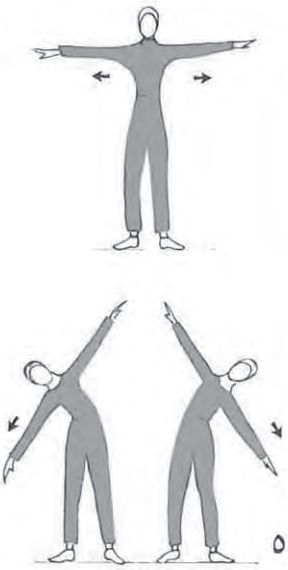
وضعية البدء وقوفاً ، القدمان مفتوحتان إلى الأمام بزاوية منفرجة ، الذراعان منعطفتان عند المرفقين ومنجذبتان إلى الصدر والأصابع متجمعة على شكل قبضة **(الشكل ـ ٤)** ، ادفع اليد اليمنى بقوة إلى الأمام «كقبضة الملاكم» ثم أعدها إلى وضعها الأول ، ثم ادفع اليد اليسرى وهكذا عدة مرات .

التمرين الخامس

وضعية البدء وقوفاً ، القدمان مفتوحتان إلى الأمام بزاوية منفرجة ، الذراعان مرتفعتان على جانبي الصدر في مستوى المنكبين (**الشكل - ٥**) ، احن جذعك إلى اليمين ، ثم إلى اليسار بتأن وبحركات منتظمة دون أن تغير في وضعية الذراعين ، تكرر الحركة ٥ - ٦ مرات .

التمرين السادس

ابتداء من نفس وضعية البدء السابقة ودون أي تغيير في وضعية الذراعين الأفقية أدر الجذع حول محوره القائم حتى النهاية إلى اليمين ، ثم إلى اليسار (**الشكل - ٦**) ، تكرر الحركة ٥ - ٦ مرات .



٥



٦

وفي ختام التمارين البدنية المذكورة تصنع حركات لإرخاء العضلات ببطء برفع الذراعين إلى الأعلى والجانبين مترافقة مع شهيق عميق ، ثم تخفض الذراعان مع زفير عميق . هذا ويجب أن يستريح المتمرن فترة هدوء بين كل تمرينين تعدل ثانيتين إلى ثلاث ثوان .

ويستحسن أن يعتاد المرء أداء تمارينه الرياضية بانتظام ، والأفضل تكرارها مرتين في اليوم صباحاً قبل الفطور وظهراً بعد الغداء بساعتين إلى ثلاث ساعات . ويشترط أن تجرى التمارين في غرفة جيدة التهوية أو في الهواء الطلق .

هذه التمارين الرياضية وغيرها تعطي الإنسان النشاط وتزيد من قدرته على العمل علاوة على ما تقدمه للبدن المتمرن من رشاقة وجمال ، إذ إن جمال الجسم لا يتحقق إلا بالتناسب الحركي والبنيوي بين أعضائه المختلفة ، وهذا لا يؤمنه إلا الرياضة البدنية . ويلعب هنا دور كبير أيضاً وزن البدن الذي يجب أن يعادل بالكيلو غرامات ، الرقمين الأولين من طول الجسم بالسنتيمترات . ولهذا فمن الواجب أن يهتم المرء بوزنه . وفي حالة الزيادة أو النقصان عن ١٠ ٪ من الرقم الطبيعي يجب اتخاذ الوسائل اللازمة مستهدياً لذلك برأي طبيب اختصاصي .

ثم إن شكل الجسم ووزنه يتعلق بأمور عديدة أهمها **التغذية** من كيف وكم ، ونمط الحياة اليومي ، والاستقلاب الأساسي ، ومدى قيام الأعضاء الداخلية في الجسم بوظائفها الطبيعية ، كما يتعلق **بالوراثة والعمر والمهنة** . ففي سن الصبا عندما تكون أفعال الاستقلاب الأساسي بالحدود الطبيعية ، وعندما نعطي للتربية البدنية والأفعال الحركية الوقت اللازم لها فإن

التمرين الأول

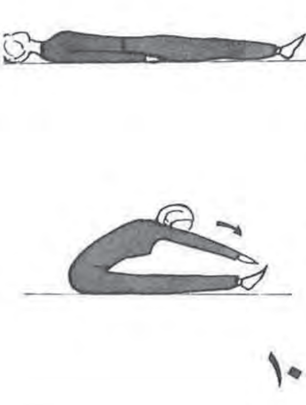
وضعية البدء مستلقياً على الظهر ، ترفع الرجلان معاً وبشكل عمودي على البطن ، ثم تصنع حركة دورانية في كل ساق على حدة ، ثم تعاد الساقان لوضعها (**الشكل - ٩**) ، يكرر التمرين ٨ - ١٠ مرات .

التمرين الثاني

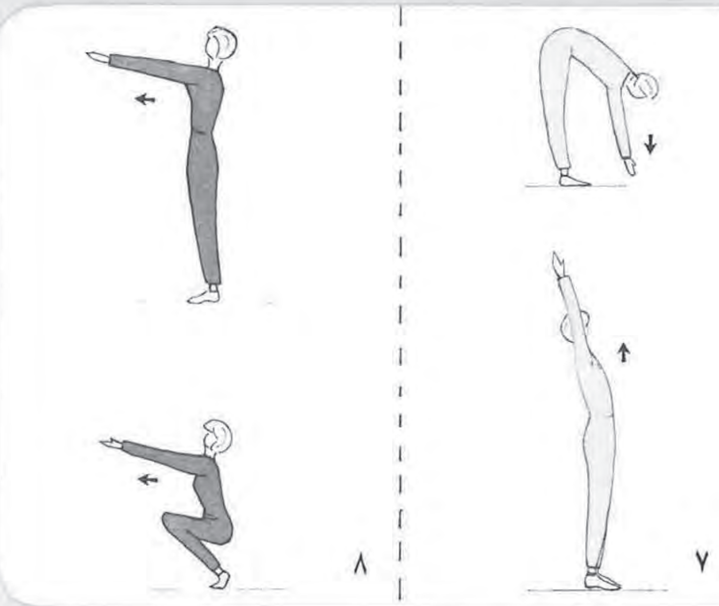
وضعية البدء مستلقياً على الظهر ، اجلس وحاول أن تمس بنهاية أصابع يديك أصابع قدميك دون أن تثني ركبتيك أو أن تحرك ساقيك البتة (**الشكل - ١٠**) ، يكرر التمرين ٥ - ٦ مرات .



٩



١٠



التمرين السابع

وضعية البدء وقوفاً ، القدمان منفرجتان إلى الأمام والذراعان مرتفعتان إلى الأعلى بحيث تتجه الراحتان إلى الأمام **(الشكل ـ ٧)** ، احن جذعك إلى الأمام والأسفل مع الضغط محاولا مس الأرض بنهاية الأصابع ، كرر الحركة ٣ ـ ٤ مرات .

التمرين الثامن

أجلس القرفصاء على رؤوس أصابع قدميك ، دون أن تحني جذعك ، الظهر قويم والذراعان ممتدتان إلى الأمام **(الشكل ـ ٨)** ، ثم قف ، تعاد الحركة ٢ ـ ٣ مرات .

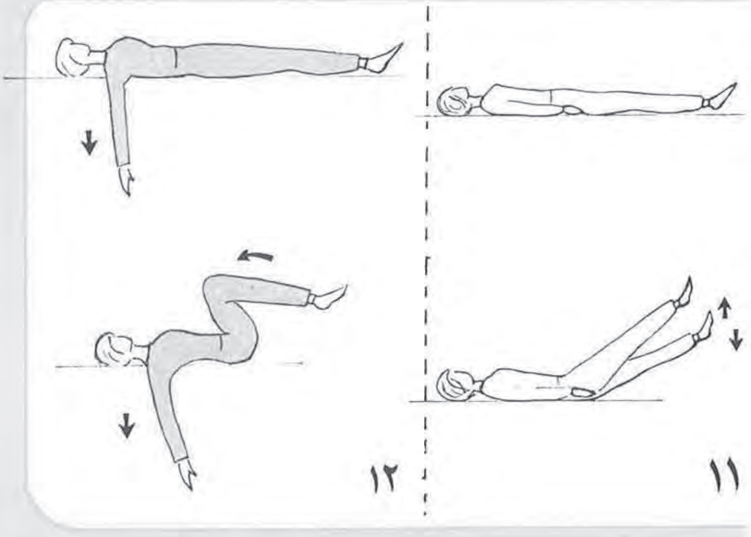
قوام الجسم لا بد وأن يكون متناسقاً ورشيقاً .

ومع تقدم السن تبطؤ عادة أفعال الاستقلاب الأساسي في العضوية ، وينقص عادة اهتمام المرء بالتمارين الرياضية ويبطؤ نشاطه الحركي . كل هذا يفضي إلى تراكم الغذاء في البدن ويميل الجسد نحو البدانة ، وهنا يكثر ترديد السؤال : كيف يمكن أن ننحف ؟

إن **كثرة الطعام** مع قلة الحركة عادة تؤدي إلى **البدانة** . إذا أردنا ألا نقع في البدانة علينا ـ بديهياً ـ أن نتجنب كل ما يؤدي إليها . فالطعام يجب أن يكون قليل الحريرات ، لكنه مشبع من الناحية الكمية وغني **بالفيتامينات . فالخضار والفواكه** ، يمكن تناولها دون أي تحديد في المقدار (عدا البطاطا) . وطعام الفطور يجب أن يكون أكثر جزالة من الغداء .

أما طعام العشاء فيجب أن يكون خفيفاً ومبكراً قدر الإمكان (قبل الساعة الثامنة مساء) . ومن المفضل تناول وجبات الطعام بأوقات منتظمة . والأهم من ذلك كله اعتياد القيام بالتمارين الرياضية البدنية والمشي والمعالجة بالماء ، حيث يستحسن للبدين كثرة تناول الدوش برذاذ قوي من الماء على الأجزاء من الجسم التي يتجمع فيها الشحم .

ولا يجوز أن تجري **عملية التنحيف** بسرعة فهذا يؤدي إلى تفزر الجلد وتجعده ، كما يمكن أن يؤدي إلى العديد من الأمراض . ومن أجل تلافي البدانة أو السمنة يمكن الاستفادة من التمارين التي سبق تفصيلها ، كما أن **هناك تمارين خاصة تفيد في تقوية جدار البطن والفخذين وهي متممة لتأثير التمارين السابقة بالنسبة للبدين بشكل خاص يمكن أن نذكر منها ما يلي :**



التمرين الثالث

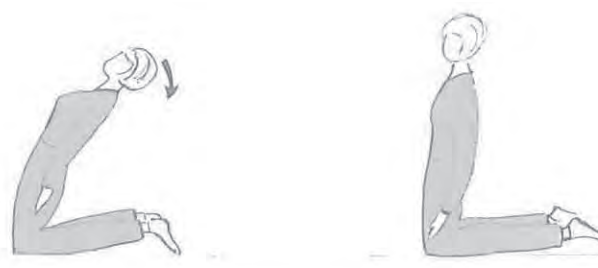
وضعية البدء مستلقياً على الظهر ، ارفع واخفض قدميك الواحدة تلو الأخرى ـ كحركة المقص ـ دون أن تمسا الأرض أو أن تثني ركبتيك **(الشكل ـ ١١)** .

التمرين الرابع

وضعية البدء مستلقياً على الظهر ، اليدان ممتدتان إلى الجانبين ، اثن ركبتيك واجذبهما نحو البطن . وفي هذه الوضعية يدور الجذع إلى الجانب الأيمن ، ثم إلى الجانب الأيسر على التتابع **(الشكل ـ ١٢)** ، وفي أثناء هذه الحركة يجب أن يبقى قسم الجذع العلوي والرأس واليدين في وضعية البدء ، أي ملتصقة بالأرض ، يكرر التمرين ٦ ـ ٨ مرات .

التمرين الخامس

وضعية البدء قائماً على الركبتين ، الذراعان على امتداد الفخذين . وفي هذه الوضعية اثن جذعك ببطء إلى الخلف قدر المستطاع مع الشهيق ، ثم ـ ومع الزفير ـ يعود الجذع إلى الأمام لوضعية البدء **(الشكل ١٣)** ، يعاد التمرين من ٤ ـ ٥ مرات .



١٣

اختيار التمارين الرياضية المناسبة

إن كل تمرين بدني أو رياضة ما يجب أن يهدف إلى غاية معينة . فبعضها مثلاً يعمل على تقوية العضلات ، أو عضلات مقصودة بعينها ، أو يهدف إلى حرق كمية من الحريرات بقصد انقاص الوزن آخذاً بعين الاعتبار حالة الأجهزة الداخلية للبدن . **فرفع الأثقال** يفيد في تقوية العضلات لكنه غير ملائم للقلب والدورة الدموية ، بل قد تكون خطرة عند المستعدين أو المصابين بآفة قلبية إذ أنها تؤدي إلى ارتفاع في الضغط الدموي .

وعلى العكس ، فرياضة **الجري** السريع يمكن أن تفيد قليلاً في تقوية العضلات ، لكنها نافعة جداً للقلب والدوران ولرشاقة الجسم وجماله . وعلينا ألا ننسى أن **الأعمال المنزلية** بمعظمها حتى مسح الأرض وكناسة الغرف وغسيل الملابس يمكن اعتبارها رياضة مفيدة وخاصة من أجل تصريف جزء من حريرات البدن .

وتفيد التمارين المعتدلة في تحسين ، ومن ثم التحكم في آلية الشهية للطعام . إذ إن الشهية يمكن أن تنتظم خلال أشهر من ممارسة التمارين الرياضية ، ثم تتناقص عوضاً عن الزيادة ، كما أن ما يحرقه البدن من حريرات أثناء ممارسته للتمارين البدنية لا يتوقف مع انتهائها ، بل يستمر بعد ذلك فترة تصل إلى أربع ساعات على وجه التقريب .

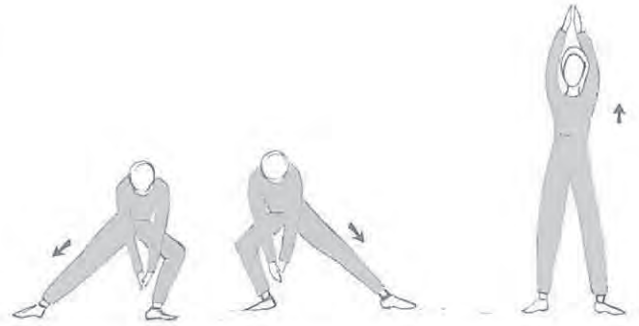
وتستهلك بعض التمارين الرياضية من الحريرات نسبة تزيد عن ثمانية أضعاف ما يستهلكه البدن أثناء الراحة . ومن هذه الرياضات **الركض وركوب الدراجات واللعب بكرة اليد** . ويعتبر متساوياً ما تحرقه من الحريرات إذا لعبت **كرة الطاولة أو الفولي بول** لمدة ساعة أو ركضت مسافة نصف ميل[١] ، ولكن لا يمكننا القول بأن ممارسة لعبة كرة الطاولة لأي زمن يمكن أن تتساوى والقيمة العامة للركض[٢] .

ولكي نحصل على الفائدة القصوى من التمارين ونصل إلى التأثير المطلوب في بنية وتحمل الجسم يجب أن نستخدم العضلات الكبيرة عند أداء التمارين البدنية وبحركات وتواتر متناسق مرة بعد مرة وباستمرار ، وهذا ما ندعوه بالتمارين متساوية التواتر .

والتمارين المناسبة لجهاز القلب والدوران يجب أن تكون منشطة لأخذ الأوكسجين كرياضة المشي والركض الخفيف والسباحة وركوب الدراجة . ويجب أن تمارس ثلاث مرات في الأسبوع على الأقل ولمدة ٢٠ ـ ٣٠ دقيقة مع ملاحظة عدد دقات القلب حين الممارسة بحيث لا تزيد عن ٧٠ ـ ٨٥ ٪ من الحد الأعظمي الذي يستطيع القلب تحمله . والحد الأعظمي لدقات القلب يمكن تقديره عند الشخص البالغ الصحيح الجسم بـ (٢٢٠) ضربة ، ناقصاً عدد سنوات العمر[٣] .

وعندما نعتاد أداء التمارين الرياضية في مستوى معين ، علينا أن نزيد من شدتها بالتدريج ، وذلك ليبقى معدل ضربات القلب ضمن منطقة الهدف مع التأكيد على وجوب الممارسة المنتظمة المتواترة للرياضة البدنية حتى تتحقق الفائدة المرجوة .

وبالإضافة إلى ما ذكرناه آنفاً فعلى كل من يود ممارسة الرياضة التي تناسبه أن يلاحظ ما يلي :



١٤

التمرين السادس

وضعية البدء وقوفاً ، القدمان مفتوحتان إلى الأمام والكفان منطبقتان على بعضهما . ارفع يداك بوضعهما المنطبق إلى الأعلى مع الشهيق ، ثم اثن ركبتك اليسرى مع انحناء الجذع وانزال اليدين لتلامسا عقب القدم اليسرى المنثنية وفي نفس الوقت ـ زفير (**الشكل ـ ١٤**) ، أعد الحركة مع ثني الركبة اليمنى . كرر الحركة ٥ ـ ٦ مرات .

ويجب أن ينتبه المبتدىء إلى أنه لا يجوز له إجراء هذه التمارين مجتمعة وبالتعداد المطلوب لكل منها منذ أول يوم ، ويحبذ أن يقوم بذلك متدرجاً .

● أولا : **توفر الوقت** : يمكن القيام برياضة الركض أو الركوب على الدراجة لمدة ٣٠ دقيقة في أي وقت ، أما الذين لا يملكون الوقت الكافي ويستطيعون تحمل النشاطات القوية ،[1] فيمكنهم ممارسة رياضة القفز في المكان لمدة ١٠ دقائق وسيحصلون على تأثير مناسب ، والرياضة المنظمة تكون أكثر تعقيداً وصرفاً للوقت .

● ثانياً : **استطاعة الجسم** : إذا كنت ذو طاقة صحية محدودة فإن أداء بعض التمارين كالقفز مثلاً ، ستكون مزعجة لك ، وإذا كانت مفاصلك محدودة الحركة ، فيجب أن تلجأ إلى بعض التمارين التليينية البسيطة قبل ممارسة أي تمرين رياضي .

● ثالثاً : **العمر والحالة الصحية الراهنة** : كلما تقدم الإنسان في العمر كلما وجب عليه أن يكون أكثر دقة في اختيار التمارين التي تتناسب وحالة القلب وعدد ضرباته . وعلى كل حال يجب عليه استشارة طبيب اختصاصي قبل ممارسة أية رياضة قوية .

● رابعاً : **التمارين المحببة** : إنك ولا شك تحب ممارسة الرياضة التي ترضيك وتجعلك سعيداً ، وعلى كل حال عليك أن تعطي فرصة للتمارين الجديدة لمدة شهر أو شهرين قبل أن تقرر ما إذا كنت تحبها أو لا .

الهوامش

(١) الميل : يعادل بالنظام المتري حوالي ١٦٠٩،٣ متر .

(٢) فيما يلي قائمة بكمية الحريرات التي يصرفها البدن في الساعة أثناء أدائه مختلف النشاطات التالية لإنسان شاب متوسط البنية وزنه ٦٠ كليو غرام .

نوع النشاط الحياتي	كمية الحريرات المصروفة في الساعة
الاسترخاء أثناء الراحة	٦٠
الجلوس أو الوقوف أثناء الراحة	٨٤
أعمال الخياطة أو الكتابة	٨٤
أثناء لبس أو خلع الملابس	٩٦
أثناء المشي باعتدال	١٩٢
أثناء ركوب دراجة باعتدال	١٦٨
ممارسة التمارين البدنية المعتدلة	٢٤٠
ممارسة النشاط المنزلي	٢٤٠
اللعب بكرة الطاولة	٣٣٦
أثناء الركض	٤٤٤
السباحة أو ركوب الخليل	٤٨٠

(٣) لو فرضنا مثلاً عمر الشخص الممارس للتمرين البدني ثلاثون عاماً ، فيجب الا نتجاوز عدد ضربات قلبه أثناء التمرين «منطقة الهدف» ما يلي :

٢٢٠ ـ ٣٠ = ١٩٠ و ٧٠ ٪ منها تعادل ١٠٠/١٩٠×٧٠ = ١٣٣ ضربة ، ومن أجل عدّ الضربات نتوقف فجأة عن أداء التمرين ونبادر فوراً عدّ النبض لمدة ١٠ ثوان ، ويضرب الحاصل برقم ٦ .

مصادر البحث

(١) كتاب « البدانة » تأليف البروفسور شابيرو Shapiro دار النشر الطبية Medgiz ، موسكو ١٩٦٣م ، باللغة الروسية .

(٢) كتاب « الجمال حق للجميع » تأليف اينا كولغوتيكا دار Meditcina للنشر ، موسكو ١٩٦٥م ، باللغة الروسية .

(٣) كتاب « القاموس في التجميل » تأليف البروفسور م . روزينتول . دار Meditcina للنشر ، موسكو ١٩٦٤م ، باللغة الروسية .

(٤) « يمكنك أن تبدو جميلاً » ، كتاب باللغة الانكليزية You can look Beautiful دار Coles للنشر ، تورونتو ـ كندا ١٩٧٧م .

«درهم وقاية خير من قنطار علاج»

★ إن الوقاية من الأمراض من أهم الفروع الطبية ، بل يعرف الطب حديثاً بأنه : فن الوقاية من الأمراض والآفات واكتشافها في بواكيرها إذا حدثت ، والتغلب عليها بـالعلاج السريع وتعـزيـز الرصيد الصحي بصفة عامة للأفراد والجماعات ، وهذا يتطلب منا أن نعرف أسباب كل داء لنكافحها ونعمل من أجل الوقاية منها والتخلص من العوامل المهيئة لحدوثها ★

بقلم د. مصباح احمد قويدر

وقاية الأسنان

الأسباب المهيئة للإصابة بأمراض الفم والأسنان

● أولا : كثرة عدد الجراثيم الفموية ونوعيتها :

وخاصة العصيات اللبنية التي تؤثر في سطوح أسنان المعرضين للنخر وتحدث نخراً بدائياً ، ولا يلبث هذا النخر أن يصل إلى عاج السن فيسمى عندئذ **بالنخر العاجي** ، وإذا لم يراجع المريض طبيب أسنانه في هذه المرحلة يزداد انحلال العاج وتصل الآفة إلى لب السن (الحاوي على الأوعية المغذية والأعصاب) وبالتالي التهابه وربما يصاب بالتموت والتعفن فيشكل بؤرة مرضية في الفم .

● ثانياً : وفرة الفضلات الطعامية وبقاؤها في الفم :

وهذا من أهم العوامل للإصابة بنخر الأسنان وأمراض الفم ، حيث إنها تؤدي إلى النخر بوجود الجراثيم الفموية وتهيج اللثة والنسج المحيطة بالأسنان بالإضافة إلى تشكل القلح فتترسب على سطح سنة واحدة أو عدة أسنان متجاورة كتل قد تكون كبيرة (وخاصة في المواضع التي لا تنظف غريزياً بواسطة المضغ ولا اصطناعياً بواسطة الفرشاة أو السواك) ، فتسبب التهاب اللثة واحتقانها ونزفها ، وتتشكل **الجيوب اللثوية** التي تساعد على تكاثر الجراثيم وتخمر بقايا الطعام ، وبالتالي **ظهور رائحة كريهة** لفم المريض Halitosis تجعل المتحدث إليه ينفر منه ، وقد يصاب المريض نتيجة لذلك بحالة نفسية تجعله منعزلا عن الناس . وكذلك ربما يصاب المريض بالتهاب لثوي معمم وبالخراجات وما ينتج عنها من أضرار بالغة الأهمية ، وقد تتراجع اللثة وينحسر **العظم السنخي** المحيط بالأسنان فتزداد حركة الأسنان التي تساعد بدورها أيضاً على تهيج اللثة والنسج الرخوة المحيطة بالأسنان ، وربما خسر المريض بسبب ذلك عدداً من أسنانه ، عدا عن وجود أمراض فموية أخرى ناتجة عن إهمال الأسنان الزائد .

● ثالثاً : الغذاء والمضغ :

إن تناول **السكريات** في أوقات متعددة يؤدي إلى توليد **الحموض** التي لها دور في نخر الأسنان ، كما أن الاكثار من تناول الحموض ربما



○○ والحفاظ عليها سليمة

يؤدي إلى تآكل Erosion في أعناق الأسنان . ولنعلم **أن المآكل اللينة أشد التصاقاً بالأسنان وأكثر ضرراً لها من المآكل الليفية القاسية .**

● **رابعاً : اللعاب وتبدلاته الغريزية والمرضية :**

أي مقدار احتوائه على المخاطين ولزوجته وقوامه وتبدله في الحالات المرضية كالحميات والحمل والإرضاع ، وذلك لما له من تأثير في مقاومة الغشاء المخاطي الفموي ضد العوامل المؤذية ، واستقلاب الميناء السنية بسبب التبادل المستمر مع العناصر المغذية الموجودة في الغذاء .

● **خامساً :** شكل الأسنان التشريحي ووضعها في القوس السني .

● **سادساً :** بناء الأسنان واحتوائها على **مادة الفلور ،** والاستعداد الشخصي للإصابة .

● **سابعاً :** التدخين .

● **ثامناً : عوامل مهيئة أخرى :**

الوراثة - الجنس والعمر - الفيتامينات - الغدد الصم - الأمراض العامة المختلفة .

* * *

■ الوقاية من أمراض الفم والأسنان

●● الوقاية في أثناء الحمل ●●

إن الجنين في رحم أمه يأخذ ما يحتاجه من العناصر المعدنية من والدته ، فتهاجر كمية من كلس الأم إلى الجنين ، بالإضافة إلى نقص الكلس من الدوران والعظام بسبب نشاط الغدد عند الحامل وخاصة **الغدة الدرقية** ومجاوراتها ولا سيما في الأشهر الأخيرة من الحمل ، لذلك تكون أسنان ٨٠ ٪ من الحوامل - اللاتي لا يعتنين بصحتهن قبل وفي أثناء الحمل - في حالة صحية سيئة ، فتزيد حساسية أسنانهن ويكثر فيها النخر وخاصة في **الشهرين الخامس والسادس** ، وهذا مصداق

القول : **(كل طفل يفقد أمه سناً من أسنانها)** . وكذلك يمكن أن يرافق الحمل التهاب في اللثة حيث يظهر غالباً بدءاً من **الشهر الثالث** من الحمل ويستمر إلى نهايته ، ويبلغ ذروته في الشهرين **السادس والسابع** ، فتصبح اللسينات اللثوية محتقنة ومتهيجة وسريعة النزف وخاصة بعد اللمس ولو كان بسيطاً ، وقد يتطور التهاب اللثة الحملي إلى التهاب لثة ضخامي وحيد أو متعدد مختلف الأبعاد ذي لون أحمر قان سريع التفرح والالتهاب . **ولكي تكون الحامل في حالة صحية جيدة ولا تعرض نفسها في أثناء الحمل لمعالجات إسعافية ولتناول أدوية مختلفة قد تؤثر على صحتها وصحة وليدها المرتقب تنصح بما يلي :**

١ ـ زيادة العناية بصحة الفم والأسنان عند الحامل وذلك بتنظيف الأسنان بالفرشاة والمعجون وبتدليك اللثة يومياً لتنشيط الدورة الدموية الموضعية وإزالة الاحتقان .

٢ ـ اعطاء الحامل بعض الفيتامينات الضرورية **فيتامين** (C-B) واعطاؤها المواد المعدنية الضرورية كمركبات **الكالسيوم** تحت إشراف الطبيب .

٣ ـ عدم تناول الأدوية في أثناء الحمل إلا بعد مشورة الطبيب .

٤ ـ تناول غذاء كاف محتو على الكالسيوم مع **فيتامين** (D) كالحليب ومشتقاته .

٥ ـ تقليح الأسنان وإزالة كل أسباب التخريش المؤذية لها وللثة .

٦ ـ تطبيق **الفلور** على سطوح الأسنان عند طبيب الأسنان منذ الشهر الثالث من الحمل وذلك لمقاومة انحلال معادن الأسنان ، وكذلك يمكن لطبيب الأسنان أن يصف حبات الفلور للأم الحامل بالإضافة لهذه المداواة الموضعية ، وذلك لأن الفلور أحد مركبات الميناء الطبيعية ، ويكسب الأسنان مقاومة ضد النخر ويساعد على الحفاظ عليها . ويقي أيضاً من أمراض اللثة لأنه يحول بين تشكل اللويحة الجرثومية أو يؤخرها فيما إذا لم تتشكل بعد ، وأما إذا تشكلت فإنه يمنع تأثير السكريات التي تعتبر من أهم ما يؤذي الأسنان .

٧ ـ التعاون مع اخصائي النسائية للاطمئنان على صحة الحامل وحالة الحمل باستمرار .

●● وقاية أسنان الأطفال ●●

١ ـ على الأمهات مراقبة الأسنان اللبنية لأطفالهن بدءاً من السنة الثانية .

٢ ـ تعليم الأطفال تنظيف أسنانهم بالفرشاة بعد كل طعام وقبل النوم خاصة بمعجون يحتوي على الفلور ، وبعد أن يكون قد اكتمل بزوغ أسنانهم اللبنية العشرين وبلغوا الثالثة من العمر ، لأن **عدم الاهتمام بتنظيف أسنان الطفل يؤدي إلى جعلها مرتعاً خصباً للجراثيم ويصبح فمه مصدراً لها فتؤثر على صحة لوزتيه وبلعومه وعلى صحته العامة** . وكذلك إن نخر الأسنان وتهدمها يضعف من قوتها ومن مقدرتها على القيام بوظيفة **المضغ** مما يسبب عسراً في الهضم وسوءاً في صحة الطفل العامة .

٣ ـ مراجعة طبيب الأسنان ابتداء من السنة الرابعة كل ستة أشهر ، وذلك لأن نخر الأسنان يبدأ ظهوره ما بين الثالثة والرابعة من عمر الطفل وتكون نسبة ١/٣ حسب إحصاءات منظمة الصحة العالمية ، وحتى يقوم طبيب الأسنان بدوره في وقاية أسنان الطفل وخاصة في حالة سوء وضع الأسنان والتشوهات الفكية عند الأطفال .

٤ ـ منع الأطفال من تناول السكاكر والحلويات وخاصة قبل النوم لأنها العدو الأول للأسنان .

٥ ـ مس الأسنان بالفلور عند طبيب الأسنان . فقد ثبت أن مس سطوح أسنان الأطفال المتكرر بمحلول **فلور الصوديوم** ٢ ٪ ينقص من انتشار النخر في الأسنان المعالجة بنسبة ٤٠ ٪ ، ولقد تبين من الدراسات أن قليلاً من الفلور يبقى ضمن الأسنان وذلك بعد تطبيقه موضعياً على سطوحها فيزيد من صحتها ومقاومتها للنخر .

٦ ـ الاسراع بمعالجة أسنان الأطفال المصابة . إن ما يعتقده كثير من الآباء والأمهات خطأ من عدم ضرورة معالجة أسنان الأطفال لأنها سوف تستبدل بالأسنان الدائمة سبب في كثرة انتشار النخر بين أسنان الأطفال وربما إصابتها بالتعفن والخراجات ، فيؤدي ذلك إلى قلع الأسنان المبكر ، وبالتالي ينتج عنه اضطراب في وضع الأسنان الدائمة البديلة فيما إذا لم تجر لهم العناية اللازمة عند طبيب الأسنان ، وربما كان السن الذي يعاني منه الطفل ضرساً دائماً ـ حيث إنها تبزغ في الفم بعمر ٦ سنوات تقريباً ـ دون انتباه الوالدين ، فتصاب بالنخر بشكل مبكر ويتهاون الوالدان في أخذ الابن للطبيب ظناً منهما أنها سن لبنية وبالتالي تشتد الآفة وربما خسر الطفل ضرسه الدائم بسبب ذلك .



●● الوقاية عند الكبار ●●

١ - تفريش (تسويك) الأسنان بعد الأكل مباشرة وقبل النوم طولانياً وبشكل نصف دائري يتجه من الأعلى إلى الأسفل في الفك العلوي ومن الأسفل إلى الأعلى في الفك السفلي .

والغاية من ذلك الاقلال ما أمكن من تراكم فضلات الأطعمة بين الأسنان وفي الوهاد والميازيب السنية ، وإزالة أكثر ما يتوضع على الأسنان من العوالق المخاطية واللويحات الجرثومية ، ومنع تأثيرها المخرب مع ملاحظة عدم الافراط في تفريش الأسنان وعدم استعمال فرشاة قاسية ولا سيما ذات الأشعار المصنوعة من النايلون الذي لا يلين في الماء أو اللعاب ، لأن ذلك يؤدي إلى إصابة أعناق الأسنان بالتآكل والانسحال . وقد جاءت تعاليم **الدين الإسلامي** الحنيف منذ أربعة عشر قرناً تحث على ذلك ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء** » .

٢ - الامتناع عن المعاجين الحاوية على إحدى المواد الساحلة إلا بمشورة طبيب الأسنان ، لأن استعمالها الدائم قد يؤدي إلى تخريش ميناء الأسنان وبالتالي زيادة حساسيتها بالمهيجات الحرارية أو الكيماوية .

٣ - مضمضة الفم بعد تناول السكاكر والحلويات لغسل الأسنان والاقلال ما أمكن من تناولها والابتعاد عن تناول المآكل اللينة التي تلتصق بالأسنان .

٤ - عدم تناول طعام ما إلا في أوقات معينة .

٥ - مضغ الطعام مضغاً جيداً وجعله منوعاً وقضم الجزر والفجل والتفاح والفاكهة القاسية قضماً .

٦ - مراجعة طبيب الأسنان مرتين في السنة لفحص الفم والأسنان وإزالة الرواسب القلحية عنها ومعالجة المصاب منها ولإجراء التدابير الوقائية اللازمة ، مع ضرورة تطبيق نصائحه فيما يتعلق بالمعالجة والعناية الفموية . ومن أجل إجراء المس الفلوري وبخاصة من يكون على استعداد لانتشار النخر في أسنانه ، أو من كان غذاؤه خالياً من الفلور أو يحتويه بنسب قليلة ، ويختار طبيب الأسنان الطريقة المناسبة لتطبيق الفلور ، أما بمس سطوح الأسنان بمحاليله أو بتطبيق هلام يحتويه على القوس السنية مباشرة بتشريده بواسطة أجهزة تشريد خاصة لتسريع حركة شوارد الفلور وادخالها ضمن ميناء الأسنان فتتفاعل مع فوسفات الكالسيوم حتى ضمن المادة اللاصقة للمواشير الميناثية .

٧ - عدم تناول الأطعمة الحارة والباردة دون فاصل زمني لأن ذلك يؤدي إلى الإصابة بتشقق ميناء الأسنان وبالتالي حساسيتها وسهولة انكسارها .

٨ - عدم استخدام الأسنان بأعمال تتطلب قوة زائدة قد تؤدي إلى كسر في ميناء أو تاج سن واحدة أو عدة أسنان .

٩ - الاقلاع عن التدخين . إن التبغ بما يحتويه من مواد ضارة **كالنيكوتين** وغيره وبما ينتج عن احتراقه من **أول اكسيد الكربون** يؤدي إلى كثير من الأمراض الفموية أذكر منها :

رائحة الفم الكريهة التي يشعر بها كل من يقترب من المدخن وتؤدي إلى النفور منه ، وذلك لأن الدخان يحتوي على مواد ذات أبخرة نفاذة وهي تترسب على سطوح الأسنان لتشكل مصدراً دائماً لبخر الفم عند المدمنين . وكذلك **يؤدي التدخين إلى التهاب الفم النيكوتيني - التهاب الشفة -** خاصة عند المدمنين بسبب كثرة تهيجها بالعاملين الحراري والميكانيكي . وأكثر ما يبدو للمشاهد من تأثير التدخين هي اللطوخ التبغية Tobacco Stains أعني تلك البقع السوداء المختلفة في حجمها ومكانها ومدى انتشارها والتي تصيب سطوح الأسنان وما ينتج عنها من تكوّن مزمن وسيىء المنظر عند المدخنين بالإضافة لما يسببه التدخين من أمراض صدرية وعامة قد تكون خطيرة .

ولقد بينت الدراسات الهامة التي أجراها العالمان (Brows & Wynder) في عام ١٩٥٧ م ، أنه يمكن تفادي حدوث أربع حالات من كل خمس حالات من **سرطان الفم ،** وذلك بالامتناع عن التبغ والمشروبات الكحولية ، لذا فإن أفضل وقاية بالنسبة للمدخنين هي الاقلاع عن التدخين ، ولا تتطلب منه سوى الاقتناع الكامل والعزيمة الصادقة .

● التدابير الوقائية الجماعية والعامة

أ - تفريش الأسنان أو إجراء المضامض الفموية لطلاب المدارس مثلاً بمحاليل فلورية غير مركزة كل أسبوعين أو أكثر ، وقد أعطت التقارير نتائج جيدة بعد تطبيقها بشكل واسع في المدارس الإسكندنافية .

ب - إضافة الفلور إلى مياه الشرب أو إلى الأطعمة كالحليب والشوكولا .

ج - نشر التوعية الصحية السنية بمختلف الوسائل الإعلامية .

وأخيراً ما أجمل أن يفتر ثغر الإنسان عن أسنان صحيحة بيضاء ناصعة .



مسرحية

من فصل واحد ● تأليف: أوجست ستريندبرج

نقلها إلى الإنجليزية .. عن السويدية - إدوين بيركمان ● ترجمة: علي شلش

الأقوى



المؤلف والمسرحية

* أوجست سترندبرج أحد رواد الحركة الحديثة في المسرح العالمي ، وهي حركة بدأها معاصره **هنريك إبسن** ، وتهدف في مجموعها إلى تحرير المسرح من سيطرة الشكل ، وتقريبه إلى المجتمع الذي ينشئه ثم يستمتع به ، وكذلك تسعى إلى الواقعية كأسلوب في تناول قضايا المجتمع ، وفهم الفرد باعتباره الخلية الأولى في أي مجتمع .

* ولد ومات بوطنه **السويد** (١٨٤٩ - ١٩١٢ م) وخلف أكثر من عشرين مسرحية بين طويلة وقصيرة ضمنها حياته وتجاربه الجامحة المتقلبة ، ومن أشهرها **«الأب»** ، **«الآنسة جوليا»** ، **«الطريق إلى دمشق»** .

* أثر في المسرح الأوروبي والأميريكي بصفة خاصة ولا سيما بعد الحرب الثانية ، ووجد فيه شباب الكتّاب المعاصرين في أوروبا وأميريكا أستاذاً من أساتذة النفس البشرية المتقلبة الجموح المترددة الباحثة عن الخلاص .

* إذا كانت مسرحيته القصيرة هذه **«الأقوى»** تعتبر أقصر أعماله فإنها تكشف عن براعة لا شك فيها في رسم الشخصية وكتابة الحوار ، على الرغم من صمت الشخصية الثانية فيها ، ذلك الصمت البليغ المعبر عن أزمة الشخصية الأولى ، وغيرتها الشديدة على زوجها ، بل ومحاكمتها لنفسها أمام قاض أخرس ، لكنه «أقوى» بصمته وبروده إذا صح التعبير - وهي في مجموعها أشبه بقصيدة غنائية تعبر عن أزمة المرأة حين تحب وحين تغار ، بل وحين تنتابها الوساوس وتطاردها كوابيس - لا أحلام - اليقظة !

عن المسرحية بقلم : مترجمها إلى الانجليزية :

[* **تعتبر مسرحية الأقوى أقصر أعمال سترندبرج الدرامية** . وقد سماها هو مشهداً . فهي مجرد حادثة - تسمى على مسرحنا الفودفيل - **تابلوه** Tableau ، ولدى الفرنسيين **مسرحية ربع الساعة** Piéce de quart d'heure . وتظل إحدى الشخصيتين صامتة طوال الحدث مما يجعل المسرحية أقرب من الناحية العملية إلى المونولوج . لكنها تتضمن كل ما عهدناه في فن سترندبرج المسرحي من كثافة درامية . ويتخللها صراع ذهني يجعل المصائر الإنسانية تبدو بسببه في تبدل أثناء ملاحظتنا لها . وخلال الدقائق القليلة التي نصغي فيها إلى ثرثرة السيدة و - التي تبدو بلا هدف ومن ثمة تحمل فالا سيئاً - نتعرف على ثلاث قصص من الحياة تتكشف أمامنا . وحين تنصرف في النهاية ، منتصرة في اعتداد ، فإننا نعرف الكثير عنها ، وعن زوجها ، وغريمتها ، كما لو كنا نطالع رواية عنهم في ثلاثة أجزاء .

ودور السيدة (و) على ضآلته كما هو واضح ، قد يناسب **«نجمة»** من نجوم التمثيل ، لكن الممثلة ذات الموهبة والفطنة قد تفضل دور الآنسة (ي) الأخرس . وثمة أمر مؤكد : هو أن للشخصية الأخيرة بعض الحق في أن تستدعي من المخرج سلامة الذوق والمهارة والخيال . فغريمة السيدة و التي لا تنطق بكلمة هي نمط آخر من تلك الشخصيات الخفاشية التي كان سترندبرج مولعاً برسمها وهي التي تسلط عليها أضواء المسرح بالحاح لا هوادة فيه *]

الشخصيات :

السيدة و : ممثلة متزوجة

الآنسة ي : ممثلة غير متزوجة

المنظر : ركن في مطعم مخصص للسيدات . مائدتان صغيرتان من الحديد الزهر ، أريكة مغطاة بالمخمل الأحمر ، وبضعة مقاعد . تدخل **السيدة (و)** ترتدي قبعة ومعطفاً شتوياً ، وهي تحمل على ذراعها سلة يابانية بديعة . توجد أمام **الآنسة (ي)** زجاجة مشروب لم تفرغ بعد ، وهي تطالع في مجلة أسبوعية مصورة تستبدلها بأخرى من حين لآخر .

السيدة (و) : حسن ، كيف حالك يا ميلي ؟ تجلسين هنا وحدك في ليلة عيد الميلاد ، مثل عانس مسكينة .

(ترفع الآنسة رأسها عن الصحيفة لدقيقة ، ثم تخفضها ، وتستأنف المطالعة .) أحس بالأسى حقاً لأنني أجدك على هذه الحال - وحيدة - وحيدة في مطعم ، وفي ليلة عيد الميلاد بالذات .

هذا يذكرني بحالة الأسى التي أصابتني حين شاهدت حفل زفاف ذات مرة بأحد المطاعم في باريس . كانت العروس تطالع في صحيفة هزلية ، والعريس يلعب البليارد مع الشهود ، أخ ، قلت لنفسي ، كيف سينتهي الحفل ، عندما يبدأ بهذا الشكل ؟ تصوري ، يلعب البليارد في يوم زفافه ! نعم وستقولين إنها كانت تطالع في صحيفة هزلية ، لكن هذه قضية أخرى يا عزيزتي .

(تحضر إحدى المضيفات كوبا من الشيكولاتة ، وتضعه أمام السيدة (و) ثم تخرج مرة أخرى) .

(ترشف بضع ملاعق ، ثم تفتح السلة ، وتخرج منها بعض هدايا عيد الميلاد) .

انظري ما اشتريته لأطفالي **(تتناول دمية)** ما رأيك في هذه ؟ إنها لليزا . تستطيع أن تحرك عينيها ، وتثني رأسها ، أليس كذلك ؟ جميلة ، أليس كذلك ؟ وهذا مسدس يعمل بالفلين لكارل .

(تحشو المسدس وتصوبه نحو الآنسة ي .)

(يبدو الفزع على الآنسة ي)

هل أفزعتك ؟ لماذا ، إنك لم تخافي من أنني كنت سأطلقه عليك ، أليس كذلك ؟ حقاً ، لم يخطر ببالي أنك قد تسيئين الظن بي ، ولو كنت أنت التي ستطلقين عليّ لما دهشت على الاطلاق ، لقد وقفت في طريقك ذات مرة ، وأعرف أنك لن تغفري لي ذلك قط ، مع أنني كنت بريئة ، فأنت ما زلت تظنين أنني تآمرت على طردك من المسرح الملكي ، وأنا لم أفعل شيئاً من هذا ، مع أنك تظنين ذلك . طبعاً لا أهمية لما أقول ، فأنت تعتقدين أنني كنت السبب **(تخرج زوجا من الشباشب المطرزة)** حسن ، هذا من أجل زوجي ، زهرة التوليب ، طرزتها بنفسي . آه! إنني أكره زهور التوليب ، أما هو فيفضلها على كل شيء .

(ترفع الآنسة عينيها عن الصحيفة ، ويبدو عليها تعبير خليط من التهكم والفضول)

(تضع «و» يديها في الشبشب) أنظري كم هما صغيرتان قدما بوب . أترين ؟ يجب أن تشاهديه وهو يمشي ، برشاقة ! طبعاً أنت لم تشاهديه قط وهو يرتدي شبشباً .

(تضحك الآنسة «ي» بصوت مسموع)

أنظري هنا ، ها هو يقبل .

(تحرك الشبشب على المائدة)

(تضحك الآنسة «ي» مرة أخرى)

ثم ينفعل غاضباً ، ويدق بقدمه تماماً كما ترين قائلاً : «ويحي هذا الطباخ الذي لم يتعلم كيف يصنع القهوة» ثم يسري تيار من الهواء من أسفل الباب ويصيب البرد قدميه .



فيقول : «آي ، إن قدمي تتجمدان ، فهؤلاء البلهاء الذين لا عقل لهم لا يعرفون حتى المحافظة على تدفئة البيت كما يجب» .

(تفرك نعل إحدى فردتي الشبشب بباطن نعل الأخرى)

(تنفجر الآنسة «ي» في ضحكة متواصلة)

ثم يعود إلى البيت ويكون عليه أن يبحث عن شبشبه ، حيث تكون ماري قد دفعت به إلى أسفل المكتب . حسن ، قد لا يكون من الصواب أن يجعل الإنسان من زوجه مادة للضحك . إن فيه صفات جميلة كثيرة .. فهو زوج حقيقي صغير عزيز . يجب أن يكون من نصيبك زوج مثله . ماذا يضحكك ؟ ألا يمكنك أن تفصحي ؟ ثم إنني أعرف . كما ترين ، أنه زوج مخلص . نعم أعرف ، لأنه قال لي بنفسه .. فماذا في الدنيا يجعلك تضحكين بمكر كهذا ؟ لقد حاولت تلك القذرة المسماة «بتي» أن تخطفه مني عندما كنت مسافرة **فهل في استطاعتك أن تتصوري ما هو أكثر** من ذلك خسة ووضاعة ؟ .

(صمت) لو كنت حاضرة عندما حاولت ذلك ، لما توانيت عن فقء عينيها **(صمت)** وأثلج صدري أن بوب حكى لي كل تفاصيل المحاولة ، مما جعلني أكف أذني عن سماعها من سواه . **(صمت)** فكري في الأمر ، فليست بتي هي الوحيدة في الميدان ! ولا أعرف سبباً لذلك ، غير أن جميع النساء يبدين جنوناً بزوجي . ولا بد أن ذلك يرجع إلى أنهن يتصورن أن مركزه الحكومي **يجعله ملما بالارتباطات الزوجية** . وربما حاولت أنت ذلك بنفسك ، فلعلك نصبت له فخاخك أيضاً ؟ نعم ، فأنا لا أثق بك كثيراً ، لكنني أعرف أنه لم يهتم بك قط .. ولهذا كنت أعتقد أنك تحقدين عليه .

(صمت . تنظر كل منهما إلى الأخرى بطريقة مرتبكة)

ألا تقضين المساء معنا يا إميليا ؟ لمجرد أن تثبتي أنك لست غاضبة .. مني على الأقل ؟ لا أستطيع أن أفسر السبب بدقة ، لكن يبدو من الحقارة بمكان أن أجعلك - أنت - أن أجعلك عدوة . ربما لأنني وقفت في طريقك في ذلك الوقت .

(تتباطأ في الكلام) أو - لا أدري - حقاً ، لا أدري على الاطلاق .

(صمت . تحملق الآنسة «ي» في السيدة «و» متفحصة كمن يبحث عن شيء) (بتفكير) كانت الطريقة التي بدأ بها تعارفنا غريبة جداً - والسبب أنني خفت منك عندما التقيت بك لأول مرة - كنت خائفة لدرجة أنني لم أجرؤ على تفادي النظر إليك . لا يهم الملاذ الذي حاولت أن ألوذ به - فقد وجدت نفسي دائماً قريبة منك . لم يكن عندي الشجاعة لأن أكون عدوتك ، ولهذا أصبحت صديقتك . لكن كان هناك نشاز في الجو عندما كنت تأتين إلى بيتنا ، لأنني رأيت أن زوجي لم يستلطفك مما ضايقني ، تماماً كما هي الحال عندما لا



يتناسب الثوب مع الجسم . وبذلت كل ما في وسعي كي أجعله يظهر لك عواطف الصداقة على الأقل ، لكنني لم أستطع أن أزحزحه عن مكانه ـ حتى قبل خطوبتك . ثم أصبحتما أنت وهو صديقين بسرعة لدرجة أنكما كنتما تبدوان كما لو أنكما لم تجرؤا على اظهار مشاعركما الحقيقية من قبل ، عندما لم يكن الأمان موجوداً ـ أما الآن فسوف أرى ! لم تدب الغيرة في قلبي . أليس ذلك أمراً غريباً ؟ إنني أذكر تجربة المعمودية ـ كنت تمثلين دور الأم في العماد ، لكن كلا منكما بدا عليه الارتباك بشكل فظيع ـ أي إنني لم ألتفت إلى المسألة في ذلك الوقت ـ أو حتى فيما بعد ـ لم أفكر فيها قط ـ إلا الآن ! **(تنهض مندفعة)** لماذا خرست ؟ لم تنطقي بكلمة واحدة طوال هذا الوقت . كل ما فعلته أن تركتني أواصل الكلام . كنت جالسة تحملقين فيّ فحسب . لقد سلبتني عيناك كل الأفكار ، ربما الأفكار السيئة ـ فليكن . لماذا فسخت خطوبتك ؟ لماذا انقطعت عن زيارتنا فيما بعد ؟ لماذا تمانعين في مشاركتنا الليلة ؟

(تصدر الآنسة «ي» حركة كما لو كانت تنوي الكلام)

لا ـ لست بحاجة لأن تعقبي بشيء على الاطلاق . الآن اتضح لي كل شيء . هذا هو السبب في كل ذلك ! نعم ، نعم ! كل شيء في مكانه تماماً الآن . ألا تخجلين من نفسك ! لا أريد أن أشاركك مائدة واحدة **(تنقل أشياءها إلى مائدة أخرى)** لقد اتضح لي السبب في ضرورة رسم زهرة التوليب الكريهة هذه على شبشبه ، لأنك تحبينها . **(تقذف بالشبشب على الأرض)** اتضح لي السبب في ضرورة أن تقضي الصيف في الجبال ، لأنك لا تستطيعين أن تتحملي رائحة المحيط الملحة ، وكذلك السبب في أن ولدي سمي باسم «أسكيل» ، لأنه كان اسم أبيك ، وكذلك السبب في ضرورة أن أرتدي ملابس بلون ملابسك ، وأن أقرأ كتبك ، وآكل أطباقك المفضلة ، وأحتسي مشروباتك ـ هذه الشيكولاتة مثلاً ، هذا هو السبب ـ بحق السماء ! ـ إن التفكير في ذلك فظيع ـ فظيع ! كل شيء فرضته أنت علي ـ حتى عواطفك . اخترقت روحك روحي . مثلما تفعل الدودة مع التفاحة ، وراحت تأكل وتأكل . تحفر وتحفر ، حتى لم يعد هناك شيء سوى القشرة الخارجية وقليل من الغبار الأسود . كنت أريد أن أهرب منك ، لكنني لم أستطع . كنت دائماً أمامي ، تسحرينني كالأفعى بعينيك السوداوين . كنت أحس أن أجنحتي تضرب في الهواء لا لشيء سوى أن تلقي بي على الأرض . كنت في الماء ، وقدماي مغلولتان ، وكلما جاهدت بذراعي ، ازداد غوصي إلى أسفل .. أسفل . حتى غطست في القاع ، حيث كنت تقبعين (كأبي جلمبو) متوحش كي تمسكيني بمخالبك ، وها أنا ذا الآن ! لك أن تخجلي من نفسك ! كم أكرهك ، أكرهك ! أما أنت ، فتجلسين صامتة هادئة غير مكترثة ، سيان كان القمر هلالا أو بدراً ، سيان كان عيد ميلاد أو منتصف صيف ، سيان كان الآخرون سعداء



أو تعساء . إنك لا تستحقين الكراهية ، ولا تدرين كيف تحبين . ها أنت تجلسين كقطة أمام حجر فأرة ، لا تستطيعين جر فريستك إلى الخارج ، ولا تستطيعين تعقبها ، لكنك تستطيعين انتظارها ، ها أنت تجلسين في هذا الركن . الا تعرفين أنهم أطلقوا عليه اسم « مصيدة الفأر » عملاً بوصفك له ؟ ها أنت تقرأين الصحف لتعرفي ما إذا كان أحد في ورطة ، أو ما إذا كان أحد على وشك أن يطرد من المسرح . ها أنت تراقبين ضحاياك وتحصين أنصبتك وتتسلمين أتاواتك . يا لك من مسكينة يا إميليا ! الا تدرين أنني - مع هذا - أرثي لك ، لأنني أعرف أنك تعيسة ، تعيسة كمن أصيب بجرح ، وأنك خبيثة لأنك مجروحة . كان يجب عليّ أن أخاصمك ، لكنني لا أستطيع في الحقيقة - فأنت فوق هذا وذاك صغيرة جداً - أما بالنسبة لبوب .. لماذا ، ذلك لا يزعجني بأي حال . ما أهمية ذلك بالنسبة لي على أية حال ؟ لو أنك ، أو لو أن سواك علمني أن أشرب الشيكولاتة .. فماذا في ذلك ؟ **(تتناول ملعقة من الشيكولاتة ، ثم تركز حديثها)** يقال إن الشيكولاتة مفيدة جداً . لو أنني تعلمت منك كيف أرتدي ملابسي - يا للعظمة ! - لأمدني ذلك بسلطان أقوى على زوجي ، ولكنت أنت خسرت حيث كسبت أنا . نعم ، لو أنني حكمت على الموضوع بمختلف حيثياته لاعتقدت أنك قد خسرته بالفعل . طبيعي أنك كنت تقصدين أن أختلف معه - كما فعلت أنت وكما تعتذرين الآن - لكن ها أنت ترين أنني لن أفعل هذا قط . من الضرر أن يكون المرء ضيق الأفق ، كما تعرفين . ولم لا يكون من نصيبي سوى ما يفضله غيري ؟ لعلي أكون الآن ، فوق ما تقدم ، الأقوى من غيري . لم تصيبي مني شيئاً قط . فأنت التي كنت تعطين ، وهكذا فإن ما حدث لي هو نفسه ما حدث للسارق ! امتلكت ما افتقدته أنت حين أفقت . كيف أفسر بأية طريقة أخرى أن كل ما يقع في يديك كان يثبت عدم نفعه وجدواه ؟ لم تكوني قادرة قط على الاحتفاظ بحب رجل برغم زهور التوليب وبرغم عواطفك ، أما أنا فقد استطعت ، لم تستطيعي قط أن تتعلمي فن الحياة من الكتب - كما تعلمته أنا ، لم تحبلي بطفل اسمه (أسكيل) مع أنه كان اسم أبيك .

لماذا تظلين صامتة دائماً - وفي كل مكان - صامتة ، دائماً ؟ كنت أظن ذلك يرجع إلى أنك كنت جد قوية ، والحقيقة البسيطة هو أنه لم يكن عندك قط ما يقال ، لأنك كنت عاجزة عن التفكير .

(تنهض وتلتقط الشبشب)

سأذهب الآن إلى البيت - سآخذ معي زهور التوليب - زهورك . لم تستطيعي أن تتعلمي شيئاً من الآخرين ، لم تستطيعي أن تليني ، ولذا انكسرت كما تنكسر ساق النبات الجافة ، أما أنا ففعلت . أشكرك يا إميليا على جميع تعليماتك .. أشكرك على أنك علمتني كيف أحب زوجي . والآن سأذهب إلى البيت - إليه !

(تخرج)

===== ستار =====

قصة قصيرة

بقلم : فاروق مرعشي

الحشرة .. وسرّ الطائر الأسود

حدثني الرجل ، قال :

كنت أتخيّل أسرار الحياة والوجود في ذهني بصورة مشوشة ، وأعيد المرة تلو الأخرى رتق ما انقطع من وشائجها الغامضة المحيرة ، وكان مثل ذلك يحدث لي كثيراً إذا ما كنت على سفر ، وأثناء التحقيق والكشف عن الجرائم التي يختلف الناس عادة في تقييمها واكتناه ملابساتها وغموضها .

تجاوزنا الثالثة بعد منتصف الليل ، وراح معظم ركاب السيارة السائحة الصغيرة في نوم عميق ، وقد أنس السائق بي ، فأخذ يحاورني ، قال : «**أرى أنك لا تستطيع النوم مثل باقي الجماعة**» ، أفهمته أنني لا أنام عادة إذا كنت على سفر ، وآثرت الحديث معه ، علني أطرد من جفنيه سلطان النوم إذا هيمن .

مكثنا نتحدث كيفما اتفق ، ومع ذلك ، فإني كنت أتخيل أسرار الحياة والوجود وأعيد صياغتها في ذاكرتي بصورة مشوشة للغاية ، وقد وجدت متعة عظيمة بينما الليل يتسابق نحو النهار ، والعتمة الطاغية تضرب في كل اتجاه والهوام الليلية ترتطم بزجاج السيارة الأمامي وتنفلش وتتطاير أشلاءها كالومض في حالة انكسار .

هدير محرك السيارة كان يذكي الصمت ويغلفه بتلك النكهة الخاصة ونحن نهب الطريق الترابية التي تتلوى كأفعى ، والغبار المنشطر تحت العجلات يتطاير ، وتصطدم حبيباته ، بحبات عرقي المسفوح فوق جبهتي فأشعر باللذع الصارم ، ويزداد انكماشي فوق مقعد السيارة ، وتتخلخل أمامي حركات الهوام اللاهثة كأنها نفثات أشباح الليل ، كثيفة ومتموجة الأطراف .

فجأة ، وبدون سابق إنذار ، قطع السائق شريط الصمت المطبق وجابهني قائلاً : «سيدي .. **لماذا خلق الله الذباب**» .. ؟ في الوقت الذي كنت لا أزال فيه أتأمل في أسرار الحياة والوجود ، فأجبته : «حسناً .. دعنا نسمع المذياع» ، فضغط على المفتاح ، وانسابت موسيقى ناعمة ، فران صمت .

بعد مسافة ، تنبهت إلى آلات الضخ التي كانت أصواتها تتهادى إلى مسمعي من الحقول المجاورة بشكل رتيب ، كأنها أبواق الليل الغامض تصيح بالنهار أن يجيء ، ثم اجتزنا جسراً فوق **نهر الفرات** العظيم ، وأحسست باهتزاز ركائز الجسر تحت ثقل عجلات السيارة ، وبانت **الجزيرة الخضراء** العائمة وسط النهر إلى يساري كأنها أنثى غريقة استكان جسدها وانفلش شعرها واستقر نبضها وهمد فوق وسادة الهدير الجاف .

أيقظني من شرودي سؤال السائق : «**سيدي .. هل تذكر حريرا**» .

قلت : «حرير .. تقصد المجرم الذي يدمن تعاطي الحشيش المخدر» .. نبر السائق بتوجس ظاهر : «إنه صاحب كرامات .. يضرب الشيش .. ويتواجد في مكانين اثنين في وقت واحد .. ويرتدي البنطال ذي الرقعة الخضراء» .

قلت : «**لكنه يتعاطى المخدر .. فكيف يكون صاحب كرامات**» .. ؟

قال : لقد وجدوه بالامس ميتاً داخل قيم حارة دوار القمر» . قلت : «لقد ارتاح وأراحنا أخيراً .. هو ذا قد انتهى في المكان المناسب» ، وكأنه لم يلتقط شيئاً من عبارتي فتابع : «لقد طار نعشه في الفضاء أثناء تشييعه .. وهبط في بقعة معينة داخل مقبرة الصالحين .. فدفن حيث استقر النعش» .. ابتسمت في سري وسألته : «طار نعشه .. وهل شاهدت ذلك بأم عينك» .. ؟ نبر : «لا .. لكن بعض المشيّعين أكدوا ذلك» .

«حرير ، الإنسان المتشرد الأفاق ، صاحب الرقعة الخضراء فوق مؤخرة بنطاله ، الذي يتعاطى الحشيش المخدر وأشياء أخرى ، وينام داخل المقابر ، وفي قيم حارات دوار القمر والمعادي والصالحين ، أذكره جيداً ، إذ طالما مثل أمامي ، وقد أشرفت بنفسي على تشريح جثته في الطبابة الشرعية ، وحين رفض الناس استلام جثته ، تم نقلها إلى كلية الطب ، وقام الطلاب هناك بتقطيع أوصالها وتقاسموا أعضاءها بحثاً عن أسرار العلم الحديث وخدمة له ، حرير هذا أذكره جيداً ، وأذكر الرقعة الخضراء على مؤخرة بنطاله ، الذي تكوم بإهمال ظاهر في زاوية غرفة التشريح ، بعد أن هجره صاحبه ، وقلّده أوسمة كثيرة على شكل رقع تجريدية .. يصلح أن يعلق لوحة في متحف للفن الحديث المعاصر» .

قارب النهار أن ينبلج ، وكانت خيوط الضياء المشرشرة ، تنشر قلوعها البيض في زاوية السماء الشرقية ، كانت الاسطوانة التي تبث الموسيقى قد وصلت إلى نهايتها ، وراحت الإبرة (تشخط) ضمن دائرة مغلقة ، والمذيع قد غلب عليه النعاس فأغفى على ما يبدو ، حينئذ ، فتح الطبيب الشرعي المرافق عينيه وتساءل : «حسناً .. هل وصلنا» .. أجبته وأنا أتثاءب : «اطمئن .. أصبحنا على قاب قوسين أو أدنى من مكان الجريمة» ، وعبّر الطبيب عن اطمئنانه ، بأن راح في إغفاءة جديدة .

انبلج الصبح أخيراً ، فبدت الأرض الرمادية وكأنها تستفيق هي الأخرى من رقاد عميق وتنفض أحلامها وتنادي على البشر وتحثهم على بدء نشاط يوم

آخر ، والصبح في البراري المستكينة الهادئة له نكهة رائعة حقاً ، وكان صوت ضخ المياه من المحركات المنصوبة هنا وهناك يزيدني متعة وحبوراً ، وتضافرت المناظر أمامي لتشكل تلك الرؤيا البانورامية المديدة ، ففرحت إذ انتابني ذلك الإحساس الذي هو مزيج من الرهبة والفرح معاً ونشطت حزمة ريح شرسة ، فأخذت ترجّ وتحرك رؤوس أعواد القصب ونهايات أشجار الصفصاف ، وذؤابات المزروعات على حوافي السواقي ، وبدت أزهار عباد الشمس تمارس استدارتها وتلفتها باتجاه قرص الشمس الذي أخذ يصعد متسلقاً حائط السماء من الناحية الشرقية الناصعة .

قال السائق وهو يشير إلى قباب قرية استكانت قرب تل مرتفع : «هي ذي القرية يا سيدي» ، تطلعت إلى ساعة يدي ، فوجدت أن الوقت ما زال مبكراً بعض الشيء ، وتنحنح الطبيب الشرعي ، وفتح عينيه وتثاءب ، فلكزته لكزة خفيفة وأنا أهمس : «إنهض أيها الكسول .. لقد وصلنا .. ولتستعد مباضعك للعمل الفظيع» ، فرك الطبيب جفنيه المتقرحين وهو ينبر : **«أنا على أتم استعداد»** ثم لكز بدوره مساعده الممرض الذي تكوم في مقعد السيارة الخلفي ، وبدا كأنه جثة قتيل ما .

مررنا على مقابر القرية التي استقامت عند مداخلها ، ولمحنا رجالاً يحفرون ، قال الطبيب : **«ها هم أولاء يجهزون قبر القتيلة»** .. همست في سري **«التعيسة .. لن تنعم بعد اليوم بعذوبة هذه الصباحات الرائعة»** .

انحرفت بنا السيارة إلى اليمين ، متجهة نحو مضافة المختار الناصعة البياض ، وخرج الناس من المضافة على هدير السيارة ، وحين وقفت ، وترجلنا ، اقترب مني رئيس دورية الشرطة ومعه مفرزة من رجاله ، ودخلنا جميعاً إلى **المضافة** .

جلس إلى جانبي رئيس المفرزة ، وقدم تقريره الأولي عن الجريمة .. وبعد استراحة قصيرة ، نهضنا واتجهنا إلى أحد البيوت الغضارية التي كانت عبارة عن قبتين ملتصقتين ، دخلنا إحداهما ، وفي وسط الغرفة تماماً ، تمددت جثة امرأة شبه عارية ، مفصولة الرأس تماماً ، تعوم وسط بركة قانية من الدماء الغزيرة ، وكان الدم المسفوح قد شكل ساقية صغيرة واستقر منتهياً إلى بالوعة القبة ، كانت المرأة القتيل منفرجة الساقين ، ممزقة الثياب ، عارية الصدر ، جاحظة العينين ، وكانت الكبأوة الميتية قد غمرت الجسد على شكل لطخ زرقاء ثم . . . ثم كان المنظر الذي هزّنا جميعاً ، فبتنا حياله صامتين واجفين مسمرين كتماثيل من الجلمود . . لمحنا طفلاً رضيعاً ، راح يزحف وسط بركة الدماء وما إن وصل الجثة ، حتى تسلقها فوق الصدر العاري ، واضعاً فمه فوق إحدى الحلمتين وراح يرضع من هذا النبع الميت ، فأخذنا جميعاً - ولفترة طالت - نرضع الصمت والذهول والدهشة .

مكثنا زمناً ، نحقق في أسباب الجريمة ودوافعها وظروفها ، وبعد أن أنهى الطبيب الشرعي تشريح الجثة ، سلمت إلى ذويها حيث نقلت إلى الحفرة وأهيل التراب فوقها ، وكان قرص الشمس قد انتصف السماء تماماً وبدت الظهيرة مريعة قاسية ، وتصبب العرق من جباهنا ، وتضافر الحر اللاذع ، فساهم إلى حد كبير في إزعاجنا وغمر أحاسيسنا الملتاعة بفيض من المشاعر الغريبة الغامضة ، وكان تل القرية يبين عن بعد ، وكأنه حارس هذه التعاسة الفظيعة ، أما السماء ، فقد وجدتها من خلال النافذة الضيقة ، واسعة ممتدة كصفحة من السعادة الأزلية الرهيفة .

انتقلنا ثانية إلى **مضافة المختار** لاستكمال **مراحل التحقيق** ، وذهب **رجال الشرطة** لاستحضار **شهود الحادث** من البيوت التي تناثرت في الأفق المديد فمكثت وحدي مع المختار ، وكان هذا شيخاً مهيب الطلعة ، حلو التقاطيع هادىء القسمات ، يعتمر طاقية بيضاء ، وقد استكانت بين أصابعه المرتجفة سبحة سوداء راح يطقطق حباتها ، نهض ليجهز **الشاي** بعد استئذان ، وهو يمسح عدستي نظارته بمنديله ، وإذ كان يفعل ذلك ، بدت عيناه عاريتين بصورة ملفتة للنظر ، بل وبريئتين ساذجتين أيضاً .

بانت المضافة كتابوت أبيض ، ذي نوافذ متعددة فتحت على كل الجهات وامتدت في السقف أعمدة خشبية من شجر الحور المرقط ، شبيهة بأفاعي غير مؤذية ، سخرها أحد السحرة كي تحمل السقف .

ثم جاء المختار بآنية الشاي ، صب لي فنجاناً ، وصب لنفسه ، وجلس القرفصاء إلى جواري ، ورحنا نتجاذب أطراف الحديث ، بينما راحت **فراشة** قرنفلية اللون ، عريضة لينة الجوانب ، تطير برشاقة وكأنها تحمل البشرى أو تنبىء بنذير آت ، وأخذ زوجان من **(طيور السنونو)** ، يدخلان الغرفة ويخرجان منها بشكل مستمر نشط ، ويحملان في مناقيرهما الطعام لأفراخهما التي كانت تزقزق في عش ملتصق إلى الزاوية الجنوبية للحجرة الفسيحة ، وكان الطيران الأليف هذا يوحي ، بأن هذه الأسرة الصغيرة اللطيفة قد ألفت المكان تماماً واعتادت عليه ، كما اعتادت وجود أي زائر غريب فضولي .

راح طائرا السنونو يسبحان في فضاء المضافة ، يحومان تارة ، ينقضان فوق رأسينا ، ثم يخرجان من النافذة ، فيغيبان لحظات ، ثم يعاودان اللعبة بدون ملل أو إعياء ، رفع المختار رأسه ونبر : **«لعبة مسلية .. أليست كذلك؟»** ، أجبت بنعم وأنا أتابع حركة الطيرين النشيطين وأحسدهما على هذه الحرية حيث لا حروب ولا سأم ولا حزن ولا قتل أو إبادة ، ثم جاءنا صوت **المؤذن** الخافت البعيد من **مسجد القرية** ، نهض الرجل ، واستأذن **للصلاة** ، ثم أحضر **سجادة صغيرة** ، مددها في ركن المضافة ، وباشر صلاته في خشوع .

صار الطقس حاراً خانقاً ، وقد امتد السراب في الأفق مشكلاً نبوءات لأرض ضاربة إلى الصفرة ، واستوى حائط منخفض عن قرب ، مبني على طول الطريق الترابي الضيق ، ورمى ظلاله في الجانب الغربي على شكل شريط ممتد ، اتخذه بعض أطفال القرية ملاذاً لهم يقيهم من حر الهجير ، بينما الريح الموزعة بين الدور الغضارية والكثبان الرملية ، تترك رائحة خاصة هي مزيج من الغبار والطمي ورطوبة الشريط الممتد المعانق للنهر .

وفجأة ، تناهى إلى سمعي صوت فحيح أفعى ، أعقبته مباشرة زقزقات أفراخ طير السنونو ، ثم تحولت هذه الزقزقات إلى استغاثات فظيعة كئيبة ، رفعت رأسي ، ونظرت بتمعن ، بينما كانت حزمة من شعاع الشمس تنثال من كوة في الجدار المقابل ، لتضيء عش الطائر وكأنها مصدر غامض لنذير آت ، نظرت ، فشاهدت **أفعى ضخمة** قد برزت من الزاوية المقابلة ، متسلقة إحدى الأعمدة المرقطة وراحت تزحف باتجاه الفراخ ، وبان المشهد كأنما هو العمود المرقط نفسه يزحف ويتقدم باتئاد ، وفي اللحظة تلك ، اقتحمت أنثى الطائر فضاء المضافة ، وأخذت تطير فوق فراخها ثم تعود لتتحلق فوق رأس الأفعى بحركات هستيرية .

العدو المداهم يتابع تقدمه البطيء الحذر باتجاه الفريسة السهلة ، والفراخ المذعورة التي اشتمت رائحة الخطر المحدق بها ، تستغيث تلك الاستغاثة المروعة

التي لم أقف على مثيل لها في حياتي ، والأم التعسة تستميت بحركات غضة رقيقة .

ثوان ، ثم راحت أنثى الطائر تحط في حضن المختار ، ثم ترتفع لتحلق قرب العش ، ثم تعود لتهبط ثانية كالسهم في حضن الرجل ، وهكذا . . . وكأنها بذلك تسترحم الإنسان القوي الجبار ، وتستجير به ، وتهيب بقدرته أن يتدخل في الوقت المناسب ليفعل ما فشلت هي عن فعله ، ذهلت وأنا أتابع ما يحدث وكأنني أراقب شريطاً سينمائياً من النوع الذي اشتهر بـه العبقـري **(والـت ديزني)** .

المختار يتابع صلاته دون أن يبدي ردود فعل ، وكأنما شيئاً ما لا يحدث ، كأنما ألف مثل هذه المواقف واعتادها من قبل ، أما أنا ، فقد سمرني الجمود وأذهلتني الدهشة ، وباغتني الذي يحدث بسرعة ، فبت كتمثال متحجر ، وكان هذا المزيج المروع من الخوف والمباغتة قد أسقطني في حمى الاستسلام والركود ، وكان حالي أشبه ما يكون بحال أنثى الطائر اليائسة المسكينة ، ثوان بعدها ، وحضر ذكر الطائر ، وراح يشاطر أنثاه في طيرانها المذعور ، ثم تقدم بجرأة أكثر ، وراح يضرب رأس الأفعى بجناحيه ضربات خفيفة رقيقة شاعرية وكأنه بذلك يحاول عرقلة تقدمها وزحفها باتجاه العش المنكوب .

توالت الأحداث السريعة المذهلة كطرافة مضحكة ، بل كعبث سخيف ، ملهاة في لحظات مصيرية لا تخضع إلا لناموس قدر مجهول ، وسارت الأمور بلا جدوى ، نسيت المهمة التي جئت من أجلها ، نسيت الجثة المذبوحة ، ومستنقع الدم ، والطفل الذي رضع من نبع ميت ، نسيت رجال الشرطة والطبيب الشرعي وصلاة المختار ، ووميض قرص الشمس الشرس ، ورحت أتابع المشهد أمامي وقد شل تفكيري وتعطل إحساسي وشرد كل ما لدي من شعور ولا شعور وتاه في مكان مبهم غامض .

الطائران ، يئسا من تدخل الانسان ، فغادر الذكر المضافة وبقيت الأنثى وحدها تحارب بسيوف خشبية في غاية الرهافة ، بقيت تطير وتنقض وتصوت ، تكر وتفر ، في حركات إقدام وإحجام ، فما رق قلب الأفعى ، وما انتهت صلاة المختار ، وما استجابت الأشياء الخامدة داخل المضافة وخارجها ، هو صراع مع الزمن بين (سنونو وأفعى) ، ويا له من صراع .

لحظات مرت كالحلم ، بل ثواني معدودة ، وعاد الذكر ، وجدته يحمل في منقاره **حشرة سوداء صغيرة شبيهة بالصرصار** ، اقترب من رأس الأفعى ، حام وتوازن برشاقة لا تخلو من رهبة ويأس واضطراب ، ثم فتح منقاره في لحظة وجدها مناسبة ، فسقطت الحشرة مستقرة تماماً فوق رأس الثعبان وهو على قاب قوسين أو أدنى من عش الفراخ الجذعة .

ارتعشت الأفعى بعدها مباشرة ، كأنما مست بتيار صاعق هائل التوتر ، ثم هوت بجسدها الثقيل إلى أرض المضافة ، ملتفة ومتكومة على نفسها بدون أي حراك كعمود من الخشب المرقط .

حدث كل هذا في لحظات ، مجرد لحظات لا يستطيع خلالها أفطن الناس وأذكاهم من اتخاذ أي قرار سريع حاسم مناسب إزاء معضلة مداهمة مستعصية عن الحل .

زال الخطر عن الفراخ الفزعة ، وكأنما التقطت هذا الإحساس الجميل بغريزتها ، فكفت عن الاستغاثات الحادة المتلاحقة ، وراحت تزقزق بفرح ، بينما هبط طائرا السنونو فوق العش ، ففتحت صغار الطائر مناقيرها حامدة شاكرة ، أما الحشرة السوداء ، فقد تركت رأس الأفعى ، وراحت تزحف باتجاه الضوء المتسرب من باب المضافة ، نهضت ، واقتربت منها متأملاً ، وجدتها حشرة غريبة لم يسبق لي أن شاهدت مثلها قط بحياتي ، وبدرت مني حركة ـ خجلت وأسفت لكونها صدرت عني ـ رفعت قدمي وفي نيتي سحق هذه الحشرة ، لكن صوت المختار استوقفني معاتباً برقة لطيفة : **«دعها يا سيدي .. إنها غير مؤذية ، ومفيدة ، ألست ترى أنها نجحت بالذي أخفقنا فيه كلانا»** ، واستقرت قدمي بتؤدة في موضعها ، بينما تابعت الحشرة زحفها الوئيد باتجاه بؤرة الضوء ، وتابع المختار حديثه إليّ وهو يلملم سجادته : **«إنها حشرة نادرة يا سيدي ، وهي من ألد أعداء الأفاعي والعقارب ، وهي تفتك فيها بسرعة مذهلة ، ما إن تلامسها وتمسها مساً خفيفاً ، حتى ينتهي أمرها»** ، صبّ لي فنجاناً من الشاي ، واستأذن في قضاء حاجة وخرج من المضافة .

تراخيت فوق الكرسي ساكتاً هامداً ، وأنا بين مصدق ومكذب ، وخيل لي أن ما شاهدته الآن أمامي ورأيته رؤيا العين ، لا يعدو كونه حلماً بعيد المنال ، خارجاً عن المألوف ، وتشوشت الأشياء والأمور في ذاكرتي ، بما لا طاقة لي على احتماله ، وباتت نفسي لا تصدق نفسي ، قلت في سري : «أيعقل أن تكون هذه الرؤيا صحيحة على الشكل الذي تمت فيه ، أم أنا في حلم رهيف بعد عناء يوم شاق ، أتكون أحلام يقظة ، لكن جسد الأفعى هو ذا أمامي كخشبة ميتة فوق الأرض ، والفراخ تزقزق مستبشرة ، وطائرا السنونو يعاودان الطيران في فضاء المضافة ، يا لها من لحظات غامضة ، مستعصية عن الحل والتفسير» ، وتساءلت وأنا في بحران الشرود والحيرة ذلك السؤال الكبير : «ترى .. كيف أدرك ذكر الطائر سر هذه الحشرة وتعرف على غايتها وفعاليتها وتأثيرها الصاعق على عدوه ، بل كيف تمكن من العثور عليها في مثل هذه السرعة المذهلة ، أيمكن أن يكون هذا كله بمحض صدفة خارقة» . . . ؟؟

صببت الشاي في جوفي دفعة واحدة ، وأشعلت لفافة ، ورحت أعب الدخان ، ثم نهضت وغادرت المضافة ، وجدتني وحيداً تلفحني الظهيرة الحارة القاسية ، والوهج قد اشتد والهجير قد اضطرب ، مثل اضطراب ذاتي الملتاثة ، رحت أتحرك ، وعيناي تفلحان الحصباء المتناثرة حولي ، وقدماي تبعثران الحجارة ، تقلبها ، تركلها إلى مسافة .. لحقني المختار ، ففهم غايتي بسرعة ، فقال ضاحكاً : **«لا فائدة يا سيدي .. لا فائدة .. عبثاً تحاول ، فإنك لو أفنيت عمرك كله هنا في هذه الضواحي ، فإنك لن تعثر على الحشرة أو سواها ، غيرك حاول ففشل .. هي مشيئة الله .. هو السر العظيم ..»** .

رفعت رأسي باتجاه السماء الزرقاء ، أحاول استنطاقها ، فلمحت أسراب السنونو تسبح حرة في ملكوت ناصع ، تطير في فضاء مديد ، عابئة بسؤالي ، مشاركة الوجود بسره الكبير .

في طريق العودة ، وأثناء اجتيازنا الجسر المعلق المتأرجح فوق نهر الفرات ، حدقت في اللجة ، وكان التيار الجامح يتدفق فضفاضاً معربداً كثيف الحواشي ، فشدني النهر إليه ، وأصبح حالي ، كحال **الرجل الهندوسي** الذي يرنو بصوفية عجيبة إلى **نهر الغانج** ، حيث يتوقع الحصول على الطهارة الكاملة الأزلية .



مطالعات ... في الكتب

الملل والنحل

تأليف : الشهرستاني • تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل

• عرض وتقديم : معالي عبد الحميد حمودة

كتاب الملل والنحل

كتاب يهتم بدراسة الأديان والمذاهب والفرق المختلفة .. بل هو يعد - كما قيل فيه - دائرة معارف مختصرة للأديان والمذاهب والفرق ، بل وللآراء والحكم والمواعظ والفلسفة .

مؤلف الكتاب

هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد . وكنيته أبو الفتح واسم الشهرة **الشهرستاني** نسبة إلى بلدة شهرستان مسقط رأسه ومثوى رفاته .

ولد عام ٤٧٩ هـ ، وتوفي في شعبان سنة ٥٤٨ هجرية الموافق ١١٥٣ ميلادية .

والشهرستاني وصل إلى قمة العلم في مجاله وعمله وكتابته حتى أن **ابن السبكي** قال عنه إنه : « **الإمام الأفضل** » .

ولم يقتصر رأي العلماء العرب فيه ، بل إن العلماء الأجانب قدروا منزلة الشهرستاني جيداً ، فقال عنه العالم الإنجليزي « **الفريد جيوم** » : « الشهرستاني كان رجلاً ديناً إلى الأعماق وإخلاصه للعقيدة لا يمكن أن يشك فيه أي إنسان قرأ مؤلفاته التي تكفي بنفسها لدحض ادعاءات المنتقصين من شأنه وهو جدير بأن ينظر إليه باعتباره ذا أصالة فكرية » .

وقال « **كارادي** » الفرنسي : « **إن عقلية الشهرستاني لم تكن في جوهرها إلا عقلية فلسفية** » .

وقال الشيخ **مصطفى عبد الرازق : « إن الشهرستاني من أهل الفلسفة الإسلامية الذين يستشهد بآرائهم مثله مثل ابن سينا »** .

وقال الأستاذ الدكتور محمد بن فتح الله بدران رحمه الله : « لعله قد آن لنا أن نقرر إلى يقين واطمئنان أن الشهرستاني أقام بمفرده مدرسة فلسفية للملل والنحل أو تاريخ الأديان » .

ونحن نرى أن عمق تغلغل الإمام الشهرستاني في **الفلسفة الدينية** مع حفاظه على عقيدته الإسلامية العظيمة يعد اقتداراً فكرياً

وذهنياً لم يصل إليه أحد بعده ، إذ إن البحث في الفلسفة والتعمق فيها دائماً يكون - بالحكمة العقلية - مثل السير وسط حقل من الألغام على أساس أن الفلسفة تؤدي دائماً إلى الخروج عن قاعدة الدين ، فإن الإمام الشهرستاني استطاع أن يسير جنباً إلى جنب مع آخر عمق للفلسفة دون أن تتأثر عقيدته الإسلامية بشيء توصل إليه خلال تعمقه الفلسفي في كتابه هذا .

والملل - لغوياً - جمع ملة وهي الدين .. **والنحل - لغوياً** وبكسر النون - جمع نحلة وهي الدعوى .

ويتكون الكتاب من **ثلاثة أجزاء ..** كل جزء مبوب بتصنيف دقيق يمكن الرجوع إليه بشأن كل عنوان يود القارىء التوصل إليه .

الجزء الأول من الكتاب

يستهل المؤلف **الجزء الأول** من كتابه بخمس **مقدمات** لازمة لقراءة الكتاب ، ولأهمية تلك المقدمات الخمس ، فإننا نوردها ههنا :

- **المقدمة الأولى :** في بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة .
- **المقدمة الثانية :** في تعيين قانون يبني عليه تعديد الفرق الإسلامية وأن كبار الفرق الإسلامية أربع .
- **المقدمة الثالثة :** في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة .
- **المقدمة الرابعة :** في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية .
- **المقدمة الخامسة :** في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب .

تلك الخمس المقدمات الاستهلالية والتي بدأ إمامنا الشهرستاني كتابه الجليل بها ، وهي أمور يحسن قراءتها بتركيز شديد وتدقيق وتمحيص حتى تكون أساساً لاستيعاب كل ما كتبه المؤلف بعد ذلك .

ثم يوضح الكتاب مذاهب أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل ، ثم يفرد الكتاب في جزئه الأول عن المسلمين ، فيورد المؤلف **معنى الإسلام والإيمان والإحسان** وبعدها **أهل الأصول** وبعدها **المعتزلة والجبرية والصفائية** والمختلفة .

ويحدد الكتاب تصنيفاً دقيقاً لتلك الفرق ، فيبدأ بالمعتزلة وهم يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية ويحدد الفرق المتشعبة من المعتزلة ويبين عددها وهي اثني عشر فريقاً تبدأ **بالواصلية والهذيلية** وتنتهي إلى **الجبائية والبهشمية .**

والقسم الثاني « الجبرية » والجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، ويوضح الكتاب **عدد فرق الجبرية** ، وهم ثلاث « **الجهمية والنجارية والضرارية** » ، ثم القسم الثالث « الصفائية » ، تنقسم إلى ثلاث **الأشعرية والمشبهة والكرامية ،** ثم القسم الرابع **الخوارج والمرجئة والوعيدية** وبيان فرقهم وعددها ولمن تنسب .. ثم القسم الخاص بالمرجئة وبيان فرقها والقسم الخاص بالشيعة وآرائهم في الإمامة وعددهم .

وينتهي الجزء الأول من الكتاب بختام مصنفي الكتب من المحدثين من رجال الشيعة أمثال طائفة **الإسماعيلية** وأشهر ألقابهم .

الجزء الثاني

يبدأ الجزء الثاني من الكتاب في بيان أهل الفروع المختلفين من الأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية ويوضح أصول الاجتهاد وأركانه وشرائطه وأحكام المجتهدين .

وينطلق الكتاب بعدها ليوضح عقائد أهل الكتاب **اليهود والنصارى** ، ثم يفرد الكتاب حيزاً مستقلاً لليهود وآرائهم ومعتقداتهم وفرقهم ويبين لنا أن تلك الفرق أربع :

(١) العنانية . (٢) العيسوية . (٣) المقاربة ، اليوذعانية ، (٤) السامرة .

ويوضح الكتاب ما أجمعت عليه تلك الفرق .

ثم يوضح الكتاب عقائد النصارى ، فيبين أن أصحاب **عقيدة التثليث** كبار فرقهم ثلاث هم :

١ - **الملكانية** (أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها) .

٢ - **النسطورية** (أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في حكم الأناجيل برأيه) .

٣ - **اليعقوبية** (أصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا) .

وتشعبت من تلك الفرق **الاليانية والبيارسية والمقدانوسية والسبالية والبوطينوسية والبولية** وغيرها من الفرق .

ثم يوضح الكتاب ما أجمعت عليه فرق النصارى .

ويبدأ الباب الثالث من الجزء الثاني بالحديث « **عمن له شبهة من كتاب** » ، فيوضح **صحف إبراهيم عليه السلام** ، وبعدها **المجوس** ويفرد فصلاً شيقاً للحديث عن المجوس وبيان فرقهم ومعتقداتهم الأصلية .. وقد حدد الكتاب فرق المجوس بثلاث :

١ - الكيومرثية . ٢ - الزروانية . ٣ - الزردشنية .

ثم يوضح فرقة الثنوية التي تزعم أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس ، فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه وبعدها يذكر الكتاب فرقهم ومعتقداتهم وآرائهم .

ثم يبين الكتاب أهل الأهواء والنحل من الصابئة وأصحاب الروحانيات .. ثم يفرد الكتاب مكاناً لحكم **هرمس .**

ويصل الفصل الثالث إلى أصحاب الهياكل والأشخاص ويورد في هذا المجال مناظرات إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لأصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص وكسره مذاهبهما .

وفي الفصل الرابع من الجزء الثاني يبين لنا الكتاب مقالات الحرنانية ومزاعمهم والفلاسفة والحكماء السبعة وآرائهم وهم :

١ - رأي تاليس . ٢ - رأي أنكساغورس . ٣ - رأي

انكسيمانس . ٤ ـ رأي ابنادقليس . ٥ ـ رأي فيثاغورس . ٦ ـ رأي سقراط . ٧ ـ رأي أفلاطون .

وتحت عنوان الحكماء الأصول نقرأ آراء الحكماء أمثال « **فلوطرخيس** » و« **اكسنوفاس** » **وهرقل وسقراط وبطليموس** وغيرهم ، ثم آراء حكماء اليونان ويورد الكتاب ست عشرة مسألة بشأن هذا .

الجزء الثالث

يبدأ الجزء الثالث والأخير من كتاب الملل والنحل للإمام الشهرستاني بالحديث عن المتأخرين من فلاسفة الإسلام ، فينطلق الكتاب في جو فلسفي عميق ذو نفع عظيم ويبدأ بكلام **ابن سينا** في المنطق والتصديق والتصور والحد والقياس والمركبات والأجناس وغيرها من العلوم البالغة النفع لمن يبحث في الفلسفة ، فسوف يجد بالذات في مطلع الجزء الثالث أفضل الإجابات وأغزر المعلومات بشأن هذا الصدد .

يتجه المؤلف بعد هذا شارحاً ومفسراً وموضحاً « **الإلهيات** » وفي إطار شيق من الفلسفة وارتباطها بالدين أو بمعنى أعمق ربط الفلسفة الدينية بعضها ببعض ، فإن المؤلف ينهج في حديثه عن الإلهيات إلى الوصول إلى كل الإجابات رداً على كل التساؤلات الفلسفية والواقعية والمادية المتعلقة بالإلهيات .

ويتعرض المؤلف « **لعلم الطبيعيات** » وفي لواحق الأجسام الطبيعية بحثاً مستفيضاً عن ذلك العلم وارتباط النفس الإنسانية بهذا كله .

بعد تلك المقدمات في الفلسفة وارتباطها بالدين من واقع ما قاله فلاسفة الإسلام وعلوم المنطق والقياس وغيرها يورد الكتاب في تصنيف دقيق محدد لآراء **العرب في الجاهلية** وحكم **البيت العتيق** ، ثم يوضح الكتاب معطلة العرب وهم : منكرو الخالق والبعث والإعادة ، والصنف الثاني هم : منكرو البعث والإعادة ، ولقد ذكر **القرآن المجيد** هذه الأصناف وغيرها في آياته الكريمة الجليلة .

ويبين الكتاب **أصنام العرب** التي كانوا يعبدونها وينفقون الساعات الطوال لعبادتها ومناجاتها ، وهي :

وداً ، سواعاً ، يغوث ، يعوق ، نسراً ، وكذا « اللات » لثقيف بالطائف ، و« **العزى** » لقريش وجميع بني كنانة وقوم من بني سليم ، و« **مناة** » للأوس والخزرج وغسان ، و« **هبل** » أعظم الأصنام عندهم وكان على ظهر الكعبة ، و« **اساف ونائلة** » على الصفا والمروة وضعها **عمرو بن لحي** وكان يذبح عليها تجاه الكعبة .

وينتقل الكتاب في توضيح معتقدات العرب بشأن العبادة ، فمنهم من كان يميل إلى اليهودية ، ومنهم من كان يهوى النصرانية ، ومنهم من كان يصبو إلى الصابئة ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في النجوم ، ومنهم من كان يعبد الملائكة ، ومنهم من كان يعبد الجن .

ويتعرض الإمام الشهرستاني في الباب الرابع من الجزء الثالث والأخير من الكتاب إلى آراء الهند ، فيوضح فرقهم وآراءهم ويورد تصحيحاً عن **(البراهمة)** ، فيصحح المفهوم الخاطىء الذي سرى في عدد من العقول من أن البراهمة سموا بهذا لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام ، وهذا القول بالقطع والدليل خاطىء ، فإن البراهمة أصلاً منكرون للنبوات ، ومن ثم فلا علاقة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بالبراهمة اطلاقاً .

وبعدها يوضح الكتاب آراء بقية الفرق والنشأة التاريخية لمعتقداتهم وأصحاب تلك المعتقدات .

أما الفصل الثالث من الجزء الأخير ، فهو بيان « لعبدة الكواكب » ، منهم « **عبدة الشمس** » و« **عبدة القمر** » ، ثم عبدة الأصنام الهنود ، منهم **(المهالكية)** الذين كانوا يعبدون صنماً له أربع أيد كثير شعر الرأس سبطها وبإحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه ، وباليد الأخرى عصا وباليد الثالثة رأس إنسان واليد الرابعة دفعها في أذنيه حيتان .

ومنهم **(البركسهيكية)** وهم يلتمسون صنماً يعبدونه ويقدمون له الهدايا ، واختيارهم للإله الذي سيعبدونه به شيء من الطرافة إذ إنهم يختارون الصنم ويقومون بإعداده للعبادة . . ثم يختارون أحسن شجرة فينقبون في أرضها ويضعون الصنم بها ويتخذونه « مقراً للعبادة » .

ومنهم **(الدهكينية)** ومن سننهم أن يتخذوا صنماً على صورة امرأة وفوق رأس الصنم تاج وللصنم أيد كثيرة .

ومنهم (الجلهكية) أي عباد الماء يزعمون أن الماء ، ملك ومعه ملائكة وأن الماء أصل كل شيء .

ومنهم **(الأكنواطرية)** أي عباد النار ، فزعموا أن النار أعظم العناصر وأكبر الأشياء ، وفي عبادتهم للنار يحفرون أخدوداً مربعاً ويؤججون النار فيه ، ثم يحرقون في هذا الأخدود كل شيء من الطعام اللذيذ والشراب والأثواب الفاخرة والعطور والرياحين وكل ما يملكونه . . . هذا كله للنار اعتقاداً منهم أن هذا قرباناً وتبركاً للنار التي يقدسونها .

ثم يختتم الكتاب محتوياته بفصل عن **حكماء الهند** . . وأثرهم في توضيح آراء أهل الهند بشأن العبادة . . واحقاقاً للحق ، فإن الجزء الثالث به فوائد جيدة لمن يود أن يبحث في شأن الفلسفات الدينية ومعرفة آراء أهل الفرق في الهند ، إذ إن الهند أمة عظيمة وملة كبيرة بيد أن آراءهم مختلفة .

وبعد . . .

فإننا مهما قلنا ، أو كتبنا عن هذا الكتاب ، فإننا لن نفيه حقه فعلاً ، فهو كتاب ـ كما قلنا في مقدمتنا وعرضنا ـ إنه دائرة معارف مختصرة للفرق والأديان ، وهو كما قلنا ، تاريخ وتأريخ الملل والنحل والأديان .

ولعل أجمل الملاحظات التي بدت في كل فقرة من فقرات هذا الكتاب ، أن المؤلف برغم إسلامه ، لم يتعرض بالهجوم أو تفنيد المزاعم وشن الآراء المعارضة تجاه أي منتسب للأديان الأخرى ، فكانت هذه النقطة المضيئة للإمام الشهرستاني شيء عظيم يحق أن نشيد به إشادة تامة ، فالمؤلف قال بالحرف : « وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على وحدته من كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم » .

أوراق متناثرة

« شبابيك » القلل

★ « القلل » .. من الآنية الفخارية التي تستخدم لحفظ مياه الشرب وتبريدها .. وقد انتشرت ـ ولا تزال ـ في الأقطار الشرقية المختلفة .. وهي في معظم الأحيان غير مطلية بالدهانات ، فعلى مر العصور ، كان النادر منها ما يطلى بالدهان ، وهو ذلك النوع فقط الذي كان يستعمل « للزينة » فقط .

وفي العصور الوسطى ، اعتاد الخزافون ، وضع حاجز ذي فتحات صغيرة بين رقبة « القلة » وجسمها ، وقد اتفق على اطلاق اصطلاح معين لتسمية هذه « الفتحات » باسم « شبابيك » وكانت الغاية منها حفظ الماء داخل القلل من الحشرات والأتربة ، واهتم الخزافون بابداع زخارف غاية في الدقة والذوق والبراعة في التخيل . كما عني الخزافون ـ في العصور الوسطى ـ بزخرفة هذه الشبابيك ، ورغم أنها مختفية لا ترى ، بينما استمر جسم القلة الخارجي خالياً تماماً من الزخرفة .

وهذه بعض اللقطات تصور « شبابيك » بعض القلل ، حيث نرى الزخارف وإبداع الفنان العربي وصبره ودقته الشديدة .

أوائل

● قال : « مرحباً .. وأهلاً » ●

★ أول من قال « مرحباً .. وأهلاً » سيف بن ذي يزن ، وقد قالها لعبد المطلب بن هاشم ، ذلك عندما وفد إليه مع قريش لكي يهنئوه برجوع المملكة والملك إليه .. فعندما تعرف « سيف » على شخصية عبد المطلب ، ضمن الوافدين للتهنئة ، قال له : « مرحباً .. وأهلاً » .

★ ★ ★

● خضب « بالوسمة »[1] من قريش ●

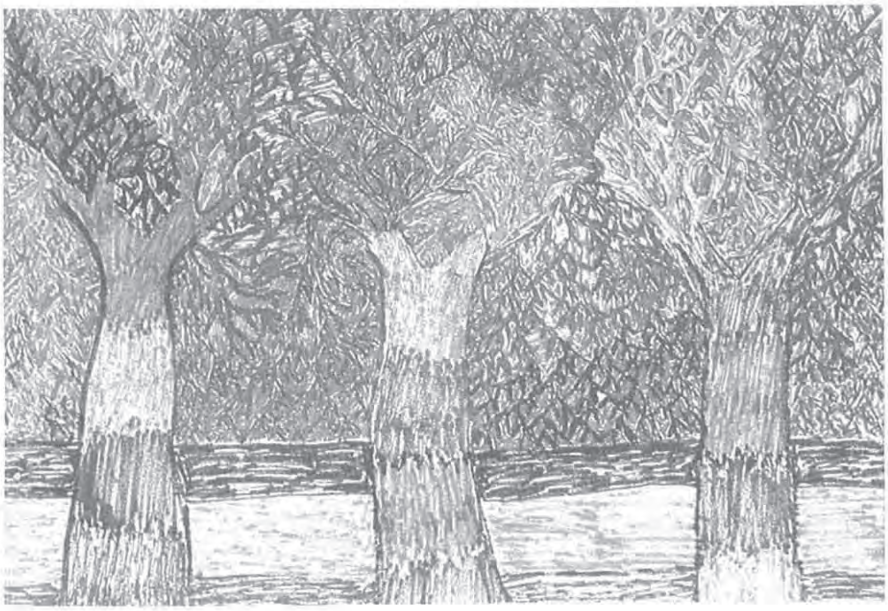
★ وفد عبد المطلب على بعض ملوك اليمن ، فرآه وقد دبّ الشيب في شعر رأسه ، فأمر له على الفور بخضاب أسود ، فاختضب به ، فلما استحسنه عبد المطلب ، قال :

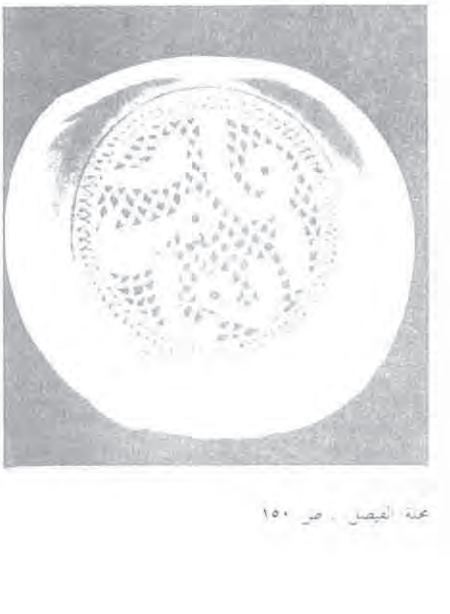
فلو دام لي هذا الشباب حمدته
وكان بديلاً عن حبيب قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة
ولا بد من موت يليه أو هرم

★ ★ ★

---

(١) الوسمة : شجر له أوراق ، يتخذ خضاباً .. ومن المحتمل أنه شجر « الحناء » أو « الكتم » .





★ إن الظروف المحيطة بالطفل .. والبيئة .. ودبيب الحياة اليومية ، كلها أشياء تحرك في الطفل مشاعر شتى .. ففي مواقف الحزن ، نجد الطفل قادراً على التعبير عنها بأبسط الألفاظ وأعمقها .. وكذلك بالألوان إن كان يتعامل بلغة الفن التشكيلي .. وبالكلمة الشاعرة إن كان متفتحاً في طريق العبقرية والإبداع كما طالعنا الكلمات الحزينة من الطفل منير غصن .

فعملية الإبداع الفني عند الطفل ، تمر في قنوات من البراءة الصافية ، بعيداً عن التأثيرات الدخيلة .. حيث نجد عالمه له طعمه الخاص وشكله المميز .. وحيث نحس في اختيار ألفاظه ايقاعاً مختلفاً عن الإيقاع اللفظي عند الكبار .. حتى في بقع الألوان ، فإنه يعبر بها في طلاقة وانطلاق دون التقيد بالموضوعية في التراكيب اللونية ، أو الانضباط في اختيار الألوان ، وإنما يحدث تلقائياً .. ويصل إلينا ـ نحن الكبار ـ بسيطاً .. صعباً في تقليده أو محاكاته .

فعندما يهبط شبح الحرب ويحاول أن ينشب أظافره في صدر الوطن ، نجد الصغار ، أقدر على التعبير من الكبار ..

رسومات



★ كان العرب القدامى ، ضالعين في صناعة الهندسة الميكانيكية ، وقد اخترعوا الكثير من الأشياء العلمية ، ففي القرن الثاني عشر الميلادي ، كان الكتاب الذي كتب عن هذه الصناعة يعتبر أعظم ما كتب في القرون الوسطى في الهندسة الميكانيكية ، أو صناعة « الحيل » كما كان يقول العرب القدامى ، وهو من تأليف بديع الزمان أبي العز الجزري . . واللوحة المنشورة أعلى هذه السطور عبارة عن رسم لساعة عربية قديمة ★

معماريات

الفراغ .. في العمارة الإسلامية القديمة

★ استطاع العرب دائماً ، على مر العصور ، إيجاد نظرية « التضاد العضوي والبيئي » بين الطبيعة بقسوتها ، وبين الأجواء الداخلية الرطبة ، وبين المناخ الحار ، الجاف . . والمناخ الرطب في الفناء الداخلي .

فالبيئة القاسية ، استطاعت أن تحاصر بقسوتها العرب القدامى ، لكنهم لم يستسلموا لتلك البيئة التي كانت تريد فرض سيطرتها وقسوتها عليهم ، وتحدوها في شكل منطقي وواقعي وتخيل وإبداع .

فقد كان الاستسلام لهذه البيئة ، معناه الإنهيار . . والخضوع تحت رحمتها . . ولكن من خلال المعاناة الصابرة . . والدقة والتدقيق الذكي المبني على العلم والخبرة ، تمكن العرب من مواجهة هذه البيئة القاسية والتحدي من أجل البقاء .

فقد كان الفنان المعماري العربي القديم يحس بمشكلة « **الفراغ** » . . وكيف قام على تطويعه واخضاعه للظروف البيئية وغيرها فمشكلة حل « الفراغ » عند العرب كانت تلقائية ، ولذلك فقد جاءت العمارة الإسلامية القديمة ، لتترجم هذه التلقائية في ذكاء متقن ، فقد شكل **الفراغ** عدة رغبات ، بعضها كان لحماية المباني من عوامل التعرية والمناخ . . وبعضها الآخر كان لأسباب تعدد الحروب وحل مشكلة « **التمويه** » والدفاع . . وأيضاً كان لأسباب اجتماعية وبيئية . .

وقد استطاع الفنان العربي المعماري أن يعالج الفراغات الداخلية في المنازل والقصور معالجة معمارية موظفة توظيفاً سليماً ، حيث إننا نلاحظ في المساجد تعدد الأعمدة . . ذلك التعدد الذي يعطي شعوراً « فراغياً » بالامتداد والانطلاق إلى اللانهائية . . وأيضاً ، فإن تعدد هذه الأعمدة يجعل الضوء يتسلل ضعيفاً باهتاً ، فيترك أثره في النفس ، مما يجعل الإنسان يشعر أنه بعيد عن نطاقه الحقيقي ، وبذلك يظل مستغرقاً مهيأ للتطلع في اطمئنان ورضا إلى ما وراء الحس في صلاته الخاشعة . .

ويذكرنا تكرار « **الأعمدة** » مثلاً في المساجد في وحدات زخرفية . . أو من خلال تكرار « **الوحدات** » في إيقاع واحد .

أخبارهم

كل شيء يعود الى أصله دائماً

★ يحكى عن أحد ملوك الفرس ، حيث كان له وزير في غاية القوة ، حاد الطباع ، حازم ، مجرب . . وكان الملك دائماً يأخذ بمشورته . . إلا أن هذا الملك مات فخلفه ولده . . وكان هذا الولد في غاية الإعجاب بنفسه . . مغروراً . . وكثيراً ما كان يستبد برأيه .

وفي ذات يوم أرسل من يستدعي وزيره لكي يسأله :

ـ يا وزيري .. أيهما أغلب على الرجل ، الأدب .. أم الطبيعة ؟!

رد الوزير :

ـ إن الطبيعة أغلب .. ذلك لأنها الأصل .. والأدب فرع .

عندئذ صرخ الملك في الموجودين بالإسراع في إعداد مائدة كبيرة مزودة بصنوف الطعام . . فلما تم ذلك دعا « **قطته** » ، فأتت وهي تحمل الشموع وقد وقفت حول المائدة . . ثم التفت إلى وزيره قائلاً :

ـ بالبرهان .. ها قد تأكد خطأك .

قال الوزير :

ـ أمهلني في الجواب إلى الليلة المقبلة .

وعندما خرج الوزير . . دعا أحد غلمانه قائلاً له :

ـ ابحث لي عن « فأر » واربطه جيداً بخيط ، واحضره عندي على وجه السرعة ..

فلما ذهب الوزير إلى مائدة الملك . . وشاهد « **القطة** » وهي تحمل الشموع ، فك الوزير الخيط عن الفأر ، فانطلق في اتجاه القطة التي أفزعها وأربكها وجود فأر . . فألقت الشموع من يدها مهرولة خلف الفأر . . وكادت النيران أن تلتهم القصر .

فقال الوزير :

ـ يا مولاي .. أرأيت .. ان الطبيعة تغلب على الأدب .. ورجوع كل شيء إلى أصله .

عندئذ ، اقتنع الملك قائلاً لوزيره : **صدقت يا وزيري .. فإن كل شيء يعود دائماً إلى أصله .**

السطور الأخيرة

●● إن الشاعر كالفيلسوف في معنى أساسي واحد ، فليس ما يهم عند أي منهما هو مستوى جودة تعبيره عن نفسه . . ، وإنما قدر ما عنده كي يعبّر عنه !

كولون ولسن « بريطانيا »

موسيقية

ا

أرابيسك :

صورة موسيقية ميلودية مزخرفة ، على غرار الزخارف العربية في فن العمارة ، وهي في موسيق الباليه حركة من حركات أوضاع رقص الباليه .

ب

بالاليكا :

اسم أعجمي لآلة وترية ، تستعمل في بلاد الشرق وفي الموسيق الشرقية ، والأصل فيها من فصيلة **الطنبور** أو **القيثارة** ، طويلة العنق ، ذات دساتين ، وصندوقها صغير مثلث الشكل ، ويشد عليها عادة ثلاثة أوتار ، ويؤخذ النغم منها بقسمة أوتارها بالأصابع ، بأن تقرع أوتارها بمضراب يشبه مضراب العود أو الطنبور .

ت

توكاتا :

اللمسات الخفيفة على أصابع البيانو أو ما شابهه من الآلات ، وهي قطعة موسيقية ذات طابع براق ، وهي من نسيج الكونترا بنط فضلاً عن أنها سريعة الحركة ، والأمثلة عليها عديدة ، وخاصة عند **الموسيقار الألماني باخ** ضمن مجموعة «**كتيب الأورغن**» .

ث

ثلاثي الطبقة :

في الموسيقى ، اللحن الواحد إذا سمع بالمطابقة في ثلاث طبقات مختلفة بالتمديد ، في آن واحد ، وكذلك النغم المخلوطة من ثلاثة ألحان مختلفة الطبقة ، **فهي ثلاثية التصويت** .

ج

جاز :

أسلوب من أساليب **الموسيقى الحديثة** ، يعتبر أكثر الالهامات الأميركية شهرة في فن الموسيقى ، يتميز بلحنه المرتفع ومداه الشديد وإيقاعاته المرخمة . ابتكر في أواخر القرن التاسع عشر ، ولكنه لم يتطور تطوراً كاملاً حتى حوالي عام ١٩١٠ م ، أما الكلمة نفسها فغير محققة الأصل ، وكانت فرقة الجاز الأصلية صغيرة ، تتألف أساساً من عازفي **الترومبة والكورنيت والترمبون والكلارينيت** ومختلف آلات الإيقاع ، وأحياناً **البيانو والساكسوفون** ، ولما كبر حجم الفرقة أصبح من اللازم عمل المزيد من الترتيبات الشكلية ، ولم تدرس موسيقى (الجاز) دراسة نقدية أو جادة حتى عام ١٩٣٠ م .

ح

حدة النغم :

في الصوت الموسيقي ، عكس الثقل ، والأصوات والأنغام الحادة في الموسيق هي التي تستقبلها الأذن ، وكأنها رفيعة نفاذة عالية التمديدات وأسباب الحدة في نغم الأوتار المهتزة في الآلات تحدث إما بتقصير أطوالها عند قسمتها بالانتقال عليها بالأصابع ، أو بشد الأوتار من ملاويها . فعندما تزيد قوة التوتر ، تزيد تبعاً لذلك نغمة مطلق الوتر ، وفي **آلات النفخ والمزامير** ، تحدث مدة النغم فيها إما بقوة النفخ ، أو بتقصير العمود الهوائي النازل على جدار الأنبوبة ، أو بتغيير مجرى الهواء من ثقوب المزامير .

خ

خانة الدور :

لفظ فارسي ، يستعمل في الموسيق العربية ، بمعنى الجزء التام المستقل من الدور ، والخانات هي المذاهب المختلفة المتكررة في اللحن الواحد ، يلي كل منها جزء ما يسمونه **التسليم** ، وهو الطابع المميز لجنس نغم اللحن ، والأمر كذلك في أجزاء الأقاويل اللحنية ، فإن القول يقسم أجزاء أو خانات تستند كل منها إلى جزء يسمى **مذهب الدور** وهو كالتسليم .

د

ديوان :

استعمل اللفظ في الموسيق اصطلاحاً ، للدلالة على ترتيب طبقات النغم الثماني المتجانسة ، التي يحيط بها طرفا البعد بالكل ، ابتداء من النغمة الأولى الأساسية إلى صياحها بالقوة ، والعرب يسمون هذا الترتيب «**جماعة الكل**» والبعد بين الطرفين يسمونه «**بعد الكل**» .

ذ

ذو الأربع نغم :

في الموسيقى تأليف أربع نغم متجانسة في متوالية ، وأصناف المتواليات التأليفية بالأربع نغم تسمى « **أجناس التأليف** » ، وتختلف الأجناس في ملاءمات نغمها تبعاً لتأليف الأعداد الدالة على مقاديرها الصوتية المتوالية ، فهي نسب مؤتلفة الحدود .

ر

رابسودية :

قطعة موسيقية للآلات ، من طبيعة توحي بأثر شعوري فياض ، بحيث تشيع الشجن في الوجدان ، أو في نفس السامع ، ومن أشهر الأمثلة على ذلك ما كتبه في الموسيقى الغربية ، أو بالأحرى للأوركسترا ، **رافيل** ، وكذلك **الموسيقار الفرنسي لالو** .

ز

زايد وإصبعين :

مصطلح في الموسيقى ، يطلقه أهل الصناعة في **تونس وبلاد المغرب** على هيئة اللحن الذي يسميه العرب المحدثون في **مصر والشام ، مقام حجاز** .

س

سلم موسيقي :

نظام تتسلسل فيه النغمات بشكل خاص ، وهناك أربع طرق في وضع السلالم الموسيقية ، **الطريقة الشرقية ، والطريقة الإغريقية ، والطريقة الكنسية ، والطريقة العصرية** ، وجميع السلالم الموسيقية على أي طريقة من هذه الطرق ، هي تسلسل لنغمات تجري في مسافة بين نغم معين وجوابه .

ش

شهرناز :

اسم فارسي ، معناه « **مدينة الدلع** » ويطلق اصطلاحاً في الموسيقى العربية على هيئة لحنية مركبة ، تبدأ في المنطقة الحادة بجنس الراست على الكردان ، ثم بجنس الراست على النواه ، على أن تجعل النغمة المسماة « حسيني » ظهيراً لجنس الراست على النواه ، ثم يختم بجنس البيات مؤسساً على الحسيني ، وهو الجنس القوي غير المتتالي .

ص

صوناتة :

الصوناتة هي النموذج الأساسي الذي تتصل به كل قطعة موسيقية طويلة ، وهي ذات حيوية عجيبة ، من حيث تسلطها على خيال المؤلفين الموسيقيين في ابتكار الموسيقى منذ أكثر من مئة وخمسين عاماً ، **فالسيمفونية** مثلاً ما هي إلا نموذج من الصوناتة كتبت للأوركسترا ، **ورباعية الآلات الوترية** ما هي إلا صوناتة كتبت لأربع آلات وترية ، **والكونشرتو** هو صوناتة لآلة مفردة بمصاحبة الأوركسترا ، ومعظم الافتتاحيات كتبت على نموذج الحركة الأولى للصوناتة . وأما تسمية الصوناتة فيقتصر على المؤلفات التي تكتب لآلة مفردة على مصاحبة آلة البيانو أو بدون مصاحبتها .

ض

لا يوجد

ط

طبل :

من آلات القرع المدوي ذات الوجهين ، وكان **العرب** يستعملونه في حروبهم ، وربما انتقلت هذه الآلة إلى **أوروبا** في أثناء **الحروب الصليبية** ، أو عن **طريق الأندلس** ، وهو أسطواني الشكل ، أجوف ، مشدود على وجهيه جلد رقيق ، يضرب عليه بعصوين من الخشب ينتهيان بكرتين ، ودائره مصنوع من الخشب الخفيف المتين ، وحافتاه من المعدن ، ومحاط بأربطة وضوابط متصلة بوجهي الطبل ، ويستعمل في الموسيقى الأوروبية لمصاحبة نغم المجموعات الآلية ، الأوركسترا ، وقد يستعمل أيضاً آلة إيقاع لنغم الآلات النحاسية ، وآلات النفخ في **الفرق العسكرية** ، وأكثر استعماله في الموسيقى العربية في مصاحبة **نغم المزامير** ، ويسمونه **بالطبل البلدي** .

ظ

ظهير الصوت :

اصطلاح في الموسيقى العربية لتعريف النغمة التي تصلح لأن تستند إليها نغمة أخرى في نهاية جماعة أو جنس بالأربعة نغم .

ع

عناصر الموسيقى الأربعة :

للموسيقى عناصر أربعة أساسية ، **الايقاع ، واللحن** (الميلودية) **والهارمونية ، والطابع الصوتي** ، وهذه العناصر الأربعة هي المواد التي يؤلف بها المؤلف موسيقاه كالمواد الأولية التي يستعملها الصانع في حرفته ، وهي بالنسبة إلى المستمع العادي ، ذات قيمة محدودة ، لأنه قلما يشعر باستماع أحدها على حدة ، فإن ما يحدثه ائتلافها من نسيج صوتي محبوك الأطراف ، هو غالباً ما يعنى به المستمع .

غ

غناء :

صناعة في أداء الألحان المقرونة بالأقاويل الدالة على المعاني وهيئة هذه الصناعة ، إما أن تكون هي هيئة صياغة اللحن ، فتسمى هيئة الصيغة ، أو تكون هي هيئة أداء اللحن ، فتسمى هيئة الأداء ، وبديهي أن **هيئة الصيغة** أقدم من **هيئة الأداء** ، وأن هذه غاية قصوى لتلك . وصناعة الغناء في اللغة العربية واللغات الشرقية أكثر تمسكاً في التلحين بدقائق الأصوات ، وأكثر ميلاً إلى الأجناس الموزونة بالايقاع .

ف

فالس :

نموذج من الرقص ذي الايقاع الثلاثي الوزن ، ولقد أدخله **الرومانسيون** في الموسيقى المطلقة بعد أن نشأ في الموسيقى الخفيفة ، والأمثلة عليه كثيرة في الموسيقى الخفيفة وأشهرها ما كتبه منها المؤلف النمساوي الشهير **شتراوس** ، ثم هناك المجموعة الكبيرة التي كتبها **شوبان** للبيانو .

ق

قيثارة :

آلة من آلات العزف الموسيقي ، وهي أكبر حجماً من **المندولينة** وأطول منها ، ولها أوتار ستة تغمز بالأصابع في العزف ، وهي ليست من آلات الأوركسترا ، ولكنها تصاحب الغناء المفرد ، ولها طابع شاعري ذو سحر عجيب ، ومن ذلك نرى ولع الشعراء بذكرها دائماً ، ولقد أدخلت حديثاً في العزف المنفرد للكونشرتو بمصاحبة الأوركسترا .

ك

كونشرتو :

قطعة موسيقية لاظهار مفاتن آلة موسيقية ، ومهارة عازفها مع مصاحبة الأوركسترا ، وقد يكون الكونشرتو كبيراً وقد يكون صغيراً ، أما الأخير فهو إما الكونشرتو ، وإما مجموعة الآلات المفردة في الكونشرتو الكبير .

ل

لا مقامية :

في الموسيقى مصطلح يقصد به **غياب المقامية** ، وهو مصطلح كثيراً ما يطلق على أية موسيقى في القرن العشرين لا تراعي أصول العلاقة الهارمونية التي وضعت في القرن ١٨ أو القرن ١٩ ، وقد وضع **نظرية اللامقامية شونبرج** ، وأطلق عليها هذا الاسم للتمييز بينها وبين الهارمونية ذات المقام الأساسي الواحد .

م

مقام اللحن :

أسلوب بالتلحين في الجماعة التي يتألف منها ، فتختلف مقامات الألحان باختلاف نوع الجماعة وباختلاف طبقات النغم ، وهو يشبه في الجمع الذي يتألف منه بيت الشعر ، فله شطران ، أحدهما جنس النغم الذي يبدأ به الدور ، والآخر جنس النغم الذي يختتم به الدور ، وهو الجنس الأساسي الذي يتميز به ، وهو بمثابة الأصل ، والثاني بمثابة الفرع .

ن

نشيـد :

صنف من الأقاويل المنظومة في صفات الشجاعة والوطنية ، وكذلك في أعمال المهن الخاصة ، وقد يوضع النشيد لغرض ما ، وقد يكون في الغزل ، والتلاحين التي تصنع فيها **النشائد** ، يكون إيقاعها أكثر الأمر من **الهزج** الخفيف ، ونغمها من جنس **الراست** ، أو **الجهاركا** . وقد يكون الغناء في النشيد منفرداً أو بمصاحبة الآلات ، وقد يكون جماعياً كذلك ، هذا ولكل دولة نشيدها القومي الخاص .

هـ

الهارمونية :

نشأت الهارمونية تدريجياً وليدة للفكر ، وهي لم تكن معروفة قبل القرن التاسع عشر الميلادي . إذ كانت الموسيقى كلها تتألف من الميلودية ، المفردة ، وتؤرخ نشأة الهارمونية في **القرن التاسع عشر الميلادي** ، ولقد كتبت في ثلاثة أوضاع ، أقدمها ما يعرف **بالأورجانم** ، ثم **الهارمونية الحرة** أو **الايسكانت** ، وأخيراً هارمونية الفوبور دون ، أو **شبيه الباص** ، وتعد الهارمونية من أكثر ما أنجبه العقل البشري طرافة ، لأنه إذا كانت العناصر الموسيقية الأخرى ، كالايقاع والميلودية ، قد وصلا إلى الإنسان عن طريق طبيعي ، فقد نشأت الهارمونية وليدة للفكر .

و

وزن :

والجمع أوزان ، والوزن في الموسيقى هو الموازنة والمناسبة بالوزن بين أزمنة الحركات والنغم ، حتى تسمع ايقاعاتها اللحنية في أدوار موزونة ، ومنه يشتق **ميزان الدور** وقولهم خرج عن الميزان ، يعني به ، إما خروج الايقاع عن ميزان الدور بالتأخر أو بالتقدم ، أو خروج حركات اللحن عن أصول النقرات في الدور ، **ولذلك يراد بالميزان والوزن في الايقاعات اللحنية مقياس زمن الدور ، ونبرات الايقاع فيه .**

ي

يكاه :

لفظة فارسية ، بمعنى **الأول في الترتيب** ، وفي الموسيقى العربية تسمى بها **النغمة الأولى الأساسية في المنطقة الوسطى** ، وهي النغمة المسماة أصطلاحاً « **راست** » وتسمع هذه النغمة في **العود** .

مناقشات و تعليقات

أشياء عن الخيل .. كرائمها من نجد

قال الشاعر :

أعــز مــكان في الــدنى سرج ســابح
وخــير جليس في الــزمان كتــابُ

عرف العرب سباق الخيل ، وكانوا يطلقون **خيل السباق عشرة عشرة** وهاك ترتيبها :

١ ـ المجلي .
٢ ـ المصلي .
٣ ـ التالي .
٤ ـ المومل .
٥ ـ المرتاح .
٦ ـ العاطف .
٧ ـ الحطي .
٨ ـ اللطيم ، لأن العرب كانت تلطحم وجه فارسه الواصل اخيراً .
٩ ـ السكيت أو المقروح .
١٠ ـ المفسكل .

ومرة كان العرب يطلقون **خيل السباق ثمانية ثمانية** ، وكان ترتيبها كما يلي :

١ ـ منجرداً .
٢ ـ المصلي .
٣ ـ المصفي .
٤ ـ التالي .
٥ ـ العاطف .
٦ ـ المذمر .
٧ ـ البارع .
٨ ـ اللطيم .

أسماء خيل النبي ﷺ :

- اللذاذ .
- السكيب .
- المرتجز .
- الملاوح .
- الضرس .
- الورد .

أسماء الخيل عند العرب

لاحق ، العبيد ، الصموت ، الهرم ، العيار ، جناح ، ذات السغال ، ذو الخمار ، الجرادة ، جلوى ، ذو العقال ، الحمالة ، الكميت ، رؤول ، الصبيب ، الحموس ، القيت .

وقال النبي ﷺ :

أفضل الخيل احمرها ، وأسرعها أشقرها ، وأظفرها أدهما .
إن الجواد الأشهب هو الأبيض الشعر .
وتسق الخيل ماء زلالا ، والعرب تسقيها حليب الإبل .
وتنزى الأنثى مرتين : دفعة بالنهار عند الصباح ، ودفعة عند المساء . أي قبل شروق الشمس وبعد غروبها .

وتعرف أصالة الخيل بالبيت والرسن ، وتسجل أسماؤها بحجج ووثائق رسمية .

لولا نجد لانقرض الخيول العربية

لما وقع **السيل العرم** ، فرت الخيل ، ونفرت ولحقت بالقفر ، مع الوحوش ، ثم ظهر منها خمسة من كرائمها في بلاد نجد ، فحفظت ، ورروعيت ، وولدت وتكاثر نسلها .

الملكة حنة الانكليزية والخيول العربية

اشترت **حنة ملكة إنكلترا** جواداً عربياً من **حلب** ، ومنه ومن الأفراس الإنكليزية ولدت عدة جياد ، اشتهر منها : المنصور ، وفيلنج ، والمحجل ، وفي الإنكليزية ذو القوائم البيضاء .

إعداد : توفيق وهبه

مصنف الرواية السورية ـ تعليق

في العدد (**٢٠**) من مجلة **الفيصل** الموقرة تاريخ (**صفر ١٣٩٩ هـ** . الموافق **يناير ١٩٧٩ م**) كتب الأستاذ (**وليد اخلاصي**) مقالة تحليلية نقدية اعتبرها (**هوامش على مصنف الرواية السورية**) بينما هي في حقيقتها آراء تقويمية ، استهدفت النتاج الروائي السوري المعاصر من خلال منظورها وحاول أن يكون محايداً إلى حد كبير .

ومجمل هذه الآراء تتلخص في أن « طفل الرواية السورية ما زال يحبو » ، وهو « بمجمل تكوينه ما زال يتمتع ببراءة هي أقرب إلى براءة الفن المستحدث منها إلى سذاجة الخلق العشوائي » ، ثم يتساءل « إلى أين وصل نقاء المعمار الروائي السوري ؟ » وأجاب عن هذا السؤال الهام بقوله : « **إن الرواية السائدة حتى الآن هي شكل من أشكال الرواية الأوروبية** » ، والروائي السوري « لم يستطع بشكل عام أن يتحرر من النسق المألوف في البناء الروائي » ، والسمة العامة للرواية السورية « ما زالت ملتصقة بسمات الرواية الأوروبية ، ومن الضروري أن يكون هناك روائيون حقيقيون تمتد جذورهم في الأرض التاريخية والبيئة المعاصرة » .

والأستاذ (وليد) معروف باهتماماته الروائية في مجالي النقد والدراسات ، والإبداع أيضاً ، ودوره في الحركة الأدبية المعاصرة في القطر السوري حيوي وهام ، وذو حضور قوي وفعال ، وذلك عائد لعطاءاته الكثيرة في المجالين اللذين ذكرناهما آنفاً ، وآراؤه النقدية هذه تتخذ صفة المشروعية بسبب خبرته العملية في هذا المفصل الهام من مفاصل الأدب السوري المعاصر ، ولكن الصورة النقدية التي حاول رسمها ، ما زالت باعتقادنا بحاجة إلى بعض الظلال والألوان حتى تنهض شاهداً متكاملاً على حيثيات الحركة الروائية الناشطة في القطر العربي السوري ، هذه الحركة التي تعيش عصرها الذهبي الآن .

وفي تقديرنا أن أي حكم موضوعي ، يتحرّى في حيثياته قدراً ضئيلاً من النزاهة والانصاف ، يعترف بأن الروائيين السوريين المعاصرين أمثال (**حنا مينه**) و (**هاني الراهب**) و (**عادل أبو شنب**) و (**فارس زرزور**) وعشرات غيرهم ، كانوا يمارسون كتابة الرواية منذ فترة طويلة جداً ، ولكن الحقيقة المجردة تقتضينا القول : إن نتاجهم الروائي المطبوع ، لم يكن مقروءً بشكل جماهيري واسع ، ولا يعود السبب في ذلك إلى عدم أهلية نتاجهم للقراءة والمتعة والفائدة ، وإنما لأن البريق الباهر الذي كان يشع من كبار الروائيين المصريين التقليديين كـ (**نجيب محفوظ**)

و (**توفيق الحكيم**) و (**يوسف السباعي**) و (**إحسان عبد القدوس**) وغيرهم، كان يعمي الأبصار بحدّته عن رؤية هؤلاء الروائيين.

وذلك يعود إلى جودة معظمه، وفاعليته الحقيقية في صفوف الجماهير العربية، مدعوماً في ذلك بجهاز إعلامي ضخم سُخِّر للدعاية والترويج له، ولكن هذا أدى إلى رد فعل سلبي لدى القراء، جعلهم يعزفون عن النتاج السوري المحلي مدّعين تفاهته وسطحيته وعدم صدقه، وذلك دون الرجوع إليه لدراسته وتحليله وتقويمه، لأنه في نظرهم لا يستحق حتى مجرد القراءة والاطلاع.

إن المسح الدقيق للنتاج الروائي في الأدب العربي الحديث والمعاصر، يأخذ في اعتباره الحضور المميز للرواية السورية منذ الأربعينات من هذا القرن على الساحة الأدبية، ولكن الانصراف التام إلى النتاج الروائي المصري، جعلها تعاني من الاهمال الشديد في القراءة، والتعسف المقيت في الأحكام النقدية الجائرة، والتعتيم الداجي في الذيوع والانتشار، ومن هنا نفهم سبب المأساة التي تعاني منها الرواية السورية بسبب انكشافها بدون مظلة نقدية قوية حتى وقت قريب للغاية، وذلك أعطى الفرصة السانحة للذين ينطلقون في أحكامهم من عواطف سياسية واجتماعية بحتة للتشهير بها والحطّ من قيمتها ورفضها متأثرين في ذلك بنزوات مزاجية متبدلة لا تمت إلى النقد المنهجي المعتمد على الحجة والمنطق والبرهان بأية صلة على الاطلاق، وهم ماضون في أحكامهم تلك حتى الآن.

إننا لا نبرئ الرواية السورية من بعض التقصير في التقنية الروائية في مرحلتها الأولى، وهذا شيء متوقع من كل تجربة جديدة إلى حد ما، وكل تجربة ناجحة تسبقها حتماً تجارب فاشلة وهذه البراءة ليست صكاً يبيح لنا التعاطف معها وجدانياً دون أن يكون لهذا التعاطف رصيد فني يعتمد عليه ويدعمه. إن تعاطفنا مع الرواية السورية الحالية منطلق من قناعة أكيدة بجدوى الانجازات التي حققها روائيونا المعاصرون في مجالي الشكل والمضمون، وهذا الحكم ينسحب على معظم النتاج الروائي منذ **أوائل الستينات** وحتى الآن، وذلك من حيث الكم الأفقي والنوع العمودي، ونخص بالذكر **فترة السبعينات** التي شهدت ذروة الاندفاعية الروائية في القطر السوري، والتي تتميز بالتألق الفني والمسحة الواقعية النقدية، والأخذ بآخر المعطيات للفن الروائي الغربي كتيار الوعي (**المنولوج الداخلي**) وأسلوب الفلاش باك (**الارتداد إلى الماضي**) وأسلوب الكولاس (**الملصقات**)، وتداخل الأزمنة، وقد استطاع الروائي السوري (هاني الراهب) تجسيد كل هذه المعطيات الجديدة في روايته الرائعة (**ألف ليلة وليلتان**) والتي يمكن اعتبارها أهم إنجاز روائي ظهر في السبعينات على مستوى الوطن العربي كله، حيث حطم بإيجابية واعية كافة الأطر التقنية المعروفة في الرواية العربية التقليدية.

إن الرواية السورية المعاصرة، تعيش اليوم عصرها الذهبي الذي يشع الروعة والصفاء والجمال، ويمور العمق والشمولية والواقعية، وإذا كان روائيونا قد تأثروا بالرواية العربية التقليدية بشكل ملحوظ في مرحلة الحضانة والنشوء والبدايات المتعثرة الأولى، فإنهم لم يقفوا موقف الاستسلام الكامل من الأدوات الروائية الموروثة عن الأجيال السابقة، بل عمدوا إلى تطويرها وإغنائها، واستحداث أدوات جديدة مبتكرة، تتناسب مع طبيعة العصر، ومعطياته الجديدة، حتى أن بعضهم تجاوز هذه الأدوات بشكل كامل.

إن أي نظرة نقدية على الواقع الذي تعيشه الرواية السورية المعاصرة، يعطينا انطباعاً أولياً عن المدى البعيد الذي قطعته هذه الرواية في التصاقها الصميمي مع الواقع الاجتماعي الذي أنتجها وأعطاها صفة الالتزام به والارتباط بأحواله، والتأثر الشديد بالمتغيرات الحادة التي تطرأ عليه، وهي في الوقت نفسه لا تستسلم لهذا الواقع الاجتماعي المعيشي فعلاً، وإنما ترفض بجرأة ووضوح بعض جوانبه الفاسدة، كما أنها تحرّض بإلحاح على تجاوز الكثير من سلبياته دون اللجوء إلى أساليب الوعظ والارشاد التي تتخذ على الغالب الأسلوب الهادئ المسالم، بل تعتمد في كثير من الأحيان على الرفض الواعي المعتمد على البديل الموضوعي وبصراحة تامة لا تعرف التلميح أو التمترس وراء الشعارات، ويمكننا أن نعد على سبيل المثال لا الحصر الكثير من الروايات التي تحت هذا المنحى الهادف كـ (**وردة الصباح**) لـ (**عادل أبو شنب**) و (دمشق الجميلة) لـ (**أحمد يوسف داود**) و (الياقوتي) لـ (**عبد النبي حجازي**) ومعظم روايات (حنا مينه) [الشمس في يوم غائم، بقايا صور، المستنقع] و (بستان الكرز) لـ (**قمر كيلاني**)، و (أزاهير تشرين المدماة) للدكتور (**عبد السلام العجيلي**).

إن أبطال هذه الروايات يختلفون كثيراً في ملامحهم عن البطل التقليدي الذي تعودنا أن نراه في الروايات العربية الأخرى، فقد عمد هؤلاء الروائيون إلى تحطيم هذا البطل الأسطوري الذي يعيش في قمة جبل الأولمب بعيداً عن الانغماس في حياة الناس العاديين، وأنزلوه عن حصانه الأبيض الجميل، وجردوه من الهالات التي أحاط نفسه بها مدة طويلة، وأنهوا وصايته المفتعلة إلى الأبد، والتفتوا إلى الواقع الملموس، وانتزعوا من جنبه ضلعاً أصيلاً، ثم نفخوا فيه الحياة بحقيقتها وظلالها وألوانها وسوادها وبياضها وحرّها وبردها، فاستوى على يدهم الحاذقة بطلاً حقيقياً، يأكل ويشرب كالناس، وينجح ويخفق مثلهم، ويفرح ويحزن كالجميع، لذلك فإن القول بأن مضمون الرواية السورية تقليدي في طروحاته، وأنه ما زال ملتصقاً من حيث الشكل بالنسق المألوف في البناء الروائي، وأنه نمط مكرر من أنماط الرواية الأوروبية، فيه بعض الظلم لهؤلاء الروائيين الذين حاولوا بإخلاص إكساب الفن الروائي السوري صفة النموذج الحي المتفرّد لا النمط العادي المكرر.

إن مطالب الأستاذ (وليد) بأن يكون هناك روائيون حقيقيون تمتد جذورهم في الأرض التاريخية والبيئة المعاصرة ويتفاعلون مع الثقافات الكونية، ويتطلعون باحترام إلى الموروث الروائي والقصصي، ويتأثرون بواقع الثقافة الشعبية، هي مطالب مشروعة ولها الكثير من المسوغات، ولكن ألا يرى معنا الأستاذ (وليد) أن هذا الأمر يجب أن يواكبه خلق جديد للقارئ العربي نفسه، هذا القارئ الذي ظل منذ عصر النهضة العربية (منتصف القرن التاسع عشر) وحتى أوائل الستينات من هذا القرن يعتمد في غذائه الثقافي على وجبات خفيفة سهلة تقدمها له بعض مطابخ الرواية العربية التقليدية التي ازدهرت في أوائل القرن العشرين، وتألق روائيوها بشكل باهر للنظر لفترة طويلة، ولكنهم لم يتركوا بؤرة ضوئية واحدة تشع باستمرار في الأذهان لتبدد بنورها غياهب الجهل والتأخر.

إن القارئ العربي هو مشكلة المشاكل، فهو إما أنه غير موجود أصلاً، أو أنه وردة متفرّدة ضمن حقل مترامي الأطراف من الأشواك، وتعاني من العطش والاختناق، ومعظم القراء العرب تعودوا الكتابات البسيطة، والغنائيات المترفة، والتهويمات الخيالية، لذلك فإنهم يقفون إزاء الأعمال الروائية الجادة (هذا إذا حاولوا أصلاً الاقتراب منها)، موقف الوجوم والحذر وعدم الفهم، دون محاولة جادة للتعامل الشخصي معها، والغوص الإيجابي في أعماقها والتنقيب الفعلي عن مكنوناتها.

إننا نوافق الأستاذ (وليد) على قوله إن الإنتاج الروائي الواسع يؤدي أحياناً إلى إهمال فادح في الصياغة النهائية المطلوبة في العمل الفني وهذا ينطبق على جزء قليل من هذا النتاج، حيث نجد فيه تجاوزاً لأمور فنية ضرورية في البناء الروائي، ولكننا نتحفظ كثيراً في قبول هذا القول إذا كان يعتبره قاعدة بينما هو في الواقع شواذ لا يؤبه له كثيراً، فالنواحي الإيجابية المضيئة في هذا النتاج أكبر بكثير من النواحي السلبية، ذلك إذا قورن مع النتاج الروائي العربي المعاصر.

كما أننا نتفق تماماً معه في أن طفولة الرواية السورية مؤهلة الآن أكثر من أي وقت مضى لأن تتحرر من عوائق تحد من نموها، وهذا رهن بثقافة متكاملة، بينها الكتّاب بصدق فني، ويتقبلها القراء بحس سليم، وآنذاك يمكن القول بأن الرواية السورية تلعب دوراً قيادياً في نماء الثقافة الوطنية.

نزيه شاهين ضاحي
حمص - سورية

مع الأصدقاء

التاريخ الهجري .. والتاريخ الميلادي

يسعدني أن أكتب لكم بملاحظاتي التالية آملاً أن تحتل مكاناً لها في إحدى صفحات المجلة العطرة.

في الصفحة ١٧ من العدد (٢٥) الصادر في رجب ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م وضمن أخبار (الحركة الثقافية في العالم) نشرت المجلة خبراً من (**الهند**) عن وفاة **السيد محبوب الرضوي** وقد ورد فيه إن المرحوم (أعد تقويماً حاول فيه تخريج التاريخ الميلادي الموافق للتاريخ الهجري منذ السنة الهجرية الأولى حتى القرن الرابع عشر، وأن التقويم سوف تقوم الجامعة الإسلامية بالهند بطباعته بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري ..).

وملاحظتي التي أود أن أذكرها هنا هي: إنه سبق **للمستشرق الأرمني السوفياتي يوسف أبكاروفيج أوربيلي** أن قام (بترتيب) جداول لتحويل السنوات الهجرية إلى السنوات الميلادية (وبالعكس) وذلك في مارس (آذار) ١٩٢٠ م، وقد قام بترجمة تلك الجداول **الدكتور حسين قاسم العزيز** (الأستاذ في قسم التاريخ كلية الآداب جامعة بغداد) ونشرتها مجلة «المورد» في عدديها المرقمين ٣ و ٤ من المجلد الرابع سنة ١٩٧٤ م على الصفحات (ع ٣/٥١-٩٨) و (ع ٤/٩٣-١٤٢).

ومجلة المورد - أحسبها - غنية عن التعريف، فهي مجلة تراثية فصلية تصدرها وزارة الإعلام ثم وزارة الثقافة والفنون في الجمهورية العراقية - دار الجاحظ - وهي تعنى بالأبحاث والدراسات والنصوص المحققة والمترجمة وفهارس المخطوطات والببليوغرافيات (حجمها ٢٩ × ٢٢ سم) وعدد صفحاتها لا تقل عن (٣٥٠ صفحة).

كما أن مجلة «**طبيبك**» - لمؤسسها الدكتور **صبري القباني** - سبق لها وأن قامت بنشر (تقويم لتحويل التاريخ الهجري إلى التاريخ الميلادي) بمناسبة دخول مجلة طبيبك عامها الثالث عشر (أيلول ١٩٦٨ م - العدد ١٤٥) وهو يبدأ من العام الهجري الأول لينتهي في العام الهجري ١٣٨٨ هـ، ويقع التقويم في عشرين صفحة من صفحات مجلة طبيبك (من ص ١٣٠ - إلى ص ١٥٠) ولم تشر مجلة طبيبك إلى واضع هذا التقويم رغم أنه يدل على أن واضعه بذل جهداً في إعداده مع كونه أقل تفاصيلاً من جدول المستشرق الأرمني أوربيلي المنوه عنه في صدر رسالتي هذه.

على كل حال، إن وجود تقاويم متعددة لا يقلل من قيمة العمل الذي قام به المرحوم محبوب الرضوي .. ولكنها فرصة ملائمة ليطلع أكبر عدد من القراء على مثل تلك الجهود المتعددة المشارب والتي تصب في مصب واحد.

فرحمة الله على السيد الرضوي الذي كان سبباً لإتاحة الفرصة للكتابة إلى **مجلة الفيصل**. وشكراً لإسرة تحرير المجلة التي تفتح لنا آفاقاً رحبة في عالم المعرفة شرقيها وغربيها .. ونتمنى لكم دوام التوفيق ...

غدير إسماعيل إبراهيم
الهندية/مكتبة الهلال
العراق

المجلة .. والسياسة

أقترح على المجلة أن تفتح باباً لا يتعدى الصفحتين بعنوان **من عواصم العالم** تحدثنا فيه عما يجري حولنا من **أحداث سياسية** وعلمية وأدبية وثقافية واجتماعية. كما أطلب من المجلة أن تحدثنا عن القضية الفلسطينية وأن تخبرنا عما وقع من أحداث في وطننا العربي والإسلامي.

أما فيما يختص **بالمسابقة** فإنني أقترح أن تكون النتيجة في الشهر الذي يلي صدور العدد أو الشهر الذي بعده حتى يعرف القارىء نتيجة المسابقة بعد وقت يسير.

محمد بن عبد الله - نابل - تونس

●● **المجلة**: لقد سبق أن أوضحنا رأينا في الرد على بعض الأصدقاء عما يتعلق بالسياسة، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الصحف والمجلات التي تعنى بالقضايا التي ذكرت كثيرة في عالمنا العربي، وقد أخذت على عاتقها متابعة تلك الأحداث يومياً بالخبر والتعليق أو أسبوعياً بالتحليل. أما بالنسبة للمسابقة فإن المجلة تهدف إلى إتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من القراء من خلال هذه المدة التي تمنحها وتستقبل فيها رسائل المتسابقين وبالتالي الاهتمام بها وقراءتها جميعاً وهذا ما يتطلب منا الوقت والجهد معاً.

أما النواحي العلمية، والأدبية، والثقافية هي كل هذه الاهتمامات، وأول ملزمة في المجلة محاولة لتغطية الأحداث الثقافية، والعلمية، هذا إلى جانب الدراسات المطولة.

الألوان .. والخلفيات

إن طبع بعض الرسوم والنبذ وبعض المقالات على **الورق الملون أو الأسود** يضيع على القارىء الكثير من المواضيع، ولو أن هذه الرسوم طبعت على **الورق الأبيض** لبقي لها رونقاً أجمل ومنظراً أبهى وأبهر، ولنضرب لكم مثلاً بالعدد (٢٦) من الفيصل الغراء، فمناظر **حماة** جميعها جميلة كونها على ورق أبيض، وصفحة ٩١ الأحرف غير ظاهرة والثانية والثالثة كذلك، والرابعة والخامسة أيضاً، والصفحتان ١٠٠ و١٠١ على هذا الشكل.

وهذه الملاحظة تشمل جميع الأعداد السابقة. هذه مجرد وجهة نظر ربما تقولون إنها عائدة لضعف النظر، لا ننكر أننا تجاوزنا التسعين ولكننا لم نزل نقرأ ونكتب في اليوم ٨ ساعات على الأقل مع الضرب على الآلة الكاتبة والرأي لكم مع قبول فائق الاحترام.

محمد نجاح طايع - الإسكندرية

●● **المجلة**: نشكر لك ملاحظتك التي يشاركك فيها كثير من القراء، وقد أبلغنا قسم الإخراج الفني في المجلة لتلافي ذلك .. وما حدث كان مجرد تجارب لإمكانات المطابع .. نأمل أن يقل حدوثه مع المستقبل .. تحياتنا.

آراء بالجملة

الأبواب التي أقترح إضافتها إلى المجلة هي:

١ - ركن التعارف: لتبادل الآراء والمعلومات بين قراء المجلة.

٢- **مع الجامعات العربية**: يتضمن نبذة مفصلة عن كل جامعة عربية تشمل: سنة افتتاحها، عدد كلياتها، عدد طلابها، عدد الذين تخرجوا من كل كلية فيها، أسماء وصور رؤسائها، ما يتبعها من معاهد ودراسات عليا.

٣ - **موضوع الشهر**: يتناول أهم حدث سياسي عربي أو عالمي على غرار ما كان المرحوم **أحمد زكي** يكتبه في مجلة **العربي**.

٤ - **دولة من دول العالم**: رؤساؤها، أهم مدنها، موقفها من قضيتنا العربية، اقتصادها ومواردها.

٥ - **مع منظمات الأمم المتحدة والجامعة العربية**: يوضح في كل عدد الدور الذي تقوم به كل واحدة منها.

٦ - **جائزة نوبل**: أسماء وصور الذين حصلوا عليها منذ تأسيسها.

٧ - **من أحاديث الرسول**: في كل عدد مجموعة من أحاديثه الشريفة عليه الصلاة والسلام في موضوع معين كالعلم والجهاد والزكاة.

٨ - **قالوا في**: ما قاله العلماء والمفكرون والفلاسفة والعظماء في موضوع له أهمية كالأمل والحياة والموت والمرأة والشجاعة.

بالإضافة إلى تعريفات للمصطلحات السينمائية والألعاب المتنوعة.

منذر قباني - حلب سورية

●● **المجلة**: لقد كتبنا في كثير من أعدادنا السابقة في ردنا على كثير من أصدقاء المجلة حول ركن التعارف وبإمكانك الرجوع إلى تلك الأعداد. أما عن السياسة فإن مجلتنا قد وضعت في حسابها عدم التعرض لها من قريب أو من بعيد ومهمتها علمية ثقافية. بعض الأبواب التي اقترحتها في رسالتك يوجد بعضها وبعضها ليس ثابتاً، وذلك حسب وجود المادة.

ونحن في المجلة لا نألو جهداً في الحرص على التجدد والتجديد ضمن المنهاج الذي تسير عليه المجلة، ولكل مجلة منهجها ومسارها .. مع تحياتنا لك.

ردود قصيرة

● **الأخ محمد التجيو ـ الجديدة ـ المغرب**

شكراً لمشاعرك .. ونأسف لعدم تمكننا من تلبية رغبتك لأننا لا نعرف عنوان المجلة ، وفي إمكانك الكتابة لإحدى الهيئات الثقافية المختصة في مصر .

● **الأخ محمد فكري عبد الجليل علي ـ بورسعيد ـ مصر**

طالع الإجابة على سؤالك عن رابع المستحيلات في باب «سؤال وجواب» ، أما فيما يتعلق بعدد الأجوبة التي تتلقاها المجلة على مسابقتها فهي تتراوح بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ ، أما أطرف إجابة ، وأغرب إجابة فإننا نحيل سؤالك للجنة المسابقة للرد عليها .. ولك تحياتنا .

● **الأخ إبراهيم توفيق الحركة ـ برج البراجنة ـ لبنان**

عميق مشاعرنا وشكرنا لتهنئتكم بمناسبة دخول المجلة عامها الثالث ، راجين الله التوفيق والسداد .. وما ذلك على الله بعزيز .

● **الأخ محمد صالح حيادي السامرائي ـ بغداد ـ العراق**

نشكر لك مشاعرك .. محاولتك الشعرية تدل على موهبتك التي تبشر بمستقبل طيب إذا تعهدتها بالقراءة والاطلاع ، ومعرفة النحو .. فالشعر من أصعب الفنون الأدبية .

● **الأخ يوسف عبد الوهاب العوض ـ الأبيض ـ السودان**

نشكر لك مشاعرك نحو الشاعر الأستاذ محمد المجذوب الذي يعمل أستاذاً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

● **الأخ أيوب الحاج آدم ـ الخرطوم ـ السودان**

شكراً لك على ما تضمنته رسالتك الكريمة .. داعين الله أن نحقق ما نصبو إليه لخدمة القارىء العربي من خلال ما نقدمه من زاد ثقافي .

● **الأخ نور الدين ناجم ـ قرية الجماعة ـ الدار البيضاء ـ المغرب**

بإمكانك ارسال طلبك للحصول على الكتب من المديرية العامة للصحافة بوزارة الإعلام ـ الرياض .. أما رغبتك في مراسلة أحد الأصدقاء فلديك المجلات والصحف التي تعنى بباب التعارف لاختيار من تراه يتناسب واهتماماتك .. ولك التحية .

● **الأخ السيد إبراهيم العجمي ـ الإسكندرية ـ مصر**

نشكر لك مشاعرك نحو المجلة .. أما شروط الاشتراك فتستطيع الاطلاع عليها على ص (١٦٠) من كل عدد ، وارسال القيمة بشيك أو حوالة باسم مجلة الفيصل ، كما تستطيع الاشتراك عن طريق مؤسسة الأهرام القاهرية التي تتولى توزيع المجلة في مصر .. ولك عميق تحياتنا .

● **الأخ سمير عبد الله القاسمي ـ روى ـ سلطنة عمان**

نشكرك على اهتمامك بالمجلة ، أما باب سؤال وجواب فظهوره مرهون بورود أسئلة القراء ولو رجعت إلى المجلة لوجدت هذا الباب في كثير من أعداد المجلة .

● **الأخ عبد المنعم الأخرس ـ حماة ـ سورية**

المجلة لم تهمل الأطفال وقد أخذت على عاتقها الاهتمام بـ **«عام الطفل»** منذ بدايته بحيث لا يخلو أي عدد من أعدادها من مواضيع تتعلق بالأطفال ولعل اهتمامنا بهذه الناحية يخدم الطفل بطريقة غير مباشرة ويهيىء له الجو الملائم والتربية السليمة عن طريق ما تقدمه للآباء والأمهات من مواضيع تساعدهم على تنشئة أطفالهم تنشئة صحيحة . وعن الشباب ومحاولاتهم التي ذكرت فإن القيمة الفكرية للمجلة ومكانة الأقلام التي تكتب فيها تحتم عليها أن لا تكون مجالا لمثل تلك المحاولات .

● **الأخ عبد الله أحمد الدخيل ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية**

نشكر لك مشاعرك الرقيقة وإعجابك الشديد بالمجلة سائلين الله أن يوفقنا لأداء واجبنا .. ولك تحياتنا .

● **الأخ عبد الله عبد الرحمن الأمين ـ صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية**

بإمكانك الاستفسار عن الجامعات التي ذكرتها في رسالتك من السفارة البريطانية في بلدك ولك تحياتنا .

● **الأخ جبيري الشرقاوي أحمد ـ تارودانت شارع بلاقشاش ـ المغرب**

نشكر لك ملاحظتك على باب «مدينة وتاريخ» في العدد الرابع والعشرين من المجلة ، ونعتذر للخطأ ـ غير المقصود ـ الذي حدث ، مع شكرنا العميق لك .

● **الأخ عبد الرزاق قدو ـ حلب ـ سورية**

نشكرك على إعجابك بالمجلة وتمنياتك لها ونشكر لك ملاحظاتك التي سنعمل على تحقيق الممكن منها . كما أن ما ذكرته في رسالتك حول افراد باب خاص للطب يجيب فيه أطباء متخصصون على أسئلة القراء الطبية . هذا الباب موجود في كثير من المجلات ومجلتنا لا تحب السير على منهاج تقليد الغير .. وإن كنا نقدم دراسات طبية شاملة من حين لآخر .

● **الإخوان (نواوري سعيد ـ درب بن جدية ـ الدار البيضاء ـ المغرب) ، (الخطاب بو شعيب ـ قرية الجماعة ـ الدار البيضاء ـ المغرب) ، (وقتي جمال رنقه لاموزيل ـ الدار البيضاء ـ المغرب) ، (حافظ داوود ـ طريق قرمده ـ صفاقس ـ تونس)**

نشكر لكم مشاعركم الرقيقة وأمنياتكم الطيبة نحو هذه البلاد وبإمكانكم أن تطلبوا ما شئتم من كتب عن المملكة من مدير عام الصحافة بوزارة الإعلام في الرياض . متمنين لكم التوفيق .

● **الأخ موفق مصطفى حورية ـ دمشق ـ سورية**

نشكر لك مشاعرك الطيبة وإعجابك بالمجلة ونتمنى التوفيق للجميع .

● **الأخ حموش أحمد ـ طنجة ـ المغرب**

نشكرك على إعجابك بالمجلة . أما موضوع اختفاء بعض الأبواب فذلك يعود إلى ظهور أبواب جديدة رغبة في التجديد المستمر لأننا لو أبقينا على كل الأبواب لما وجد مكان لكاتب ، والمجلة تعنى بالدراسات الإسلامية ولا يخلو منها أي عدد من أعدادها .

● **الأخ محمد خير أحمد المقداد ـ درعا ـ سورية**

بإمكانك الاتصال بالمجلة التي قرأت فيها خبر الكتاب الذي ذكرت لتزويدك بما طلبت من معلومات . تحياتنا .. وحسب علمنا أن الكتاب لم يترجم بعد إلى العربية ، وهو من الكتب الصادرة حديثاً .

● **الأخ أحمد الفرسلي ـ تونس**

بإمكانك مراجعة إحدى المكتبات الكبيرة للحصول على ما تريده من كتب في أي تخصص مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا ـ الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية اخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ ـ المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

نتائج مسابقة العدد الثاني والعشرون

● فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠) ريال سعودي ، الأخ محمد عبد الله زرعة / الطائف ، وكالة الأنباء السعودية / حي السلامة .

● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠) ريال سعودي ، الأخ هشام سليمان عبد المجيد سليمان وعنوانه : كلية الطب / جامعة دمشق ، سورية .

● كما فازت بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠) ريال سعودي ، الأخت لمياء عبد العزيز شعبان / جدة ص . ب ـ ٤٢٦٣ .

●● بالإضافة إلى سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من المغرب الأقصى / الرباط زنقة تلمسان رقم ـ ٤ ـ الأخت إحسان فرج .

● من لبنان / بيروت / ملك عدنان الفطمي ، بناية أحمد سعادة ، شارع دعبول ، المزرعة .

● من الجزائر / حي أسفوديل عمارة د ـ مدخل ١٥ ـ ش ١٨٨ الأبيار / الأخ خالد مكي .

● من اليمن الشمالي الأخ محمد أحمد السنياني جامعة صنعاء ، المكتبة العامة ص . ب ـ ١٢٤٧ ـ صنعاء .

● من الأردن / عمان المحطة ص . ب ـ ٤١٥٠ ـ الأخ مصطفى الحاج محمود .

● من سورية / حلب نهاية خط المشهد بناية عنبر ، الطابق الاضافي / الأخ أحمد إبراهيم السيد .

● من مصر / الإسماعيلية الورش البحرية ، المقاولون العرب / الأخ سمير مصطفى عبد الحافظ .

السؤال الأول :

«أجبّار في الجاهلية ، خوّار في الإسلام ؟ والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لحاربتهم عليه» .

من قائل هذه العبارة ؟ ولمن قيلت ؟ وما المناسبة التي قيلت فيها ؟

السؤال الثاني :

اسم يشترك فيه مدينة . . وجامعة . . وفنان . المدينة تقع في أوروبا عدد سكانها ٢٢٥,٠٠٠ نسمة ، والجامعة أسست عام ١٢٢٩ م ، وتضم عدة كليات هامة ، أما الفنان فقد عرف بنتاجه الضخم في التصوير والرسم ، كما اشتهر برسوماته الساخرة ، صور حياة باريس في لوحات هامة ، أصيب بتشوه في طفولته .

اذكر الاسم المشترك .

السؤال الثالث :

جمعية هامة في إنجلترا تأسست عام ١٨٨٤ م ، كان من جملة رجالاتها البارزين الكاتب المعروف (برنارد شو) ، وهذه الجمعية كانت تعارض النظرية الماركسية ، وإليها يرجع الفضل في تأسيس حزب العمال البريطاني في عام ١٩٠٠ م ، والحزب يدين بمبادئها . . ما اسم هذه الجمعية ؟

السؤال الرابع :

ما معنى الكلمات التالية :

دَهَقٌ ، مخاطم ، مفردها (مخطم) ، مِقْرَن ، أنشوطة ، أُشْنَةٌ .

السؤال الخامس :

معدن الألمنيوم :

هل يسبب الانفجار ؟

أم الاختناق ؟

أم انتشار النار ؟

السؤال السادس :

قمر صناعي أطلق من قاعدة «كيب كانافيرال» بفلوريدا في ١٠ يوليو/ حزيران ١٩٦٢ م ، كان له — وما يزال — أثر شديد وحساس في قياس ١١٥ ظاهرة من ظواهر البيئة . . يدور حول الأرض مرة كل ١٥٧ دقيقة على ارتفاع يبلغ حوالي ٣٨,٠٠٠ كلم . تبلغ سرعته القصوى ٢٣٠,٠٠٠ كلم ، والدنيا ١٩,٠٠٠ كلم . . ما اسم هذا القمر ؟

السؤال السابع :

امرأة وحيدة في العالم تشغل منصب (وزيرة الرياضة) ما اسمها . . وإلى أية دولة تنتمي ؟

السؤال الثامن :

ما الذبذبة . . وبم تقاس الذبذبات عموماً ؟

السؤال التاسع :

لماذا أطلق علماء الفلك على كوكب الزهرة وكوكب الأرض التوأمان ؟

السؤال العاشر :

ما فائدة الذنب لكل من المخلوقات التالية :

السمكة — الطائر — العقرب — الكنغر — القرد الأميركي .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

• العدد ٢٩ •

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

أجوبة مسابقة

العدد "٢٢"

ج ١ دخل الدين الإسلامي البلاد التالية في :
يوغسلافيا : عام ١٤٦٣م ، **تركستان الشرقية :** في عهد عبد الملك بن مروان (٨٦هـ — ٧٠٥م) ، **بلغاريا :** أوائل القرن العاشر الميلادي (بداية القرن الرابع الهجري) على عهد المقتدر العباسي ، **رومانيا :** عام ١٢٦٣م ، **كوريا :** عام ١٩٥٢م .

ج ٢ يبلغ **وزن دماغ الرجل البالغ العادي** ١,٤١٠ كلغم ، وهناك ظواهر غير عادية لأناس بلغ وزن أدمغتهم ٢,٠١٢ و ٢,٢٢٢ كلغم .

ج ٣ يعتبر **أول من وضع أسس فن التجميل أبوقراط** (٤٦٠ ق م) .

ج ٤ أجريت **أول عملية زرع قلب اصطناعي** عام ١٩٦٩م على يد الطبيب الأميركي **دنتون كولي** والمريض **هاربل كارب** عمره ٤٩ سنة ، والعملية لم تنجح .

ج ٥ أصغر سمكة « القوبيون » يبلغ طولها ١/٢ إلى ٣/٤ بوصة .
والأكبر الحوت يصل طول الواحدة منها ٤٥ — ٦٠ قدماً .

ج ٦ الحرب التي وقعت بين قبيلتي تغلب وبكر سميت **بحرب البسوس** وأسبابها : أن البسوس التي سميت الحرب باسمها هي بنت منقذ التميمية ، وكانت لها ناقة اسمها « **سراب** » دخلت حمى **كليب** فأنكرها فانتزع لها سهماً خرم ضرعها فنفرت الناقة وهي ترغو ، فلما رأتها البسوس كشفت عن رأسها وصاحت واذلاه فما إن علم جارها **جساس** حتى ركب فرسه وأخذ آلة وتبعه **عمرو بن الحارث** على فرسه ومعه رمحه ودخلا على كليب في حماه فقتلاه ، وبهذه الحادثة كانت نهايته ووقعت الحرب بين القبيلتين حيث دامت (٤٠) سنة .
وأما الأخرى فكانت **بين عبس وذبيان** سميت بحرب « **داحس والغبراء** » وأسبابها : أن **قيس بن زهير وحذيفة بن بدر** قد تراهنا على داحس والغبراء أيها يكون له السبق ، وكان داحس فحلاً لقيس والغبراء فرساً لحذيفة ومقدار الرهان مئة بعير . وكان حذيفة قد اتفق مع فتيانه ليكمنوا في طريق السباق فإن جاء داحس سابقاً ردوه عن الغاية وهي مكيدة من حذيفة . فلما شارف داحس الغاية وثب الفتيان في وجهه فردوه عن بلوغ الغاية ، فعلم قيس بهذه المكيدة ، وكان ذلك الحدث سبباً في قيام الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان والتي دامت (٤٠) سنة أيضاً كما يروى .

ج ٧ تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة . الشامل في الطب لابن النفيس . تجريد الأغاني لابن واصل الحموي . العقد الفريد لابن عبد ربه . كليلة ودمنة للفيلسوف الهندي بيدبا ترجمه إلى العربية عبد الله بن المقفع .

ج ٨ المحيط الباسفيكي أو المحيط الهادي أوسع المحيطات وتبلغ مساحته زهاء ١٦٥ مليون كلم٢ .

ج ٩ ما حك جلدك مثل ظفرك ! يضرب هذا المثل في حث الإنسان على الثقة بنفسه .
أريها السهى وتريني القمر : يضرب لمن يغالط فيما لا يخفى .
حلبت حلبتها ثم أقلعت : يضرب لمن يبرق ويرعد ولا يصنع شيئاً .
جزاء سنمار : يضرب في عقوبة المحسن البريء .
عش رجباً ترى عجباً : يضرب في تنقل الدهر .

ج ١٠ لقب **بذي الخمار** .. ادعى النبوة في أواخر أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، قتله أبناؤه بمساعدة امرأته « **الأسود بن كعب بن عوف العنسي** » .

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف ٤٦٤١٩٦٨

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4641968

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	100
Denmark	DKR	15
Finland	FMK	15
France	FF	10
F. R. G.	DM	7
Greece	DR	100
Italy	L	2000
Netherlands	DFL	7.5
Norway	NKR	15
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	80
Spain	PTS	100
Sweden	SKR	15
Switzerland	SF	7
United Kingdom	£	1.25
U. S. A.	$	2.50

● **أسعار الاشتراكات السنوية :**

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ ريال سعودي
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S. R. 100
Others : S. R. 200
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، الرياض